بسم الله الرحمن الرحيم

معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا

قسم التراث الفكري والعلمي

اتحاد المؤرخين العرب

العراق- بغداد

التوافق التاريخي بين الحركتين الصليبية والصهيونية

(دراسة تاريخية مقارنة)

(أطروحة دكتوراه)

إعداد

محمد سلامه العاصي

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله

قدمت هذه الدراسة إلى مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراة في التاريخ الحديث

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

"وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديراً"

صدق الله العظيم .

الأحزاب، الآية ٢٦-٢٧

"قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين" صدق الله العظيم

التوبة: آية ١٤



إقرار المشرفين

نشهد أن إعداد هذه الأطروحة جرى تحت إشرافنا، وهي جــــزء لمتطلبـــات نيـــل درجة الدكتوراه في

(تاريخ الوطن العربي الحديث والمعاصر)

المشرف: الأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله

التوقيع: د. محمد عبده حتاملة التاريخ: ١٩/٨/٢٠٠٢م



إقرار لجنة المناقشة والعميد الإداري للمعهد

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة بأننا إطلعنا على هذه الأطروحة وناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها ، ونعتقد أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر بتقدير (امتياز) .

الاسم : الاستاذ الدكتور طارق نافع الحمداني

التوقيع :

رئيس اللجنة

الاسم : أ . د . خليل ابراهيم المشهداني	الاسم : أ . د . نشأت كامل محمد	الاسم : أ . د . عبد المجيد كامل التكريتي
التوقيع	التوقيع	التوقيع
عضو اللجنة	عضو اللجنة	عضو اللجنة

صدقت الأطروحة من مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا .

الاسم : أ . د . صبري احمد لافي

التوقيع

العميد الاداري



بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح والديَّ الطاهرة اللذيْن غرسا في نفسي الطموح والمثابرة، وإلى أرواح شهداء الأمة العربية والإسلامية الذين سطّروا بدمائهم الزكية ثرى فلسطين، وإلى شهداء الانتفاضة الباسلة على طريق التحرير والانتصار.

قال تعالى: "فإذا جاء وعد الآخرة ليَسُئُوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبرّوا ما عَلَوْا تتبيراً"

صدق الله العظيم

(الإسراء، آية ٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

"سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم" صدق الله العظيم.

الحمد والشكر لله الذي أعانني ويسّر لي إتمام هذه الرسالة، ثم الشكر من بعده للأستاذ الدكتور محمد عبده حتامله على ما قدمه لي من رعاية وتوجيه طيلة إعدادي لهذا البحث مما كان له الأثر الكبير في تخطي العديد من الصعاب، كما أوجه شكري لجميع العاملين في مكتبة الجامعة الأردنية ومؤسسة شومان، وأخيراً إلى جميع أسرتي الذين شاركوني وتحملوا معي عبء المسؤولية.

محمد سلامه العاصي

فهرس المحتويات

الصفحة

الصفحة

الصفحة

المقدمة

تــرجع أهمية الحركة الصليبية لأمتنا إلى أنها تشكل حلقة مهمة في تاريخ العروبة والإسلام جميعاً، سواء في المشرق أو المغرب. فقد شكلت الهجمة الصليبية على المشرق العربـــي الإسلامي صورة مهمة في تاريخ العلاقات بين الغرب الكاثوليكي وهذه المنطقة، وكانت هذه العلاقات تتسم، في الأكثر، بالمواجهة التي نشأت نتيجة ظهور ما يمكن تسميته بأيديولوجـــية الحروب الصليبية القائمة على العداء والكره للمسلمين وشن الحروب ضدهم تحت راية الصليب، إذ كان الهدف المعلن لهذه الحروب هو تحرير القبر المقدس من أيدي المسلمين. وهو ما يعني أن هذه الحرب، من الناحية الرسمية المعلنة، كانت حرباً مسيحية مقدسة.

وعند تتبعنا لأيدولوجية الحركة الصليبية نجد أنها طبقت ضد المسلمين إذ استمرت الحـــروب الصـــليبية فـــي القرن الرابع عشر ضد المماليك، وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر ضد العثمانيين، وعلى امتداد القرون كانت سياسة الدول الغربية الأوروبية تجاه المشرق العربي الإسلامي تتلون وفقاً لهذه الأيديولوجية.

ومـــن هنا كانت الحروب الصليبية تمثل مرحلة من مراحل الكفاح المرير الطويل بيـــن الشـــرق والغرب. فهي لم تقم فجأة ولم تنته فجأة، إنما جاءت نتيجة عمليات تطور بطيـــئة ولكـــنها مستمرة، كما أنها تركت آثارها أحقاباً أخرى بعد نهايتها. وقد مثلت هذه الظاهـــرة روح العالم الغربي الوسيط والأفكار السائدة فيه تمثيلاً صادقاً. وقد جاءت فكرة الحـــروب الصليبية في الشرق متوافقة مع ظروف تاريخية ملائمة، في الغرب الأوروبي، والشرق البيزنطي، والمشرق العربي الإسلامي.

ولـــيس بوسع المرء أن يحدد دافعاً واحداً وراء فكرة الحركة الصليبية، وإنما يمكن القـــول إنه كنت هناك دوافع دينية وأخرى سياسية واقتصادية واجتماعية وشخصية أيضاً، بحيث اختلطت الدوافع الدينية والمادية للناس.

وعلى الرغم من أنه لا يمكن أن يتطرق الشك إلى أن الدافع الديني كان أحد الدوافع الرئيســـة وراء الحركة الصليبية، إلا أنه كان نابعاً من تعصب ديني مقيت، أذكت جذوته

البابوية والدعاية المسعورة ضد المسلمين التي أشاعها الوعاظ المتجولون، وأدت فيه الظروف الاجتماعية والاقتصادية السيئة إلى الاستجابة السريعة للخطاب الذي وجهه البابا أوربان الثاني (١٠٨٧-١٠٩٩م) إلى جماهير الأوروبيين في مجمع كليرمونت عام ١٠٩٥ م، فجاءت استغاثة الإمبراطور إليكسيوس كومنين (١٠٨١- ١١١٨م) بالبابا أوربان الشرارة التي أشعلت نار الحروب الصليبية.

وعلى الرغم من اتخاذ الجموع الأوروبية الزاحفة نحو الشرق الصليب شعاراً، والقدس هدفاً، فقد ارتكبت، في ظل هذا الشعار وهذا الهدف، أبشع الجرائم البشرية، حتى بمقاييس العصور الوسطى التي اشتهرت بالقسوة وقلة الإهتمام بالجوانب الإنسانية في الحروب، وذلك بما ارتكبته من قتل وسلب ونهب حتى لأبناء جلدتها ودينها، مما دعا البابا يوحنا بولس الثاني الحالي للإعتذار عن الجرائم التي ارتكبت بحق الإنسانية خلال الحروب الصليبية في العصور الوسطى.

وما يميز الحروب الصليبية مما سبقها أو تلاها من حروب بأنها كانت حرباً بدأتها الكنيسة لا الدولة، ولم يكن المشاركون فيها يأتمرون بأمر حاكم علماني، وإنما كانوا يتطوعون لحمل شارة الصليب بناءً على وعد من البابا بالغفران، فجاءت هذه الحروب علامة على عسكرة المسيحية. ذلك أن هذه الحروب كانت حرباً جامعة، وكان المظهر الدولي هو الطابع المميز لها، إذ اشترك بها فرنسيون وإيطاليون وألمان وإنجليز وإسبان وغيرهم من أمم الغرب اللاتيني. علاوة على ذلك فإنه يمكن اعتبار هذه الحروب الفصل الأول من تاريخ الإستعمار الأوروبي، إذ كان الإستعمار الإستيطاني هو أبرز أهدافها.

ونتيجة للنصر الذي أحرزته الحملة الصليبية الأولى قامت فوق الأرض العربية عاصمة مسيحية لمملكة لاتينية، كما قامت عدة مستوطنات صليبية في الرها، وأنطاكية وطرابلس، وأصبحت هذه الدويلات تدعى بالشرق اللاتيني امتداداً للغرب اللاتيني.

ولم يكن انتصار الصليبيين تعبيراً حقيقياً عن موازين القوى، بل كانت الجيوش العربية الإسلامية، وموارد المنطقة البشرية والإقتصادية كفيلة بالحاق هزيمة ساحقة بالصليبيين إذا ما جمعتهم جبهة واحدة، ولكن حالة التشرذم العربي والإسلامي، وافتقار المسلمين إلى الوحدة، وتغلب المصالح الشخصية والأسرّية والعنصرية، بل ومساندة بعض

المسلمين للجيوش الصليبية، وميراث الحقد والشك والضغائن بين حكام العرب والمسلمين، كل ذلك جعل انتصار الصليبيين ممكناً، كما أطال أجل الإمارات الصليبية.

ومـــع محاولـــة أمراء الصليبيين وفرسانهم المحافظة على ما استطاعوا من تحقيقه مـــن مكتسبات دون الإستعانة بالغرب الأوروبي في بداية الأمر، إلا أن جسماً غريباً زرع فـــي بيـــئة معادية كان لا يمكن له الإستمرار والعيش دون أن يجد لنفسه السند من خارج المـــنطقة. فكـــان على أوروبا أن تقوم بدور الظهير الذي يرعى الكيان الصليبي ويحميه بوصـــفه جزءاً من الغرب يعيش تحت سماء الشرق. وعلى مدى ما يقرب من قرنين من الزمان ظل الغرب يبعث بزهرة فرسانه لتدعيم هذا الكيان.

ولا شـــك أن المســـلمين لم يدعوا الصليبيين يهنؤون بالأرض المقدسة، أو يقرون بوجـــود كياناتهم فوق الأرض العربية المسلمة، إذ جابه المسلمون ذلك الوجود بالمقاومة، غير أنهم في مراحل مقاومتهم الأولى لأعدائهم ظلوا فرادى، واتسمت حركة الجهاد الأولى ضـــد الصـــليبيين بالجهود المتفرقة إلى أن قيض الله لهم بعض القادة العظماء أمثال عماد الديـــن زنكـــي وصلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس وقلاوون، الذين عملوا على توحيد جهـــود الأمـــة وتحقـــيق انتصارات حاسمة على الصليبيين تجسدت في معركة حطين في الـــرابع والعشـــرين من ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـــ-الرابع من تموز (يوليو) سنة ١١٨٧م، وفـــي طرد الصليبيين من آخر معاقلهم في عكا سنة ١٢٩١م. وكان هذا هو فصل الختام للعـــدوان الصـــليبي على الأرض العربية، وإن لم يكن نهاية للعدوان الذي أخذ منذ مطلع القـــرن الـــرابع عشر يصوغ مشاريع جديدة لإخضاع الشرق العربي الإسلامي وذلك من خـــلال اســـتبدال الحروب بالتبشير بالمسيحية، وبالسيطرة على التجارة الدولية بعد حركة الإستكشـــافات الجغرافـــية التـــي بدأت بعد منتصف القرن الخامس عشر بقصد إضعاف المسلمين.

وفي حين كان المسلمون في الأندلس يتعرضون لهجمة صليبية شرسة سقطت على أثرها مدينة غرناطة عام ١٤٩١م، استمرت الهجمة الصليبية على المشرق العربي بالوتيرة نفســـها. فكانت حملة نابليون بونابرت الطموح عام ١٧٩٨م لغزو الشرق، حلقة من سلسلة حلقـــات الهجمة الإستعمارية الأوروبية ضد المنطقة العربية في مشرقها ومغربها. إذ بلغ

التـــنافس بيـــن دول الغـــرب الاوروبـــي أشده للحصول على مستعمرات في هذه المنطقة الحساسة من العالم التي شكلت محور هذا التنافس.

ولـــم تكن الرؤية الصهيونية خارج هذا السياق الإستعماري، إذ برزت فكرة البعث القومي اليهودي في الثقافة الأوروبية في أكثر الأوقات السياسية ملاءمة، ووجدت فلسطين نفســـها تـــدور فجـــأة فـــي فلك السياسة الأوروبية وواقعة تحت تأثير القوى الإستعمارية المتصارعة.

وقـــد كانـــت بريطانـــيا مـــن أكثر الدول الإستعمارية الاوروبية اهتماماً بالقضية الصـــهيونية، ويعـــود ذلـــك إلـــى كونها من أكثر الدول تطلعاً إلى غزو الشرق والتوسع الإســـتعماري، وإذا مـــا أضـــفنا للمصالح الاستراتيجية للدول الإستعمارية، تزايد الحركة التبشـــيرية مـــع بدايـــة القـــرن التاســـع عشر لهذه الدول كمقدمة دينية وثقافية لتطلعاتها الإســـتعمارية في الشرق، لأدركنا مدى استغلال الإستعمار للدين المسيحي والدين اليهودي أيضـــاً بواســـطة الجمعيات الدينية التي أنشأها لدعم فكرة عودة اليهود إلى أرض الميعاد، والتي لم يكن اليهود بداية أصحابها، أو مؤيديها بشكل من الأشكال.

كمـــا كان لشيوع الأفكار الثقافية في أوروبا خلال القرن التاسع عشر كالرومانسية والنيتشـــوية والاشـــتراكية والنظرية العنصرية أثرها الفعال في الفكر الصهيوني خاصة، والإمبريالـــي عامـــة، وسارت فلسطين واليهود جنباً إلى جنب في الأفكار الصهيونية التي ولـــدت ضـــمن هذا الإطار، فكان من الطبيعي أن تتأثر وتستفيد منها. وفي أواخر القرن المذكـــور برزت الحركة الصهيونية بظهور الصحفي النمساوي ثيودور هرتزل (١٨٦٠-١٩٠٥م) الـــذي نشر كتابه المشهور (الدولة اليهودية) في عام ١٨٩٦م، ذلك الكتاب الذي أسهم في إحياء الشعور القومي اليهودي وأدى إلى عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بـــال بسويســـرا عام ١٨٩٧م، إذ وضع الأساس لبناء دولة يهودية في فلسطين كانت ولا تزال بمثابة الخنجر في قلب المشرق العربي الإسلامي.

وكمـــا استمات الصليبيون الأوائل على عزل مصر عن مشرقه العربي الإسلامي وقاوموا أي اتجاه وحدوي بين قوى بلاد الشام بعضها ببعض، أو بين هذه والقوى الأخرى المسلمة في الجزيرة والعراق وآسيا الصغرى، كذلك سار الصليبيون الجدد الممثلون بقوى الإســـتعمار العالمي على نهج أسلافهم عندما قاموا بعقد مؤتمر لندن التآمري عام ١٩٠٥م

الـذي أوصى بالعمل على تجزئة المنطقة العربية الإسلامية الممتدة من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي، وزرع الكيان الصهيوني فيها لفصل آسيا العربية عن إفريقيا العربية.

وقبل أن تضع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨م) أوزارها، وضعت الدول الإسـتعمارية توصيات مؤتمر لندن موضع التنفيذ، فقد اتفقت على تجزئة المشرق العربي الـذي كـان خاضعاً للدولة العثمانية، وتقاسمته فرنسا وبريطانيا باتفاقية "سايكس -بيكو" الشهيرة عام ١٩١٦م، وأصدر بلفور وزير خارجية بريطانيا وعده المشؤوم في الثاني من تشرين الثاني عام ١٩١٧م القاضي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

وحقـيقة وعـد بلفـور هي في كونه ليس قراراً بريطانياً صرفاً، وإنما كان قراراً صليبياً شكلاً ومضموناً، صدر بمعرفة فرنسا وإيطاليا وأمريكا وموافقتها. وليس أدل على ذلـك مـا قاله الجنرال البريطاني "إدموند اللنبي" عندما دخل مدينة القدس في ١١ كانون الأول عام ١٩١٧م: "اليوم انتهت الحروب الصليبية".

ونحـن فـي مواجهتـنا للخطر الصهيوني الذي تسعى قوى الغرب الصليبي على مظاهـرته ودعمـه وحقنه بأسباب البقاء، فإن من الواضح أيضاً أن الأوضاع التي تحيط بالوطن العربي اليوم تجعلنا نشعر بأننا في وضع أقرب ما يكون إلى الأوضاع التي سادت خلال الحروب الصليبية قبل نحو تسعة قرون تقريباً.

وسواء كان التاريخ يعيد نفسه أو لا يعيد، فإن ثمة من الحوادث التاريخية المتشابهة في الدوافع والأسباب والنتائج ما يعيننا على تلمس الطريق الصحيح. وإذ ثمة جوانب كثيرة متشـابهة- وقـد لا تكون متطابقة- بين الحركة الصليبية والصهيونية، مع التسليم بوجود الإخـتلافات أيضاً، فقد وجدت أن من المفيد دراسة الحركتين الصليبية والصهيونية دراسة علمـية منهجـية مقارنـة والإستفادة من التجربة الصليبية فيما تراكم خلالها وبعدها من تجارب ومعارف وتوظيفها في مواجهة التحدي الصهيوني الماثل أمامنا اليوم.

فكلـتا الحركتيـن قامت على أسس دينية، قدمت من الغرب واستقرت على أرض فلسـطين، وحرصـت قوى الغرب على مساندتها ودعمها بالمال والسلاح وأسباب البقاء، كمـا أن كلـتا الحركتيـن قامت على القوة المسلحة ولهما أطماع توسعية واستيطانية في

الأرض العربــية. كما وأدت الظروف السياسية والإقتصادية والإجتماعية دوراً حاسماً في تبلور كلتا الحركتين.

وحيث ان هذه الدراسة تؤرخ لمرحلة مهمة من تاريخ أمتنا تمتد من عام١٠٩٥ – ١١٨٧م وهو تاريخ سقوط القدس، ومن عام ١٨٩٧ – ١٩٤٨م وهو تاريخ احتلال الكيان الصـــهيوني للجـــزء الأكبر من فلسطين، إلا أن مقتضيات الدراسة تطلبت مني التعرض لمـــراحل زمنية سبقت أو تلت المدى الزمني المذكور لهاتين الحركتين لاستيفاء الجوانب المتصلة بهذا الموضوع.

بـــناءً علـــى مـــا تقدم فقد قسمت الدراسة إلى مقدمة وستة فصول وخاتمة؛ جاءت المقدمة لتعالج أهمية البحث والمسوغات التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع.

أما الفصل الأول فتناول نشأة الحركتين الصليبية والصهيونية وتكوينهما، فقد تناول الفصـــل تكوين الحركة الصليبية وتأليفها، مروراً بمراحل الغزو الصليبي للمشرق العربي الإســـلامي حـــتى تأسيس الممالك الصليبية فيها، ثم تناول الفصل نشأة الحركة الصهيونية ومراحل تكوينها والاتجاهات الفكرية والمنطلقات الأيدلوجية التي أسهمت في ظهورها إلى أن نجحـــت فـــي نقـــل المادة البشرية المستوطنة من أوروبا إلى فلسطين ثم إقامة الدولة الصـــهيونية فـــيها، كما تعرض الفصل بالدراسة المقارنة إلى التوافق التاريخي بين نشأة هاتين الحركتين وتكوينهما وأوضح ما بينهما من أوجه الشبه أو الإختلاف.

وتـــناول الفصـــل الثانـــي دوافع وأهداف الحركتين الصليبية والصهيونية بأشكالها المخـــتلفة الدينـــية والإقتصادية والاجتماعية والسياسية، التي كانت وراء الغزو الصليبي والصـــهيوني للمـــنطقة العربـــية وخصوصـــاً فلسطين منها. كما تعرض الفصل لأهداف الحركتين التي تمثلت بالإستيطان وتأسيس دويلاتهما فوق الأرض العربية على الرغم من الدعـــاوى الدينية للحركتين. كما تناول الفصل التوافق بين الحركتين الصليبية والصهيونية فـــي الدوافـــع والأهداف إذ كان الطابع الإستعماري الصفة المميزة لهما، وكانت البابوية وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية هي مراكز الإستعمار الرئيسة فيها.

أما الفصل الثالث فكان عن أساليب الحركتين الصليبية والصهيونية، فقد تناول هذا الفصـــل الأســـاليب التي اتبعها الصليبيون في أثناء غزوهم للأراضي المقدسة وحتى قبل

وصولهم إليها من ذبح وقتل وتدمير للمسلمين واليهود والمسيحيين على السواء، فضلاً عن نقضـــهم للعهـــود والمواثـــيق التـــي عقدوها، كما تطرق هذا الفصل إلى سياسة الحرب الإقتصادية التي انتهجها الصليبيون ضد المسلمين. كما تناول الفصل أساليب الصهاينة في المواربـــة والـــدوران وخيانة العهود وعمليات القتل والتدمير التي مارسوها لطرد الشعب الفلســطيني والاســتيلاء علـــى أرضه. هذا وقد تناول الفصل أيضاً التوافق التاريخي بين أســـاليب الحركتيـــن وخاصـــة مـــا يتعلق بالأمر الدعائي الواسع لهما، وأعمال الإرهاب والتهجير للمواطنين، ومقاومة أي وحدة عربية أو اسلامية محتملة.

وكُـــرس الفصـــل الـــرابع للحديث عن الموقف الإسلامي والعربي من الحركتين الصـــليبية والصهيونية، وعن موقف الجبهة الإسلامية بقواها المختلفة تجاه الغزو الصليبي مـــنذ بدايته حتى سقوط آخر معاقله في بلاد الشام سنة ١٢٩١م. كما تناول الفصل موقف الدولـــة العثمانـــية والأقطار العربية والقوى الأخرى الفلسطينية منها والعربية تجاه الغزو الصـــهيوني لفلسطين وحتى حرب عام ١٩٤٨م مع التطرق إلى ما تلاها من حروب على ســـبيل الإستشهاد بها. كما تناول الفصل التوافق التاريخي بين الموقفين الإسلامي والعربي تجاه هاتين الحركتين حيث كان للتجزئة والإنقسام للقوى الإسلامية والعربية أكبر الأثر في استمرار العدوان عليها.

أمـــا الفصـــل الخامس فكان عن طبيعة النظام السياسي والإداري والعسكري لكلا الكيانين الصليبي والصهيوني، ففي هذه الدراسة نجد أن هناك ممالك صليبية تشكلت على تـــراب الشرق عُرفت باسم الشرق اللاتيني، وقامت على أسس علمانية وليس دينية وبنت قواها العسكرية التي أخذت بواسطتها التوسع شرقاً وغرباً في الأراضي المجاورة لها. كما قام على أرض فلسطين كيان صهيوني ليس له مثيل لا في القومية ولا في الدين أو اللغة، وبـــنى له نظاماً سياسياً وإدارياً وعسكرياً قوياً وأخذ في التوسع على حساب جيرانه أيضاً. كما تناول الفصل التوافق بين طبيعة النظام السياسي والإداري والعسكري للكيانين الصليبي والصـــهيوني اللذين لم يُعرف لهما دستور ثابت أو حدود ثابتة، وارتبطا بالغرب للحصول على الدعم المادي والسياسي لهما.

وأخـــيراً فقد تناول الفصل السادس طبيعة النظام الإجتماعي والإقتصادي للكيانين الصليبي والصهيوني، إذ تناول الفصل التكوين السكاني والبيئة الإجتماعية للكيان الصليبي

ثــم تطرق إلى البنية الإقتصادية الصليبية التي افتقرت إلى المال دوماً. كما تناول الفصل طبــيعة الــنظام الاجتماعي والإقتصادي للكيان الصهيوني الذي عانى من تفاقم الازمات الإجتماعــية والإقتصــادية أيضــاً، ثم تعرض الفصل بالدراسة التحليلية المقارنة التوافق التاريخــي بيــن طبيعة النظام الإجتماعي والإقتصادي لهذين الكيانين اللذين اعتمدا على الهجرة والمساعدات الخارجية في ضمان بقائهما.

أمــا الخاتمــة فقد جاءت إبرازاً لما خلص إليه الباحث من نتائج تؤكد قدرة الأمة العربــية والإســلامية على لفظ الكيان الصهيوني الغريب المزروع في أرضها كما لفظت قبله الكيان الصليبي.

تحليل المصادر والمراجع

لقد شغلت الحركتين الصليبية والصهيونية بال الكثير من المؤرخين، وكانت موضوعاً لطائفة كبيرة من الكتابات، منها ما كان معاصراً لأحداثها، ومنها ما جاء لمؤلفين متأخرين. ومعظم هذه الكتابات منشور وفي متناول القارئ، غير أنها تحتاج إلى سنين طويلة للإطلاع عليها، ودراستها وتحري الحقائق فيها.

ومما يلاحظ أن المصادر الإسلامية التي عالجت أحداث الحروب الصليبية لم تفرد كتباً خاصة تؤرخ فيها للحروب الصليبية كما فعل بعض المؤرخين الغربيين مثل وليم الصوري، وإنما اكتفى المؤرخون المسلمون رغم وجود الكثير منهم في بلاط الحكام المسلمين بأن عرضوا أحداث الصراع مع الصليبيين ضمن الحوليات، مما أفقد هذه المؤلفات الكثير من المعلومات التي كان يمكن لها الكشف عن كثير من الغموض الذي يحيط ببعض جوانب هذه الحركة.

كما يلاحظ أيضاً أن المصادر العربية الأولى التي عالجت أحداث الحركة الصهيونية كانت هي الأخرى قليلة، في الوقت الذي كانت فيه المكتبات ودور النشر ودوائر الخارجية في الدول الأوروبية تزخر بالمؤلفات والوثائق الغربية والصهيونية، والتي لا يزال الكثير منها حبيس خزائن وزارات خارجية هذه الدول إلى يومنا هذا.

هذا وقد تمكنت أثناء الإعداد لهذه الرسالة من الحصول على عدد كبير لأهم الوثائق والمصادر والمراجع الأجنبية والإسلامية والعربية والصهيونية التي أرخت للحركتين الصليبية والصهيونية، منها ما كتب باللاتينية أو الفرنسية، ومنها ما كتب بالإنجليزية أو العربية، وقد أفدت من الترجمات مما كتب عن هاتين الحركتين مما سيرد ذكره في قائمة المصادر والمراجع، وسأبدأ بتحليل المصادر الأجنبية ثم العربية ثم الصهيونية، يليها المراجع المتعلقة بهاتين الحركتين.

١- **الوثائق:** لقد اعتمدت الدراسة على كثير من الوثائق العربية والأجنبية وتلك المترجمة إلى العربية، بعضها ما تعلق بالفترة الصليبية مثل الروايات المختلفة لخطبة البابا أوربان الثاني، وأغلبها ما تعلق بالحركة الصهيونية والتي تشير بوضوح إلى ما كانت

تدبــره الــدول الكــبرى وما تحيكه بالخفاء مع الصهيونية العالمية من أجل إقامة الكيان الصــهيوني وزرعه في فلسطين في غفلة من العرب عموماً وأهلها خصوصاً. كما تشير بعض هذه الوثائق إلى مذكرات الإحتجاج والنداءات والرسائل التي تعبر عن سخط وغليان الجماهــير العربية والفلسطينية عما كان يجري على الأرض الفلسطينية من نهب للأرض ودعم للعصابات الصهيونية. كما أبرزت بعض هذه الوثائق القرارات الصادرة عن جامعة الــدول العربية وتلك الصادرة عن الأمم المتحدة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية. وقد أفدت كثيراً من هذه الوثائق وكان لها أثر كبير في تدعيم الآراء وإثبات الحقائق الواردة في هذه الدراسة.

٢-**المصــادر**: ويأتــي فــي مقدمــتها كــتاب "تاريخ الحملة إلى القدس" لفوشيه الشــارتري (ت١١٢٧م)، وهــو من أشهر ثلاثة مؤرخين شهدوا الحملة الصليبية الاولى وكــانوا شهود عيان لها. وقد صحب فوشية جيش روبرت النورماندي، غير أنه في سنة ١٠٩٧م، انضــم إلــى بلدويــن اللوريني في حملته على الرها، وقد اصطحبه الأخير بعد تتويجه ملكاً على بيت المقدس في كثير من حملاته. وقد شاهد فوشيه معظم المعارك التي دارت رحاهــا بين الصليبيين والأتراك السلاجقة في آسيا الصغرى، وتحدث بإسهاب عن معاناة الصليبيين وما لاقوه من صعاب وأهوال.

وتاريخــه المعــروف بتاريخ بيت المقدس، الذي وصل فيه إلى سنة ١١٢٧م، لم يشتمل فحسب على تاريخ الحملة الصليبية الأولى، بل شمل أيضاً تاريخ تأسيس مملكة بيت المقدس.

وتنحصــر قيمة الكتاب في أن صاحبه لم يدون سوى الأحداث التي شاهدها بنفسه، أو تلك التي رواها له شهود عيان، أو التي جمعها من مصادر موثوق بها، مما يجعل كتابه مصدراً يمكن الإعتماد عليه في تاريخ تلك الفترة.

وإلــى جانــب ذلــك، فقد زود فوشيه مؤلفه بمعلومات قيمة عن الجغرافية، وعلم الحــيوان، والــتاريخ المقــدس، فضلاً عن أن للكتاب قيمة لا تنكر في دراسة تطور علم التاريخ. كما يلاحظ أن أسلوب المؤلف كان سهلاً وواضحاً، وإن كان يستخدم أحياناً أبياتاً مــن الشــعر للإستدلال بها في إيراد بعض الأحداث الهامة. وقد استفدت مما جاء في هذا

الكــتاب مــن معلومات في بيان نشأة الحركة الصليبية ودوافعها، وفي بيان القوة العددية للجيوش الصليبية والمسلمة ونسب الخسائر البشرية في العديد من المعارك بينهما.

ويتصــدر المصــادر الأجنبــية التي عدت لها كتاب "الأعمال المنجزة فيما وراء الــبحار" للمؤرخ وليم الصوري (ت٥٨١هــ/١١٨٥م) رئيس أساقفة مدينة صور. وقد ولد ولــيم في القدس سنة ١١٣٠م، وعاش سني حياته الأولى فيها، وتعلم في مدارسها اللاتينية والعربــية واليونانــية والعبرية والفارسية. وقد أرخ وليم لحملة عموري الأول (١١٣٥-١١٧٤م) ملــك مملكــة بيت المقدس آنذاك على مصر، وأدى هذا التكليف إلى قيام علاقة وثيقة بينه وبين بلاط المملكة.

ويقــع كــتاب ولــيم فــي قسمين: قسم استقى معلوماته من مصادر مختلفة تعود لمؤرخين سابقين وأدخلها في كتابه، وقسم ثاني، عاصر وليم أحداثها أو قام برواية أخبارها عن شهود عيون. ولذا فلا يعتبر كتابه أصيلاً إلا ابتداءً من تاريخ الحملة الصليبية الثانية.

ويعتــبر ولــيم الصــوري من أشهر مؤرخي العصور الوسطى وأحسنهم صياغة وأسلوباً، واتصف بالذكاء، وعدم التحيز، وصدق المعلومات. كما ويعتبر كتابه من أفضل المصادر اللاتينية التي أرخت للحروب الصليبية. وقد أفدت من هذا الكتاب الذي قام بنقله إلــى العربية الدكتور سهيل زكاربما قدمه لي من معلومات قيمة عن نشأة وتكوين الحركة الصليبية ونظام الحكم لمملكة بيت المقدس بعد تأسيسها.

كما ويقف كتاب "الكامل في التاريخ" لأبي الحسن علي بن محمد الجزري المعروف بابــن الأثــير (ت٦٣٠هــــ/١٢٣٢م) مصــدراً بالغ الأهمية من وجهة النظر الإسلامية لموضــوع الرسالة. وقد نشأ ابن الأثير في البلاط الزنكي حيث عمل والده في خدمة عماد الدين زنكي. وقد تتلمذ على أشهر علماء عصره وتنقل كثيراً بين المدن الإسلامية الكبرى كالموصل وبغداد ودمشق والقدس، مما كان له الأثر العلمي الكبير على كتاباته.

وكــتاب الكامل في التاريخ يعتبر من أشهر كتب التاريخ الإسلامي العام الذي ألفه ابن الأثير على طريقة الحوليات. وقد تحرى فيه الدقة والحقيقة والبساطة، وتجنب الإسهاب وكــثرة الــروايات والأسانيد. وتتضح أهمية الكتاب في أن مؤلفه قد اعتمد في جمع مادة

بالغ الأهمية بالنسبة للعصر الأتابكي، ومصدراً أساسياً لدراسة الدولة النورية، إضافة إلى أن لا غنى عنه لأي باحث في الحروب الصليبية.

وقد أفدت من كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي عند دراسة نشأة وتكوين الحركة الصليبية، وقد تركزت فائدته لي أثناء التعرض لموقف القوى الإسلامية المختلفة من الغزو الصليبي، والجهود المبذولة في توحيد هذه القوى إلى ان تمكن عماد الدين زنكي من استرداد الرها من الصليبيين سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م.

ومن المصادر الإسلامية الأخرى التي عدت إليها كتاب "زبدة الحلب من تاريخ حلب" لمؤلفه المشهور أبو القاسم كمال الدين عمر بن أحمد المعروف باسم ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين لمؤلفه شهاب الدين عبد الرحمن بن ابراهيم المعروف بأبي شامة (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧)، وكتاب "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" لجمال الدين محمد بن واصل المعروف بابن واصل (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م)، وقد أفدت منها جميعاً في الفصل الرابع إذ أمدتني بمعلومات وافية عن موقف القوى الإسلامية المختلفة من الحركة الصليبية.

أما بالنسبة للمصادر الصهيونية فقد كان لكتاب "دولة اليهود" لمؤلفه ثيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية خير معين لي في دراسة الحركة الصهيونية لاحتوائه على معلومات قيمة لا غنى عنها لأي باحث في هذه الحركة. وهرتزل هو بنجامين زئيف هرتزل (ت١٩٠٤م)، ولد في الثاني من أيار ١٨٦٠م، لأب تاجر من أثرياء اليهود، وأم جعلته ينشأ على تصور أنه مدعو إلى تأدية رسالة عليا في الحياة، وقد درس هرتزل القانون واشتغل بالمحاماة فترة قصيرة اتجه بعدها إلى عالم الأدب والصحافة فكتب عدة قصص ومسرحيات، ثم عمل مراسلاً في باريس لصحيفة نيوفراى برس (New freie presse) عام ١٨٩١م، وقد أتاحت له إقامته في باريس فرصة تكوين مفهوم خاص له عن "المسألة اليهودية". وكانت استجابته الأولى طرح حلول لتحسين أوضاع اليهود في المجتمعات التي يعيشون بها عن طريق المعمودية والتزاوج أو الإنضمام إلى الحركات الإشتراكية.

وتكوين هرتزل الثقافي جعله مرشحاً لأن يؤدي دور الوسيط. فهويته اليهودية كانت سطحية، ولم يكن يؤمن من الناحية الدينية باليهودية ولا يقيم أياً من شعائرها. وأما من

الناحـــية الإثنـــية فقد كان فخوراً بثقافته الألمانية ولا يعرف إلا القليل عما يُسمى بالثقافة اليهودية. ولم يكن يعرف العبرية رغم إجادته لعدد من اللغات الأوروبية. غير أن يهودية هرتـــزل الســـطحية هـــذه هـــي التي أكسبته فيما بعد الشرعية أمام جماهير شرق أوروبا اليهودية.

وكتابه "دولة اليهود" هو محاولة لإيجاد حل عصري للمسألة اليهودية، وقد صدرت الطـــبعة الاولى منه عام ١٨٩٦م. وقد رأى هرتزل بأن الحل العصري يكمن في: تأسيس دولـــة يهودية بالإتفاق الدولي. كما ترك لليهود أنفسهم أمر اختيار الأرض التي سيقيمون دولتهم المنشودة فوقها، ولم يشأ إخفاء تفضيله لفلسطين على غيرها من البلدان.

وقـــد لقـــي هذا الكتاب معارضة شديدة في أوساط اليهود المندمجين في مجتمعاتهم وبيـــن المغاليـــن في التدين وأتباع الحركة الإصلاحية، ولم يستقطب حوله سوى أعضاء حركة "حب صهيون" وبعض الشباب اليهودي المتحمس. غير أن هرتزل عقد العزم على مواصلة الدعوة، والعمل بجد في سبيل الفكرة الصهيونية. وقد وضع هرتزل أفكاره موضع التنفيذ عندما دعا إلى المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧م.

ويمكـــن القـــول أن هرتزل قام بتحديث مسألة أوروبا اليهودية، فبدلاً من جماعات مـــتفرقة في الشرق والغرب، طرح رؤية متكاملة تنظم الجميع في إطار واحد. وبدلاً من الـــنظر إليهم على أنهم شحاذون أو فقراء يحتاجون إلى الصدقات، قرر أنهم "شعب"، وان لهذا الشعب نفعه، كما أن له وظيفة يمكن أن يؤديها في مقابل الدعم الذي سيتلقاه من الدول الاستعمارية. ويظهر ذلك في الإقتراح الذي طرحه في دولة اليهود بإنشاء الجمعية اليهودية "القـــوة الخالقة للدولة، في نظر القانون الدولي" والشركة اليهودية التي "سيكون عملها .... تصـــفية الأعمال التجارية لليهود المغادرين والعمل على تنظيم التجارة والأعمال المتعلقة بها في البلد الجديد".

وممـــا يلاحـــظ أن تفكـــير هرتـــزل في كتابه هذا غير واضح ولا يتسم بالتسلسل المنطقـــي، فهـــو يقفـــز من نقطة إلى أخرى، ثم يعود إليها. وأكبر مثال على ذلك تكراره لمســـألة اللاســـامية والمال اليهودي والقدرة الاقتصادية اليهودية. كما أن إدراكه لظاهرة الاستعمار قد احتاج إلى بعض الوقت ليتبلور. غير أنه في كتابه هذا كان واضح الأهداف

والتصميم على فكرة الدولة، فهو يقول: "إن العالم يحتاج إلى الدولة اليهودية لذلك يجب أن تقوم".

ومـــن اللافـــت للانتـــباه أن هرتزل أغفل ذكر العرب في كتابه دولة اليهود، وفي خطابـــه أمام المؤتمر الصهيوني الأول. ولعل الهدف هو تغييب العربي تماماً حتى تفرغ فلسطين منه فلا داعي لذكره إذن. لذلك فهو يتحدث عن "دولة يهود" لا عن "دولة يهودية". كمـــا يلاحـــظ أيضاً أن نفسية السمسار لا تهدأ قط داخل الزعيم الصهيوني، فهو يرى أن "فكرة خلق دولة يهودية مفيدة للأراضي المجاورة"، لأن ذلك سيؤدي إلى رفع أسعارها.

ولهرتـــزل كـــتاب آخر لا يقل أهمية عن كتاب دولة اليهود وهو "يوميات هرتزل" الـــذي يعـــد تعبـــيراً صادقاً لأفكاره وآرائه الصهيونية، بحيث يمكن اعتباره بحق "إنجيل" الحـــركة الصـــهيونية، وقد أفدت من هذين المصدرين في دراستي للحركة الصهيونية بما قدماه لي من معلومات عن نشاة هذه الحركة وتكوينها وعن دوافعها واهدافها، خاصة وأن مؤلفهما هو مؤسس هذه الحركة والأب الروحي للكيان الصهيوني.

٣-المـــراجع: وقد أفدت من الكثير من المراجع مما كتب عن الحركتين الصليبية والصـــهيونية، العربـــية منها أو الأجنبية أو المترجمة، ويتصدرها كتاب "تاريخ الحروب الصـــليبية" لرنســـيمان والـــذي يعـــدّ مرجعاً مهماً لا غنى عنه لأي باحث في تاريخ هذه الحـــروب، وقد أمدني بمعلومات قيمة خلال جميع فصول الدراسة وخاصة ما يتعلق منها بالنظام السياسي والإداري والإقتصادي للكيان الصليبي.

ويأتـــي كـــتاب "مملكـــة بيـــت المقدس اللاتينية" للمؤرخ يوشع براور على رأس الدراســـات الصهيونية للحركة الصليبية. فقد هاجر براور من مسقط رأسه في بولندا عام ١٩٣٦م إلى فلسطين، وانغمس في دراسة الحركة الصليبية، وما زال، حيث عقد في أوائل تمـــوز ١٩٨٧م فـــي الذكرى الثمانمائة لمعركة حطين مؤتمراً عالمياً لدراسة المؤسسات الصليبية في المشرق حضره خمس وسبعون عالماً زاروا خلاله موقع حطين.

وبـــراور يهـــودي صهيوني، وهذا يضفي على عمله أبعاداً جديدة غير مألوفة في الكتابات الإسلامية والمسيحية عن الحركة الصليبية التي طبعت في كثير منها بعدم الالتزام الكـــامل بالحيادية والموضوعية العلمية. فبراور لا ينتمي ديناً وعاطفة إلى أي من طرفي

الـنزاع، مما يجعله متحرراً من قيود الإنتماء لهذا الطرف أو ذاك، فجاءت كتاباته ضمن الأطر العلمية الموضوعية في البحث التاريخي.

كمــا تتمــيز دراســات براور للحركة الصليبية عن غيرها من الدراسات التقليدية التاريخـية بأنه قدم دراسات تحليلية متكاملة عن الحركة الصليبية وتطورها، وأضفى على تحلـيله التاريخـي عناصــر غابــت أو لــم تكن موضع اهتمام المؤرخين المسلمين أو المسيحيين.

وكتاب براور "مملكة بيت المقدس" هو دراسة تشريحية للكيان الصليبي ومؤسساته، وطبيعة الحكم فيه، والأسس التشريعية لهذا الحكم، والنظام العسكري فيه، وتطور مفهومه الأمنــي، وطبــيعة علاقــة الصليبيين بالسكان المحليين من مسلمين ومسيحيين شرقيين، ويهود، ودروز، وبدو، وموارنة.

امــا كــتابه الآخــر فهو "عالم الصليبيين" الذي لا يقل أهمية عن كتابه السابق، إذ عــرض فــيه براور صورة تفصيلية عن أدق معالم الحياة في المستوطنات الصليبية، كما أظهــر مــن ثنايا عمله كثيراً من صور الإحتكاك الثقافي والحضاري بين عالم الصليبيين وعــالم المشــرق العربــي الإسلامي. غير أن براور حاول في كتابه هذا تحديد ما يمكن تســميته بــالموقف الــيهودي من الحركة الصليبية محاولاً إيجاد دور لمن لا دور له في التصدي للعدوان الصليبي.

وقد أمدتني دراسات براور بكثير من المعلومات عن الحركة الصليبية وإسقاطاتها المعاصرة على الحركة الصهيونية مما سهل لي عقد المقارنات بين الحركتين في مواضع عدة من الرسالة.

ومــن المــراجع العديدة والهامة ما كتبه الدكتور سعيد عاشور في كتابه "الحركة الصليبية"، وما كتبه ر. سي. سميل "فن الحرب عند الصليبيين".

وأمــا عــن المراجع التي كتبت عن الحركة الصهيونية، فقد كان لكتاب "موسوعة تــاريخ الصــهيونية" لمؤلفه الدكتور عبد الوهاب المسيري الأثر الكبير في إعطاء صورة واضــحة وتفصــيلية عــن نشــاة الحركة الصهيونية وتطورها وعن الخلفية الإجتماعية والإقتصادية والتاريخية لنشوء هذه الحركة. وقد جاء كتابه هذا في ثلاثة أجزاء، عالج فيها

المـراحل التـي مرت بها الحركة الصهيونية لغاية تأسيس الكيان الصهيوني وزرعه في أرض فلسـطين. وقـد أمدني هذا الكتاب بمعلومات قيمة ومركزة عن الحركة الصهيونية طيلة فصول الدراسة.

ومـن المراجع البارزة التي عدت إليها كتاب "إدارة الحرب في إسرائيل" للدكتور عبد الرازق ابراهيم قاسم، وكتاب "الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية – الإسرائيلية لمؤلفـه هيـثم الكيلانـي، كما عدت إلى العديد من المراجع المهمة التي سيرد ذكرها في قائمة المصادر والمراجع.

الفصل الأول

نشأة الحركتين الصليبية والصهيونية وتكوينهما

١- نشأة الحركة الصليبية وتكوينها

٢- نشأة الحركة الصهيونية وتكوينها

٣- التوافق التاريخي بين نشأة الحركتين الصليبية والصهيونية وتكوينهما.

نشأة الحركة الصليبية * وتكوينها

أخــذت البابوية، أو الكنيسة الكاثوليكية تتمتع بنفوذ كبير منذ عهد البابا غريغوري السابع (١٠٧٣-١٠٨٥م) الذي يعود الفضل إليه في تحديد نوع الرابطة التي كانت تحكم العلاقــات بين الأباطرة والكنيسة، والتي أدت إلى خضوع الأباطرة وتبعيتهم للكنيسة فيما بعد [١].

وبعــد مــوت جــريجوري السابع، خلفه في منصب البابوية رجل قوي هو البابا أوربــان الثانــي الذي سار على نهج سلفه السابق، مما نتج عن ذلك زيادة قوة البابوية، وتصــاعد تأثــيرها في العالم الكاثوليكي، ليس فقط في الجوانب الدينية والكهنوتية، وإنما امتدت إلى مختلف شؤون الدولة وخاصة السياسية منها[٢].

ومع استنجاد الإمبراطور إليكسيوس كومنين بالبابا أوربان الثاني على أثر معركة "مانزيكــرت" [٣]، تولــدت لــدى البابا فكرة إرسال حملة صليبية إلى الشرق لإنقاذ القبر المقــدس مــن أيــدي المسلمين، وانتهاز فرصة الحرب هذه لبسط سيطرته على الكنيسة الشرقية [٤].

---

* لــم يكن مصطلح "الصليبيين" مستخدماً لدى المؤرخين المسلمين في العصور الوسطى وإنما تردد في كتاباتهم كلمــة "الفــرنج" التي عنت عندهم "الأوروبيين". ويمكن أن تُعَرف الحروب الصليبية بأنها: "الغزو الأوروبي للأراضــي المقدســة فــي أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، والذي أشعله البابا أوربان الثاني تحت شعار تخليص القبر المقدس".

(١) ســعيد عــبد الفــتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج١، التاريخ السياسي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٩١م، ص٣٤٥-٣٤٩.

(٢) حــامد غنــيم أبو سعيد، الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، ج١، مكتبة الشباب، القاهرة، ط١، ١٩٧١م، ص١٠٤؛ عاشور، المصدر السابق، ص١٠٤.

(٣) وقعت معركة مانزيكرت سنة ١٠٧١م بين السلاجقة والبيزنطيين بقيادة الإمبراطور رومانوس الرابع حيث أســفرت عــن هــزيمة الجــيش البيزنطي وأسر امبراطورهم، وترتب عليها أن فقد البيزنطيون جميع آسيا الصــغرى تقريباً، كما فقدوا دورهم كخط أول في الدفاع عن أوروبا وحماية العالم المسيحي في الشرق من خطر المسلمين.

(٤)Setton, Kenneth M., A history of the crusades, Vol.1, the university of Wisconsin press, second edition, Madison, 1969, pp. 226-229.

وفـــي مجمـــع كليرمونت في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٠٩٥م، وجه البابا أوربان الثاني دعوته إلى العالم المسيحي لشن حرب صليبية، و"مد يد العون لإخوانهم القاطنين في المشـــرق الذين يحتاجون إلى مساعدتهم وطالما التمسوها"، كما حثهم على قتال السلاجقة المســـلمين الذين وصفهم "بالجنس الخسيس"، وخاطب المحتشدين بـــ "جنود المسيح" الذين علـــيهم السير فرساناً ومشاة، أغنياء وفقراء، لقتال المسلمين [١]. ولم ينس أن يعلم الجميع بـــان المسيح قد أمر بان "كل من يذهب إلى هناك سوف تغفر له كل خطاياه إذا ما واجه حتفه زاحفاً في البر أو عابراً البحر" [٢].

وقـــد لاقـــت خطبة البابا هذه استجابة كبيرة من جميع الحاضرين فصاحوا جميعاً صـــيحة واحـــدة "هذه مشيئة الله Deus le volt"، وقام الأسقف أدهمار، أسقف بوي Puy وجثا امام قدمي البابا، راجياً أن يكون له شرف الإسهام في الحرب المقدسة، وبذلك يكون الأسقف أدهمار أول المتطوعين في هذه الحملة [٣].

ومـــن الملاحـــظ أن أحداً من كبار الأمراء لم يكن حاضراً مجمع كليرمونت، فكل الذيـــن احتشـــدوا بالمجمع كانوا من الفقراء. ومنذ البداية أحس البابا بحاجة مشروعة إلى دعـــم وتأثـــير القـــوى العلمانية، فطفق يتنقل بين المدن والبلدان داعياً للحرب الصليبية، وأرســـل مبعوثيـــن عنه إلى جنوا طالباً مساعدتهم، وبالفعل لبى بعض الأمراء وكثير من الناس دعوة البابا من معظم دول أوروبا مثل فرنسا وإيطاليا وإسبانيا واسكتلندا والدانمارك وغيرها [٤]، وكان التنظيم الكنسي هو الوسيلة الدعائية للهدف الجديد، فانتشرت الدعوة من

---

(١) مقتطفات من خطبة البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت سن ١٠٩٥م، أنظر: فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس (١٠٩٥-١١٢٧م)، ترجمة د. زياد العسلي عن الإنجليزية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٩٠م، ص٣٦. كما يمكن الرجوع للنص الكامل للخطاب في:

Fulcher of charters, Historia Hierosolymitana, A history of the expedition to Jerusalem 1095- 1127, translated by frances Rita Ryan, with an intorduction by Harlods. Fink, Xnoxville, Tenn, 1969, pp. 61-69.

(٢) لمعرفة المزيد عن الغفران والمكافأة للمشاركين في الحروب الصليبية، أنظر:

Riley - Smith, Jonathan, what were the crusades, The Macmillan Press Ltd, London, 1977, pp. 55-59.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، ج١، مكتـــبة الأنجلـــو المصـــرية، القاهـــرة، ط٤، ١٩٨٦م، ص١٠٦؛ كلـــود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، سينا للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٥٥م، ص٢٣.

(٤) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٠٧، أنظر أيضاً:

Finucane, Ronald C., Soldiers of the faith, J.M. Dent and Sons Ltd, London & Melbourne, 1983, P.80.

خـــلال الكنيسة والدير إلى كل ركن في أوروبا[1]، وكان لزاماً على كل مشترك أن يحمل علامة الصليب، رمز التضحية والوفاء، وعليه أن يوفي بالوعد بالمسير إلى بيت المقدس، وإلا تعرض للحرمان من الكنيسة [2].

تكوين الحملة الصليبية الأولى:

تألفت الحملة الصليبية الأولى من قسمين هما: الحملة الشعبية أو (حملة العامة)[3]، وحملـــة النـبلاء أو (حملة الأمراء). أما الحملة العامة فقد تألفت من جموع غفيرة ضمت الفقـــراء واللصـــوص والمعدميـــن والمجرميـــن والرهبان والنساء والأطفال، من مناطق أوروبية متعددة، غلب العنصر الفرنسي والألماني فيها. وقد قاد هذه الحملة بطرس الناسك ووالـــتر الملقب بالمفلس، إذ سلكت هذه الجموع الطريق البري عبر هنغاريا متوجهة إلى الأراضي البيزنطية إلى أن وصلت في نهاية المطاف إلى أسوار القسطنطينية في منتصف عـــام ١٠٩٦م [4]. ونتـــيجة الأفعـــال المشينة التي سلكتها هذه الجموع عند وصولها إلى القســـطنطينية والتي أغضبت الإمبراطور اليكسيوس كومينين أمر بإبعادهم عن العاصمة البيزنطـــية، إذ عـــبروا البوسفور وزحفوا على نيقية، وكانت عدتهم خمسة وعشرون ألفاً مـــنهم نحـــو خمســـمائة فارس [5]، فاصطدموا بالسلاجقة الذين أعملوا فيهم السيف فقتلوا غالبيتهم ولم ينج منهم سوى نحو ثلاثة آلاف فقط [6]. وبهذا تكون حملة العامة قد أخفقت ولم يبق من فلولها إلا القليل.

---

(١) يوشـــع براور، عالم الصليبيين، ترجمة د. قاسم عبده قاسم و د. محمد خليفة حسن، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨١م، ص٤٢.

(٢) ســـتيفن رنســـيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٦٨م، ص١٦٣. ولمـــزيد من التفاصيل عن المشاركين في الحملة وكذلك عن استبدال قَسَم المشارك فيها بشخص آخر أو التعويض عنه بالمال، أنظر:
Riley - Smith, what were the crusades, p.13, 46-47.

(٣) عن الحملة الشعبية أنظر: وليم الصوري، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج١، ترجمة وتقديم د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٠م، ص١٧٧ وما بعدها، أنظر أيضاً:
Setton, A history of the crusades, vol.1, pp. 253-262.

(٤) وصـــلت حملة والتر المفلس القسطنطينية في تموز سنة ١٠٩٦م، في حين وصلت حملة بطرس الناسك في آب من العام نفسه.

(٥) الصوري، المصدر السابق، ج١، ص١٨٣؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١١١.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص١١١.

أمـــا الشطر الثاني من الحملة، أي حملة الأمراء [1]، فقد جرى تنظيمها وإعدادها جـيداً، وحـوت جـنوداً محترفين، يقودهم عدد من الأمراء لكل منهم اتجاهاته وسياسته الخاصـــة، مما جعل هذه الحملة عبارة عن عدة حملات، إذ تم تكوين أربعة جيوش كبيرة اعتمدت في تنظيمها على التقسيمات الجغرافية والولاء المحلي والجنس واللغة للمشاركين فيها. فقاد "روبرت" دوق نورمنديا جيوش شمال وغرب فرنسا التي انضم إليها أتباع أخيه هـنري الأول ملـك إنجلـترا، وقـاد "جود فري دي بوايون" البولوني جيش الفلاندرز واللوريـن وشـمال غرب فرنسا، وتولى "ريموند الصنجيلي" قيادة جيوش جنوب فرنسا والبرفنســال ولانجــدوك، وأمــا الجـيش الـرابع المؤلف من النورمان فقد تولى قيادته "بوهيموند" وابن أخته "تنكرد" [2].

وكانت القسطنطينية هي نقطة تجمع الجيوش حيث التقت جميعها معاً في ربيع سنة ١٠٩٧م، وكـان عدد المحاربين فيها بين ستين ألفاً ومئة ألف [3]، وقد غلب عليها الطابع الفرنســي [4]. ويمكــن القول إنه مع وصول هذه القوات إلى القسطنطينية تكون المسألة الصـليبية قد بدأت في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، إذ وضع الإمبراطور "إليكسيوس كومنين" سياسة ثابتة تجاه الصليبيين، سار عليها خلفاؤه من بعده طوال قرن من الزمان، وقوام هذه السياسة هو استغلال الحركة الصليبية لتحقيق أهداف ومصالح الدولة البيزنطية الخاصة، وعندما فشل في ذلك انقلبت سياسته تجاه الصليبيين إلى عداء صريح [5].

ولمــا كان على إليكسيوس أن يواجه احتمال رؤية امبراطوريته ترزح تحت وطأة الجـيوش الأوروبية الضخمة، حاول الإمبراطور التوصل إلى نوع من الاتفاق مع القادة

---

(١) عن حملة الأمراء، أنظر:

Setton, A history of the crusades, Vol.1, pp. 284-304.

(٢) براور، المصدر السابق، ص٥٠، ٥١؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١١٥-١٢٥، أنظر أيضاً:

Wise, Terence, The wars of the crusades, Osprey publishing Ltd, London, 1978, P. 18.

وعن أسماء هؤلاء الزعماء كافة، أنظر: الصوري، المصدر السابق، ج١، ص١٧٥-١٧٦، ١٩٥، ٢١٢، ٢١٧.

(٣) رنسـيمان، المصدر السابق، ج١، الملحق٢، ص٤٨١-٤٨٨، وفي الحقيقة اختلفت المصادر في تقدير قوة الحملة الصليبية الأولى ولكن التقدير المقبول لمجمل القوة الصليبية المقاتلة نحو (٤٠٠٠) فارس و(٢٨,٥٠٠) مشاة، والباقي كان من النساء والشيوخ والرهبان وغيرهم، لمزيد من التفاصيل أنظر:

Wise, op,cit, P. 75, 76.

(٤) كاهن، المصدر السابق، ص٩٣.

(٥) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١١٦.

الصليبيين، إذ كان من الصعب عليه أن يتعامل معهم كمرتزقة، كما كان من الصعب عليه أن يعتبرهم حلفاء ، لذا اشترط عليهم ان يقسموا له يمين الولاء والتبعية [1]. وعلى الرغم من معارضة بعضهم لهذا الطلب مثل ريموند الصنجيلي، قطعوا في النهاية عهوداً أمام الإمبراطور، مقابل إمدادهم بالأدلاء والمؤن والأموال [2]، ثم قام الإمبراطور بنقلهم على وجه السرعة عبر المضائق إلى الأراضي الآسيوية، حيث شرعوا جميعاً في حصار نيقية، عاصمة السلاجقة سنة ١٠٩٧م، إلى أن استولوا عليها [3]. ثم غادر الصليبيون نيقية واستأنفوا مسيرتهم باتجاه ضورليوم، حيث كان الأتراك بانتظارهم. وهناك وقعت معركة فاصلة انتصر فيها الصليبيون، وجاءت بمثابة إعلان عن ظهور قوة الصليبيين الذين أثبتوا تفوقهم على قوة السلاجقة التي طالما عجزت أمامها الجيوش البيزنطية [4].

واصل الصليبيون زحفهم باتجاه قونية، وقد صادفوا كثيراً من المتاعب بسبب قسوة الطبيعة وقلة الزاد وندرة الماء، حتى هلكت معظم خيولهم ودوابهم [5]، فدخلوها دون قتال. وعند هذه النقطة انشق بلدوين وتنكرد عن الجيش الصليبي فعبرا ممرات طوروس، ووصلا إلى قليقية، وشرعا في إخضاع المدن التي تعترض طريقهما. غير أن الخلاف سرعان ما دب بينهما، فاندفع بلدوين شرقاً، يساعده الأرمن الذين كانوا يقيمون في أرجاء مختلفة من المنطقة المحصورة بين جبال طوروس ونهر الفرات، فأقام بلدوين معهم علاقات حميمة في الرها، أدت في نهاية المطاف إلى امتلاكها وإقامة أول إمارة صليبية فيها عرفت باسم كونتية الرها (أوديسة) [6].

---

(١) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١١٧-١٢٥.

(٢) براور، المصدر السابق، ص٥٢.

(٣) الصوري، المصدر السابق، ج١، ص٢٣١-٢٤١؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ص١٣١.

(٥) عن المتاعب والمخاطر التي عانتها القوات الصليبية في البر والبحر أثناء مسيرتها الطويلة لاحتلال الأراضي المقدسة، أنظر: الصوري، المصدر السابق، ج١، ص٢٤٩-٢٥٠. وأنظر أيضاً:
Finucane, Soldiers of the faith, pp. 49-65.

(٦) فولفغانغ مولر، القلاع أيام الحروب الصليبية، ترجمة محمد وليد الجلاد، دار الفكر، دمشق، ط٢، ص١٢.

في هذه الأثناء كان الجيش الرئيس الصليبي يتقدم في حركة التفاف واسعة مجانباً قيصرية ومرعش [١]، باتجاه مدينة أنطاكية الكبيرة والمحصنة جيداً [٢]، وكان أكثر سكان هــذه المدينة من السريان والأرمن. وبعد حصار دام سبعة أشهر، عانى خلاله الصليبيون المجاعــة الفتاكة [٣]، تمكنوا من دخول المدينة، حيث تطرفوا في قتل من وجدوه فيها من المسلمين من النساء والأطفال والرجال [٤].

وقــد جرت منافسة حادة بين بوهيموند وريموند الصنجيلي حول امتلاك أنطاكية، غير أن بوهيموند، نظراً لفضله الكبير في الاستيلاء على المدينة، تمكن من الاستئثار بها، دون مــراعاة للعهد الذي قطعه للإمبراطور البيزنطي [٥]، وبذلك ولدت الإمارة الصليبية الثانية في بلاد الشام، كما ولدت معها ما عرف بالمسألة الأنطاكية [٦]، التي أدت إلى تعقيد الموقــف بيــن البيزنطيين والصليبيين من جهة، وما بين زعماء الحملة الصليبية الأولى بعضهم مع بعض من جهة ثانية.

غزو الأراضي المقدسة وتأسيس مملكة بيت المقدس

(٤٩٢-٦٩٠هـ/ ١٠٩٩-١٢٩١م)

شــرع الجــيش الصليبي، بعد أن مكث نحو خمسة عشر شهراً في شمال الشام، مسيرته التالية قاصداً بيت المقدس في ربيع العام ١٠٩٩م، وقد اتخذ الطريق الداخلي دون

---

(١) حــول مدينتــي قيصرية أو قيسارية ومرعش، أنظر: أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود، تقويم البلدان، ط. باريس، ١٨٤٠م، ص٣٨٢.

(٢) عن وصف مدينة أنطاكية، أنظر: الصوري، المصدر السابق، ج١، ص٢٧٤-٢٧٨.

(٣) ابــن العديم، عمر بن عبد العزيز بن أبي جرادة، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج١، تحقيق د. سهيل زكار، دار الكــتاب العربــي، دمشق، ط١، ١٩٩٧م، ص٣٥٠؛ الصوري، المصدر السابق، ج١، ص٢٨٦-٢٨٩، ٢٩٤.

(٤) ابــن العديــم، المصـــدر الســـابق، ج١، ص٣٤٩، وعن سقوط أنطاكية، أنظر: ابن الأثير، علي بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، ج١٠، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م، ص٢٧٥ وما بعدها؛ ابن العديم، المصدر السابق، ج١، ص٣٤٧-٣٥١؛ ابن تغري بردى، جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٥، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٣٥م، ص١٤٧.

(٥) الصوري، المصدر السابق، ج١، ص٣٦٧.

(٦) جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، ط ٣، ١٩٨١م، ص٢٤٩.

المـــرور بالمدن الداخلية القوية. وفي الحقيقة لم يتوقف الجيش الصليبي لكي يستولي على المدن والقلاع، باستثناء مدينة طرابلس اللبنانية، إذ أخذت المدن الساحلية والداخلية التابعة للفاطميين تسقط بيد الصليبيين الواحدة تلو الأخرى، أو تسالمهم، فسالمتهم بيروت [١]، واستعصت عليهم صيدا، وسقطت بيدهم اللد والرملة [٢]. وكان المسلمون قد هجروا ميناء يافا والرملة دون قتال، ثم توجهوا صوب القدس [٣] حيث بلغوها في السابع من حزيران عام ١٠٩٩م [٤]، وشرعوا في حصارها الذي استمر طوال خمسة أسابيع، حتى سقطت في نهاية المطاف بيد الصليبيين الذين عملوا على استباحتها وقتل كل من وجدوه فيها[٥]، وتحقق بسقوطها هدف الحملة الصليبية الأولى التي استمرت ثلاث سنوات.

وبعد أن استقرت الأمور للصليبيين في بيت المقدس، صارت الخطوة التالية أمامهم هي التوسع والإستيلاء على بقية المدن الفلسطينية. وحقيقة الأمر لم يصادف الصليبيون صعوبة كبيرة في ذلك، لخلو المدن من وسائل الدفاع، ولموجة الرعب التي انتابت الناس إثر سقوط بيت المقدس. فكان أن أسرع أهالي نابلس إلى الاستسلام، وتسلمها تنكرد في أواخر تموز ١٠٩٩م [٦].

وما ان فرغ تنكرد من هذه المهمة، حتى وصلت أخبار وصول حملة فاطمية كبيرة بهدف استعادة بيت المقدس، فما كان من الصليبيين إلا أن قطعوا الطريق عليهم قرب عسقلان، وألحقوا بالفاطميين برئاسة الوزير الأفضل، هزيمة كبيرة [٧] كان لها أكبر الأثر في ترسيخ أقدام الصليبيين في القدس فيما بعد، وضمنت لهم توسيع نطاق سيطرتهم.

كانت أهداف غودفري الأولية هي الإستيلاء على المدن الساحلية في فلسطين ولبنان، إذ كان ذلك ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها لاستمرار المملكة التي اعتمد

---

(١) Setton, A history of the crusades, vol.1, p. 328, 331

(٢) رنسيمان، المصدر السابق، ج١، ص٣٩٠-٣٩٢؛ براور، المصدر السابق، ص٥٧.

(٣) عن وصف مدينة القدس وما حولها، أنظر: الصوري، المصدر السابق، ج١، ص٤٠٦-٤١٥.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٤١٥.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص٤٣٦-٤٣٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٣؛ براور، المصدر السابق، ص٥٩.

(٦) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٢٠١.

(٧) ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن علي بن أسد التميمي، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق آمدروز، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م، ص١٣٧؛ الصوري، المصدر السابق، ج٢، ص٦٣٢-٦٣٣.

وجودها على فيض الإمدادات القادمة من أوروبا لجلب المقاتلين والمهاجرين. وسرعان ما سقطت يافا وأرسوف وقيسارية وعكا وبيروت وصيدا بيد الصليبيين على التوالي خلال العقد الأول من القرن الثاني عشر [١]، ولم يبق من مدن الساحل سوى مدينة طرابلس التي تعرضت لحصار طويل دام خمس سنوات إلى أن سقطت في العام ١١٠٩م [٢]، وبسقوطها ولدت الإمارة الصليبية الرابعة - إمارة طرابلس- بزعامة ريموند الصنجيلي. أما مدينتا صور وعسقلان الحصينتان، فقد سدت المنافذ عليهما بإشادة حصون صغيرة بقربهما، ريثما يتوفر الدعم البحري لاحتلالهما فيما بعد [٣].

وبعد أن أخضع الصليبيون الشريط الساحلي لسيطرتهم، تحول اهتمامهم نحو الشرق، فغزوا في العام ١١١٥م شرقي الأردن، وأقاموا خطاً من التحصينات كانت فيه قلعتا الكرك والشوبك من أهمها، وتمكن بذلك الصليبيون من السيطرة على واحد من أهم الشرايين التجارية والعسكرية عند المسلمين[٤].

وبعد عام ١١١٨م، نقل الصليبيون بؤرة الصراع مع المسلمين إلى المناطق الشمالية الشرقية من البلاد، كما حققوا نجاحاً آخر في الجنوب باستيلائهم على ميناء صور في العام ١١٢٤م بمساعدة الأسطول البندقي[٥]. وبهذا الإنجاز، يكون الصليبيون قد ثبتوا الحدود الغربية الطبيعية للمملكة الصليبية، ولم يبق من الساحل سوى ميناء عسقلان الذي سقط في العام ١١٥٣م [٦].

---

(١) مولر، المصدر السابق، ص١٤.

(٢) عن سقوط وتأسيس إمارة طرابلس، أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٧٥-٤٧٦؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٧٩؛ أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٦١.

(٣) مولر، المصدر السابق، ص١٤.

(٤) براور، المصدر السابق، ص٦٦.

(٥) أدت القوى البحرية الإيطالية دوراً بارزاً في حصار المدن الإسلامية على شاطئ البحر المتوسط، وكان من بين كل المدن البحرية الإيطالية، فإن الجنوية هم وحدهم الذين شاركوا في الحملة الصليبية منذ بدايتها دون توقف. لمزيد من التفاصيل عن دور القوى البحرية الإيطالية والامتيازات الممنوحة لها، أنظر:
Prawer, Joshua, The Latin Kingdom of Jerusalem, European Colonialism in the middle ages, weidenfeld & Nicolson, 5 winsley st, London w1, 1972, pp.482-502.

وانظر أيضاً: رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص٥٠٣-٥٠٧.

(٦) براور، المصدر السابق، ص٦٣.

أما الإمارات الصليبية الأخرى، فقد أخذت بالعمل على توسيع ممتلكاتها أيضاً على حساب الإمارات الإسلامية العديدة المجاورة، فكانت منطقة الجزيرة وشمال الشام مسرحاً لسياسة الرها التوسعية، ومنطقة إمارة حلب والمناطق الساحلية مسرحاً لسياسة أنطاكية التوسعية [١]، واما إمارة طرابلس فكان مجال توسعها نحو المناطق الساحلية والمناطق الداخلية التابعة لكل من حمص ودمشق [٢].

وفي الواقع كان الصليبيون كلما غزوا مدينة، استقروا فيها مغتنمين حالة الفراغ التي أحدثتها الحرب، غير أنهم لم يغيروا من طبيعة هذه المدن. ففي إمارة الرها التي كانت في الأصل بيزنطية، ويشكل الأرمن فيها الأغلبية الساحقة من سكانها، لم يتطور التوطين الصليبي فيها قط، ولم تتمكن من تلقي دعم الحجاج ولا إمدادات التجار الإيطاليين[٣]. وكان على هذه المقاطعة المسيحية الشرقية التي يحكمها الغرب اللاتيني أن تواجه المركزين الإسلاميين الكبيرين في الموصل وبغداد باعتبارها حصن الصليبيين في الشمال الشرقي [٤].

وفي الغرب، كانت تقع إمارة أنطاكية، التي غلب فيها السكان المسيحيون المحليون مع بعض السكان المسلمين من العرب والأتراك [٥]. وقد أضاف الصليبيون أنفسهم إلى هذا المزيج القومي والديني. وعندما أصبح بوهيموند أول حاكم لها، كان طبيعياً أن تجتذب هذه المقاطعة موجات الهجرات اللاحقة من النورمان في جنوب ايطالية وصقلية وفرنسا وإنجلترا[٦].

أما إمارة طرابلس الصليبية، فكان أغلب سكانها من المسلمين، إضافة إلى طائفة المسيحيين الشرقيين اليعاقبة، وطائفة الموارنة المتميزة، وكان جميع السكان فيها يتحدثون

---

(١) أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٨، ١٨٣.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٣.
(٣) كاهن، المصدر السابق، ص١٠٢.
(٤) براور، المصدر السابق، ص١١٨.
(٥) كاهن، المصدر السابق، ص١٠٢.
(٦) براور، المصدر السابق، ص١٢٠.

العربــية. وكانـــت هــذه الإمارة قد تمتعت بحدود آمنة مشتركة مع إمارتي أنطاكية في الشمال، والقدس في الجنوب (١).

أمـــا مملكة القدس، فقد أضفت عليها المدينة المقدسة هيبة خاصة تجتذب الحجاج إلـــيها، كمـــا اجتذبت معظم المهاجرين أيضاً، وكان سكانها الصليبيون ينتمون إلى شمال فرنســـا (٢). وقد بلغت حدود المملكة أقصاها واستقرت بشكل نهائي في الشرق والجنوب علـــى طـــول حدود صحراء سوريا وشرق الأردن والنقب وسيناء، وشكلت بذلك الحدود الطبيعية البرية للمملكة (٣).

ومن الجدير بالذكر ان الإمارات الصليبية جميعها قد عانت من مشكلة النقص في القـــوى البشـــرية التي كانت السبب الرئيس في نهاية كياناتهم اللاتينية في الشرق، وكان تطلعهـــم لقدوم هجرات جماعية من أوروبا لتثبيت كياناتهم المطلب الأول لهم دائماً. غير أن مخاطـــر الطرق البرية التي واجهوها، على الرغم من ملاءمتها لنقل الأعداد الضخمة من المحاربين، جعلتهم يقتصرون في نقل المهاجرين على استخدام الطرق البحرية التي لم تكـــن لتفي بالغرض المطلوب نظراً للصعوبات الفنية المصاحبة، وللحمولات القليلة نسبياً لسفن ذلك الزمان (٤).

وقـــد كانـــت نســـبة الصليبيين داخل حدودهم قياساً بأعدائهم المسلمين، لا يتجاوز واحداً إلى خمسة تقريباً، مما يدل على فشل الصليبيين في الإستعمار الإستيطاني (٥). غير أن مـــن حسن حظ الصليبيين أن المسلمين كانوا عاجزين عن توحيد جهودهم وإمكاناتهم على الرغم من رابطة الدين واللغة والثقافة التي جمعتهم (٦).

---

(١) براور، المصدر السابق، ص١٢٠.

(٢) كاهن، المصدر السابق، ص١٠٢.

(٣) براور، المصدر السابق، ص١٢٢.

(٤) المصدر نفسه، ص١٢٥.

(٥) بلـــغ العـــدد الكلـــي للصـــليبيين في الشرق نحو ربع مليون نسمة قبيل معركة حطين عام ١١٨٧م، أنظر: المصدر نفسه، ص١٢٦.

(٦) المصدر نفسه، ص١٢٧.

ورغـم اشـتراك جمـيع صليبي الشرق في ظروف معيشية متشابهة وتعرضهم للمخاطـر نفسها التي تحدق بهم من جراء زرع هذه الإمارات الغريبة في جسد المشرق الإسـلامي، إلا أنـه لم تقم بينهم أيضاً أية وحدة سياسية ولا أي نوع من الإئتلاف، ولم تكـن لمملكة بيت المقدس أية سلطة مؤسسية على الإمارات الأخرى، كما لم يكن الشعور بالتضامن بينهم فاعلاً إلا في حالات الخطر الشديد[١].

(١) كاهن، المصدر السابق، ص١٠١، ١٠٢؛ رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص٦.

نشأة الحركة الصهيونية وتكوينها

تطور الظاهرة الصهيونية

الصــهيونية [1] ليســت حــركة عالمــية، كمــا أنها ليست ثمرة تفاعل مثل هذه الحــركات، وإنما هي ثمرة قوى حضارية وسياسية واجتماعية واقتصادية داخل التشكيل الحضاري الغربي[2].

ويرى الصهاينة أن الحركة الصهيونية بدأت مع التاريخ اليهودي ذاته وأنها لازمت اليهود عبر تاريخهم الطويل. وأن اليهود من منظور صهيوني، يشكلون (قومية) مع أنهم لا يوجــدون فــي مكــان واحــد، ولا يتحدثون اللغة نفسها، ولا يتصفون بنفس الصفات العرقية، ولا يخضعون للظروف المعيشية ذاتها [3]. وقد بدأت المسألة اليهودية [4] يوم أن ترك اليهود وطنهم (فلسطين) قسراً حسب زعمهم، والصهيونية هي التي ستضع نهاية لهذا الوضــع عــن طريق آلية جديدة تضمن لليهود تحقيق هدفهم بالعودة إلى فلسطين. ولهذا، تنظر الصهيونية إلى نفسها باعتبارها التعبير الحقيقي عن مسار (التاريخ اليهودي) [5].

والصــهيونية بمعــناها الدينــي تشير إلى جبل صهيون والقدس، بل إلى الأرض المقدســة كلهــا، كمــا يشير المصطلح أيضاً إلى نظرة محددة لليهود ظهرت في أوروبا

---

(١) الصــهيونية هــي: "الحــركة التي قامت في العالم الغربي، ودعت إلى نقل كل أو بعض أعضاء الأقليات الـيهودية مــن أوطــانهم وتوطينهم خارج أوروبا"، وقد تحددت هذه البقعة في النهاية بفلسطين، أنظر: عبد الوهــاب محمــد المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، المرحلة الجنينية، دار الحسام، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ص٣١.

(٢) المصدر نفسه، ج١، المقدمة، ص٢١.

(٣) المصدر نفسه، ج١، المقدمة، ص١٩.

(٤) المسألة اليهودية هي اصطلاح أطلق على تعثر عملية التحديث لليهود في أوروبا، وهي المشكلة التي كانوا يسمونها (Productivization of the Jews) أي تحويل اليهود إلى قطاع إنتاجي حتى يتمكنوا من المساهمة فيه بــدلاً من أن يكونوا عبئاً عليه، أنظر: عبد الوهاب محمد المسيري، الإستعمار الصهيوني وتطبيع الشخصية اليهودية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ص٤٦.

(٥) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص٢٠.

(وخاصة في الأوساط البروتستانية [1] في إنجلترا ابتداءً من أواخر القرن السادس عشر) وتــرى أن الــيهود ليســوا جــزءاً عضــوياً مــن التشكيل الحضاري الغربي، لهم من الحقــوق وعلــيهم مــن الواجــبات ما عليهم، وإنما نظرت إليهم على أنهم شعب مختار يجــب أن تــتم عودتهــم إلى (وطنهم فلسطين) وأن يُهجّروا إليه [٢]. وقد أُطلق على هذا التــيار المــنادي بتوطيــن الــيهود فــي فلســطين اســم "الصهيونية غير اليهودية" أو "المسيحية" [٣].

ومــع تــزايد العلمانــية فــي المجــتمعات الغربية ظهرت نزعات صهيونية في أوســاط الفلاســفة والمفكريــن السياســيين والأدبــاء تــنادي بإعادة توطين اليهود في فلســطين لأســباب تاريخية وسياسية وعلمية، وقد أطلق على هؤلاء اسم "الصهاينة غير اليهود" [٤].

وفي أواخر القرن التاسع عشر بدأت النزعات الصهيونية تظهر بين اليهود أنفسهم، حيــث عــبّرت عــن نفسها بادئ الأمر عن طريق الصدقات والإحسان التي كان يرسلها أثرياء اليهود في الغرب إلى إخوانهم البائسين في شرق أوروبا لمساعدتهم على البقاء أو الإســتيطان في بلادهم أو أي بلد آخر ومنها فلسطين. كما عبّرت هذه النزعة عن نفسها

---

(١) كانــت المــبادئ البروتستانتية التي وضعتها حركة الإصلاح الديني بزعامة مارتن لوثر في القرن السادس عشــر مغايــرة تماماً للمبادئ الكاثوليكية السابقة. وتُوصف هذه الحركة بانها بعث "عبري" أو "يهودي"، وقد انصــب اهتمام الحركة على العالم القادم وساد الإعتقاد بالمسيح المنتظر والعهد الألفي السعيد اللذين هما من مقومــات المبادئ اليهودية. لمزيد من المعلومات عن البروتستانتية، أنظر: رجينا الشريف، الصهيونية غير الــيهودية – جذورها في التاريخ الغربي – ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٥م، ص٢٩–٥٦.

(٢) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص٢٦.

(٣) الصــهيونية غــير الــيهودية هي: مجموعة المعتقدات التي كانت منتشرة بين غير اليهود والتي تهدف إلى تأييد إقامة دولة يهودية في فلسطين بوصفها حقاً لليهود، وعلى ضوء ذلك فإن الصهاينة غير اليهود هم أولئك الذين يؤيدون أهداف الصهيونية ويشجعونها بشكل صريح وعلني، وتمارس هذه الفئة بعثاً جديداً لها الآن في الولايــات المتحدة الأمريكية وخاصة في الأوساط البروتستانتية (الأصولية) منها، أنظر: الشريف، المصدر السابق، ص١٠.

(٤) للإستزادة حول هذه النقطة، أنظر: المصدر نفسه، ص٥٧–١٧١.

أيضاً بين اليهود من خلال ما عُرف بجماعات أحباء صهيون * التي حاولت التسلل إلى فلسطين للإستيطان فيها، وقد أُطلق على هذا التيار إسم "الصهيونية اليهودية" (١).

وبهـذا يمكن تقسيم تطور الظاهرة الصهيونية إلى قسمين: صهيونية غير يهودية، وصهيونية يهودية، حيث تلتقيان في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في مرحلة هرتزل وبلفور(٢)، ثم تتطور بعد ذلك الظاهرة الصهيونية بين اليهود أنفسهم وتنقسم إلـى ثلاثـة أقسام وهي: صهيونية خارجية أو سياسية، وصهيونية استيطانية أو العملية (التسللية)، وصهيونية ثقافية ودينية (٣).

ومـن الجدير بالذكر أن الظاهرة الصهيونية قد تبلورت بسرعة بعد توقيع معاهدة لـندن لـتهدئة المشرق عام ١٨٤٠م (٤) والتي طرح فيها فكرة فصل سوريا عن كل من محمـد علي باشا وتركيا، أي حل ما عرف بالمسألة الشرقية "وهي وضع الإمبراطورية العثمانية المتردي التي كانت فلسطين جزءاً لا يتجزأ منها" (٥)، مع المسألة اليهودية وذلك عن طريق توظيف اليهود في حل المسألة الشرقية (٦).

ويمكن القول أن الصيغة الصهيونية قد ولدت في ذلك العام أي عام ١٨٤٠م وهي: نقـل الـيهود مـن أوروبا إلى فلسطين بمساعدة الدول الغربية في نظير أن تصبح المادة البشـرية الجديـدة (الـيهود) عميلةً لها (٧). وأصبحت هذه الفكرة قضية مطروحة على

* كانـت التسـمية الروسية لها "حب فلسطين" ورفعت شعار "إلى فلسطين"، ثم سميت بإسم أحباء صهيون عام ١٨٨٤م، متخذة من جبل صهيون في القدس رمزاً لها، وقد حصلت على الإعتراف الرسمي بها عام ١٨٩٠م تحت إسم آخر هو "جمعية مساعدة المزارعين والمهنيين اليهود في فلسطين وسوريا".

(١) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص٢٧.

(٢) هـو اللورد آرثر جيمس بلفور (١٨٤٨-١٩٣٠م) صاحب الوعد المشؤوم ووزير خارجية بريطانيا الأسبق في عهد رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج.

(٣) المسـيري، موسـوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص٢٨، ٢٩، ٦٧. كذلك ظهر العديد من المصطلحات بعد تأسـيس الكـيان الصـهيوني مثل: الصهيونية الديمقراطية، وصهيونية الشتات، وصهيونية الخط الأخضر وغيرها، أنظر: المصدر نفسه، ج١، ص٢٨-٣٢.

(٤) وُقِّعت هذه المعاهدة بين الدول الغربية كلها ومحمد علي والي مصر للحد من طموحاته ومشاريعه الوحدوية مع سوريا وليتمكنوا من اقتسام تركة الرجل المريض، انظر: المصدر نفسه، ج١، ص٥٨.

(٥) الشريف، المصدر السابق، ص١١٤.

(٦) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص٥٨.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٥٩.

المستوى السياسي، وبدأت تتحول إلى فكرة مركزية في أذهان المفكرين الصهاينة من غير اليهود الذين أصبحوا قريبين من صانعي القرار، وأصبح للقوى الدنيوية دور هام في تنفيذ هــذه الأفكار، ولم تعد التوبة واعتناق اليهود للمسيحية، شرطين لازمين لعودة اليهود إلى فلسطين [١].

وقــد ظهر العديد من الصهاينة غير اليهود الذين دعوا إلى إعادة استرجاع اليهود لفلســطين وخاصـــة في إنجلترا في أربعينات القرن السابع عشر. ولم تكن هذه الدعوات محصورة في إنجلترا وحدها، بل امتدت إلى أرجاء أوروبا كافة، حيثما كان للبروتستانية وجــود. فكان لهولندا وألمانيا وفرنسا واسكندنافيا نصيبها من الصهيونية التي تؤمن بعودة اليهود إلى أرض أجدادهم [٢].

ولم يمض وقت طويل حتى بدأت الأمور العملية وهي موعد وكيفية العودة تحظى باهــتمام كبــير. فقد ظهرت مع منتصف القرن التاسع عشر بداية تقارب الصهاينة غير الــيهود كالــتقارب الذي حصل مع اللورد إيرل شافتسبري (١٨٠١-١٨٨٥م) الذي كان تركيزه منصباً على إعادة اليهود كشعب لفلسطين مع المليونير اليهودي البريطاني الجنسية موســى مونتفــيوري (١٧٨٤-١٨٨٥م) [٣]. ولكـــن كان لظهور شخصيات مثل لورنس أوليفنــت (١٨٢٩ – ١٨٨٨م) عضـــو البرلمان البريطاني، ووزير الخارجية والصحفي والمتديــن المــتطرف، الأثر الفعال في إدراك أن الحل الأمثل للمسألة اليهودية يكمن في الوصول إلى المادة البشرية (اليهود) المطلوب تجنيدها لتحقيق المشروع الصهيوني، وهذا لــن يــتأتى إلا من خلال ظهور شخصيات يهودية من نفس المادة البشرية، تتكلم لغتها، وتكون موضوع ثقتها، وقادرة على تجنيدها لصالح الحضارة الأوروبية [٤].

---

(١) كانــت الــيهودية الحاخامية تحرم العودة الجماعية الفعلية إلى فلسطين وتعتبرها هرطقة ومن قبيل التعجيل بالنهاية أي الضغط لإجبار الماشياح على الظهور. وهي تؤمن بأن العودة إلى أرض الميعاد يجب أن تتم في الوقت الذي يحدده الرب وبطريقته، وليس عن طريق فعل البشر.

(٢) الشريف، المصدر السابق، ص٦٠، ٦١، ٦٢.

(٣) المســيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص٨٠-٨١. وعن اهتمام شافتسبري باليهود ومناصرته لهم، أنظر: الشريف، المصدر السابق، ص٨٩-٩٢.

(٤) المســيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص٨١. وعن دور أوليفنت في مناصرة قضية اليهود، انظر: الشريف، المصدر السابق، ص١٤٠-١٤٢.

ولم يكن ممكناً لأوليفانت أو غيره من الشخصيات البارزة أن تُحوّل المد التاريخي عــن مجراه، ولا أن تُغيّر المادة البشرية (اليهود) المطلوب تجنيدها- والقابعة في الجيتو* تمارس حياتها اليومية بمعزل عما يجري حولها، وتنظر بكثير من الشك إلى عالم الأغيار الــذي كــان يهاجمها في الماضي بالذبح، ويهاجمها الآن بالعتق والعلمانية- إلا بتحولات تاريخــية واجتماعــية عمــيقة والتي عبرت عن نفسها من خلال قيام الثورة الصناعية/ التجارية/ الرأسمالية وأدت في النهاية إلى ظهور الصهيونية بين اليهود أنفسهم (١).

ويمكــن القول أن إسهامات الصهيونيين غير اليهود السياسية قد وضعت الأساس للحل الإستعماري الغربي للمسألة اليهودية (٢)، كما أنها أظهرت مشكلة المهاجرين اليهود الذيــن هاجروا من روسيا وبولندا ورومانيا على أنها ليست مشكلة إنسانية تتطلب حلولاً إنسانية، أو على أنها مشكلة أوروبية أسهمت عملية التحديث الأوروبية في ظهورها، وإنما نظــر إليها على أنها مشكلة شعب مقدس أو مادة بشرية مستقلة يمكن توظيفها في عملية الخلاص المسيحية أو المشاريع التجارية الإستعمارية الغربية المختلفة (٣).

الإتجاهات الصهيونية (٤)

كان نتيجة الثورة الصناعية/ الإقتصادية/ الإجتماعية التي اجتاحت أوروبا، ظهور اختلافات عميقة بين تجربة اليهود في غرب أوروبا واليهود في شرقها، حيث انعكس ذلك أيضاً على الإتجاهات الصهيونية التي نشأت بين اليهود. ويمكن تقسيم هذه الإتجاهات إلى إتجاهين رئيسين (٥):

---

* الجيــتو (Ghetto) : هو حي مقصور على احدى الأقليات الدينية أو القومية، وتستخدم بشكل خاص للإشارة لأحياء اليهود في أوروبا. وقد أقيم أول حي يهودي يطلق عليه كلمة "جيتو" في البندقية عام ١٥١٦م.

(١) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص٧٩، ٨١.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٧٧، ٧٨.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٧٨.

(٤) الاتجاه يعني الاختلاف على التفاصيل والديباجات داخل إطار من وحدة خاصة بالثوابت والعموميات والقاسم المشترك الأعظم، والإتجاه هو فرع من فروع مصطلح "المدرسة" التي تعني اتجاهاً فكرياً أو سياسياً محدداً، أنظر: المصدر نفسه، ج٢، ص٦٨.

(٥) عن الإتجاهات الصهيونية بين اليهود، أنظر: صلاح الدين البحيري وآخرون، مدخل إلى القضية الفلسطينية، دار البشــير للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٩٧م، ص١٣٣-١٣٥؛ المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص٤٠-٤٨، ٦٧-٧١.

الإتجاه الأول- الصهيونية اليهودية الغربية [1]

رأى أصحاب هذا التيار في اليهود الشرقيين الوافدين على أوروبا الغربية نتيجة تعثر محاولات التحديث لهم في روسيا وشرق أوروبا [2]، خطراً يتهدد مصالحهم، فسعوا إلى مساعدة إخوانهم في الدين من خلال مشاريع صهيونية خيرية خالية من أية ديباجة قومية أو دينية أو إستعمارية، هدفها توطين هؤلاء اليهود الشرقيين وحدهم بغض النظر عن مكان هذا التوطين سواء أكان في الأرجنتين أم في أوغندا أم في فلسطين [3]، وكان من هؤلاء إدمون جيمس دي روتشيلد (١٨٤٥ - ١٩٣٤م)، وموسى مونتفيوري، وموريس دي هيرش (١٨٣١ - ١٨٩٦م).

ومن هنا كان الصهيونيون اليهود الغربيون يشبهون الصهاينة غير اليهود، ولم ينضموا إلى المشروع الصهيوني إلا بعد أن ظهر إلى حيز الوجود كجزء من المشروع الإستعماري الغربي، وعلى أساس انتمائهم الغربي اولاً وكونهم يهوداً ثانياً، حيث تحولت صهيونية هؤلاء إلى الصهيونية العمومية بعد صدور وعد بلفور، وصهيونية الدياسبورا (الشتات) أو الصهيونية الخارجية بعد عام ١٩٤٨م [4].

ولكن يجب أن نشير إلى أن كتابات الرواد اليهود الأوائل كان لها تأثير كبير على أثرياء اليهود في غرب أوروبا كأمثال الحاخام تسفي هيرش كاليشر (١٧٩٥ - ١٨٧٤م) الذي دعا هؤلاء الأثرياء لتقديم المساعدات لإنشاء المستوطنات الزراعية في فلسطين، كما أشار عليهم بتأسيس شركة للإستعمار تعمل على جمع الأموال لشراء الأراضي في فلسطين[5].

---

(١) أطلق عليها الدكتور عبد الوهاب المسيري في مؤلفه موسوعة تاريخ الصهيونية مصطلح صهيونية الأثرياء اليهود المندمجين في الغرب أو صهيونية الإغاثة والدعم.

(٢) عندما تفاقمت المسألة اليهودية، كان الحل الإستعماري لها في الصهيونية من خلال طرح حلول ترمي إلى تحديث اليهود لأن أزمتهم نجمت عن ارتباطهم اقتصادياً وحضارياً بالمجتمع الإقطاعي الأوروبي البائد، ومن ثم لا بد من إعادة صياغة وتكييف أنفسهم في المجتمع التجاري/ الصناعي الأوروبي الجديد.

(٣) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص٩٩.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٢.

(٥)Mandel, Neville, Turks, Arabs, and Jewish immigration into palestine, 1882-1914, Middle eastern affairs, oxford, 1965, P.79.

وانظر أيضاً: حسان علي حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (١٨٩٧-١٩٠٩م)، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م، ص٤١.

شرق أوروبا مشكلتين: إحداهما سياسية واجتماعية والأخرى مشكلة الهوية [1]، وقد ظهر ذلك من خلال إتجاهين صهيونيين هما:

١-الصهيونية العملية أو (الإستيطانية): كان من أوائل الدعاة لهذا الإتجاه الكاتب الروسي اليهودي فوشيه ليب ليلينبلوم (١٨٦٤-١٩١٠م) والطبيب الروسي اليهودي (ليو) بنسكر (١٨٢١- ١٨٩١م) الذي لا يختلف فيه فكراهما كثيراً عن الآخر.

تناول بنسكر في كراسه الشهير "الإنعتاق الذاتي" وضع اليهود غير القابل للإندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها، ودعا إلى أن يصبح اليهود أمة ورأى في الحلول المطروحة مثل الإندماج أو الهجرة الفردية بأنها حلول غير عملية، وان الحل يكمن في نقل الفائض اليهودي إلى خارج أوربا، كما أكد فكرة الشعب اليهودي كوجود دائم وكغاية نهائية [2].

٢-الصهيونية الثقافية أو (الروحية) والصهيونية الدينية [3]:

لم تكن المسألة اليهودية في شرق أوروبا ذات أبعاد إجتماعية وإقتصادية فحسب، بل كان لها أيضاً بعد ديني وإثني. فكان لابتعاد الشباب اليهود عن الدين، وميل بعضهم للإندماج في المجتمعات التي يعيشون بها، وزيادة معدلات الزواج المختلط، خطر حقيقي على الهوية اليهودية [4].

كما كان لأحداث عام ١٨٨١م في روسيا وهزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى أثرهما في زيادة التمسك بالقومية السلافية والقومية الألمانية، ونبذ الأقليات الإثنية الأخرى وعلى رأسها اليهود، فطرحت بذلك مشكلة الهوية نفسها على يهود شرق أوروبا [5].

---

(١) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص١٠٢.

(٢) لمزيد من التفاصيل، أنظر: صايغ وآخرون، المصدر السابق، ص٧٩-٩٦.

(٣) أطلق عليها الدكتور عبد الوهاب المسيري في مؤلفه موسوعة تاريخ الصهيونية، مصطلح صهيونية الخطاب الجيتوي: إثنية/لا دينية، وإثنية/ دينية.

(٤) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص١١٠.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص١١١.

وعلى الرغم من عدم إيلاء صهاينة الغرب، والصهاينة اليهود مثل بنسكر وليلينبلوم وهرتزل مشكلة الهوية اليهودية أو الكيان الذي سيأوي الفائض اليهودي إهتماماً كبيراً، أخذ تيار جديد يدعو إلى تعميق مفهوم الهوية للمشروع الصهيوني حيث انقسم إلى إتجاهين: أحدهما يرى أن الدين اليهودي هو أحد مكونات (القومية) اليهودية وهو ما يطلق عليه اصطلاح الصهيونية الثقافية أو الروحية، في حين يرى الإتجاه الآخر أن الدين اليهودي هو أساس (القومية) اليهودية، وهو ما يطلق عليه إصطلاح الصهيونية الدينية[١]، وكلا الإتجاهين يدعو إلى الإثنية اليهودية، ولا يختلفان إلا في مصدر هذه الإثنية: أهو العقيدة اليهودية، أم ما يسمونه التاريخ اليهودي والثقافة اليهودية.

أ-الصهيونية الثقافية أو الروحية:

يعد آحادهعام (١٨٥٦-١٩٢٧م) اليهودي الروسي أهم المفكرين في هذا الإتجاه، وينطلق فكره من أن اليهود يمكن أن يصبحوا شعباً عضوياً كما كان في السابق، ويرى أن العقيدة اليهودية هي التي مكنت اليهود من الاحتفاظ بوحدتهم وتماسكهم الإثني طوال القرون الماضية [٢]. كما أنه كان من أوائل المفكرين الصهاينة الذين أسبغوا الصهيونية على اليهودية بعد إفراغها من مضامينها الدينية وإحلال المفاهيم الإثنية محلها[٣].

وقد اقترح آحاد هعام لحل مشكلة الهوية أو المشكلة الثقافية إنشاء مركز ثقافي في فلسطين ليكون مركزاً لبعث (القومية) اليهودية في نفوس أعضاء الأقليات اليهودية المنتشرة في العالم كافة [٤]. وهذا العمل الثقافي لا بد أن يسبق قيام أي دولة، والدولة التي ستقام في فلسطين ستكون دولة يهودية وليست دولة يهود، أي دولة إثنية [٥].

---

(١) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص١١٢-١١٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١١٤.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١١٤.

(٤) صايغ وآخرون، المصدر السابق، ص١٥٩-١٦٠، وانظر أيضاً: يوسف هيكل، فلسطين قبل وبعد، بيروت، ط١، ١٩٧١م، ص٩٠.

(٥) صايغ وآخرون، المصدر السابق، ص١٦٠.

ب-الصهيونية الدينية:

يمـــثل هذا التيار كل من الحاخام صموئيل موهيليفر (١٨٢٤-١٨٩٨م) والحاخام ميخائـــيل بايـــنس (١٨٤٢- ١٩١٢م) والحاخام إبراهام إسحق كوك (١٨٦٥- ١٩٣٥م). والصهيونية الدينية تتبنى في جوهرها الأفكار الدينية التقليدية ولكن مع تأكيد البعد الإثني فيها، ولذلك فقد أعاد الصهاينة المتدينون صياغة الهلاكاة (الشريعة اليهودية) بطريقة تتفق ومتطلـــبات عمليات الإستيطان الصهيوني. فبدل انتظار العودة إلى الوقت الذي يحدده الله وبطريقـــته، أعـــاد هؤلاء الصياغة بحيث أصبح هناك مجال للعودة عن طريق البشر من أجل الإعداد لمقدم الماشياح [(١)].

ويعد فكر كوك الديني خير مثال على هذا الإتجاه، إذ طرح رؤيته (للأمة اليهودية) علـــى أســـاس أن الـــيهود شـــعب واحـــد، واحد كوحدانية الكون [(٢)]، ولكنه شعب تكمن خصوصـــيته فـــي أن اليهودية "دين قومي وقومية دينية" [(٣)]. غير أن كوك لا ينطلق في طـــرحه هـــذا على أساس القومية العضوية، وإنما على أساس أن الله هو مصدر الروح القومـــية، فـــروح (إســـرائيل) وروح الله شيء واحد [(٤)]. وروح الله لا تسري في الشعب وحـــده، بـــل تســـري أيضـــاً في الأرض، وهذه الوحدة لا تكتمل إلا في فلسطين أرض (إسرائيل)، حيث روح الرب المنتشرة في الشعب اليهودي [(٥)].

وهكـــذا نجد أن الصهيونية الدينية قد عملت على صهينة الدين اليهودي ذاته، في حيـــن أســـبغت الصـــهيونية الثقافية القداسة على روح الأمة [(٦)]. كما تجدر ملاحظة أن اتجاهـــي الصهيونية الديني والثقافي، بسبب تركيزهما على الهوية اليهودية، لم يكن لهما تفكير سياسي واضح لحل المسألة اليهودية [(٧)].

---

(١) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص١١٦-١١٧.
(٢) صايغ وآخرون، المصدر السابق، ص٣٠١.
(٣) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص١١٧.
(٤) صايغ وآخرون، المصدر السابق، ص٣٠٤.
(٥) المصدر نفسه، ص٣٠٤.
(٦) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص١١٩.
(٧) المصدر نفسه، ج١، ص١١٩.

مرحلة هرتزل

بقيت الحركة الصهيونية مبعثرة وتفتقر إلى التنظيم الشامل والخطة الواضحة إلى أن ظهر هرتزل الرجل الذي كتب له أن يُظهر الصهيونية إلى حيز الوجود، إذ يُعد بحق المؤسس الحقيقي للحركة الصهيونية [1].

وضـــع هرتـــزل في صيف عام ١٨٩٥م كراسه المعروف بإسم "الدولة اليهودية" ضـــمّن فـــيه أفكاره حول المسالة اليهودية، وقد رأى عبثية الحلول الفردية والخيرية التي قامـــت بهـــا جماعـــة أحباء صهيون وأثرياء اليهود الغربيين المندمجين، وكان يرى أن المشـــكلة الـــيهودية هي مسألة (قومية) يجب أن ينظر إليها "كمشكلة سياسية دولية تجتمع الأمم المتحضرة لمناقشتها وإيجاد حل لها" [2]. أي أن هرتزل يقترح حل المسألة اليهودية بمســـاعدة الدول الإستعمارية وذلك عن طريق خطة بمجملها سهلة "امنحونا السلطة فوق قطعـــة مـــن الأرض فـــي هـــذا العالم تكفي حاجاتنا القومية المشروعة ونحن سنعمل ما تبقى" [3].

امـــا حـــل المسألة الشرقية فيكمن في حل المسألة اليهودية، فعند تصدير الفائض الـــيهودي خـــارج أوروبـــا، فإن أوروبا ستتخلص منهم، وسيشكل هذا الفائض في قطعة الأرض الممنوحة لهم دولة تكون بمثابة "حائط لحماية أوروبا في آسيا" [4].

أثار نشر كتاب هرتزل مناقشات حادة ولاقى معارضة شديدة سواء من يهود غرب أوروبا المندمجين أو من حاخامات اليهود. وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن هرتزل من عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة "بال" بسويسرا في ٢٩ آب ١٨٩٧م [5]، إذ أقر منهجاً رســـمياً وحـــدد هـــدف الصـــهيونية النهائـــي، وهـــو إيجاد (وطن) لليهود في فلسطين

---

(١) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص٦.

(٢) صايغ وآخرون، المصدر السابق، ص١٠٥، وانظر أيضاً:

Herzl, Theodor, The Jewish state, translated by sylvie D'avigdor, 5th edition, H. Pordes, London, 1967, P.15.

(٣) Ibid, pp. 27-28.

(٤) صايغ وآخرون، المصدر السابق، ص١٢٠.

(٥) عن عقد المؤتمر والتحضيرات له، أنظر:

Sokolow, Nahum: Zionism, problems and views, London, 1916, P. 34, 35.

وانظر أيضاً: حلاق، المصدر السابق، ص١٣١-١٣٤.

يضـــمنه القـــانون العـــام، كمـــا قـــرر المؤتمـــر قيام المنظمة الصهيونية العالمية حيث انتخـــب هرتـــزل أول رئـــيس لهـــا [١]، وبهـــذا تكـــون الصهيونية السياسية قد خرجت إلـــى حـــيز الوجـــود. وقـــد اقـــترح هرتـــزل إنشاء "جمعية يهودية" تقوم بتنظيم اليهود وتعبئـــتهم و "شـــركة يهوديـــة" علـــى غرار الشركات الإستعمارية الكبرى لتعمل على توطينهم[٢].

وبعـــد المؤتمـــر الصـــهيوني الأول، كانت أولى استراتيجيات الحركة الصهيونية السياســـية هـــي الحصـــول علـــى الشرعية للصهيونية، تمكنها من قيادة اليهود والتحدث بإسمهم. لذلك لم يتردد هرتزل بقبول عرض الأرجنتين أو أوغندا لأن ذلك يعني الموافقة الغربية على المشروع الصهيوني [٣].

أمـــا اســـتعمار الأرض (فلســـطين) فقد تطلب الحصول على براءة تمنح الحركة الصـــهيونية الســـند القانوني في الحصول على موطئ قدم. ولتحقيق ذلك اجتمع هرتزل بقيصـــر ألمانيا (غليوم الثاني) في استانبول عام ١٨٩٨م، حيث اقترح عليه إنشاء شركة يهوديـــة تحـــت الحمايـــة الألمانـــية [٤]، غير أن هذا الإقتراح قوبل بالرفض. كذلك قدم مقـــترحات للســـلطان عبد الحميد الثاني (١٨٤٢- ١٩١٨م) عام ١٩٠١م حول استيطان الـــيهود فـــي فلسطين مقابل تقديم مساعدات مالية للإمبراطورية العثمانية، وقد فشل هذا العرض أيضاً [٥].

---

(١) عـــن مقـــررات المؤتمر الصهيوني الأول، أنظر: ممدوح الروسان، فلسطين والصهيونية ١٨٨٢-١٩٤٨م، جامعـــة الـــيرموك، إربـــد، ط١، ١٩٨٣م، ص٥٥-٥٦، وأنظر أيضاً: حلاق، المصدر السابق، ص١٢٨؛ المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص٣٣.

(٢) عـــن مهـــام الجمعـــية اليهودية والشركة اليهودية، أنظر: وليد الخالدي، الصهيونية في مئة عام (١٨٩٧-١٩٩٧م)، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٥.

(٣) رفـــيق شاكر النتشة، الإستعمار وفلسطين، مطبعة بيت المقدس، عمان، ط٢، ١٩٨٦م، ص٨١، ٨٧-٨٩.٩٠؛ المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص٣٦-٣٧، ٦٠.

(٤) صـــبري جـــريس، تاريخ الصهيونية (١٨٦٢-١٩٤٨م)، ج١، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٧م، ص١٦٤، وانظر أيضاً:
Stewart, Desmond, Theodor Herzl, Doubleday and company inc, garden city, New York, 1974, P. 188.

(٥) Ibid, p.220, 229.

وبعد فشل هرتزل في الحصول على البراءة في استعمار فلسطين من القيصر والسلطان، توجه إلى بريطانيا. وفي الواقع، فإن اتصالات هرتزل السياسية شملت ملك إيطاليا "إيمانويل الثالث"، وفون بيليفين وزير داخلية روسيا، والبابا "بيوس العاشر" [١]، ولكن هرتزل ركز اهتمامه بالقوتين الإستعماريتين العظميين آنذاك: ألمانيا وبريطانيا.

وفي عام ١٩٠٤م توفي هرتزل، حيث شهدت الحركة الصهيونية بموته عدة انقسامات بين تيار هرتزل الدبلوماسي وتيار المعارضة الإستيطاني، حيث طرح وايزمن[٢] في المؤتمر الثامن عام ١٩٠٧م فكرة الصهيونية التوفيقية (التركيبية) التي تجمع بين النهجين الاستيطاني (العملي) والدبلوماسي (السياسي) [٣]. وفي المؤتمر الصهيوني الحادي عشر عام ١٩١٣م أحكم الإستيطانيون سيطرتهم على الحركة الصهيونية وتولوا قيادتها، وبذلك انتقلت قيادة الحركة الصهيونية من يهود الغرب إلى يهود الشرق الذين يمثلون بطبيعة الحال الفائض البشري الذي يجب نقله [٤].

ويلاحظ مما سبق أن جميع أشكال (اتجاهات الحركة الصهيونية) قد تعاملت مع الساحة الخارجية في أوروبا ومع المادة البشرية (اليهود)، وبقي عليها أن تتعامل مع الساحة في الشرق (فلسطين) التي سينقل إليها الفائض البشري اليهودي، وهذا ما أنجزته الصهيونية الإشتراكية أو ما يطلق عليها (الصهيونية العمالية).

---

(١) عن اتصالات هرتزل مع ملك إيطاليا، أنظر: جريس، المصدر السابق، ص١٧٢؛ النتشة، المصدر السابق، ص١٢٨-١٣٠؛ وعن الاتصالات مع وزير داخلية روسيا، أنظر: حلاق، المصدر السابق، ص١٩٧-١٩٨؛ وعن الإتصالات مع البابا، أنظر: هرتزل، ثيودور، يوميات هرتزل، إعداد أنيس صايغ، ترجمة هيلدا صايغ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٣م، ص٣٢٣-٣٢٦.

(٢) هو حاييم وايزمن (١٨٧٤-١٩٥٢م)، كيميائي وزعيم صهيوني، انتخب رئيساً للمنظمة الصهيونية عام ١٩٢٠م ورئيساً للوكالة اليهودية عام ١٩٢٩م وأخيراً انتخب أول رئيس لدولة الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨م.

(٣) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص٤٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٠.

الصهيونية العمالية (الاشتراكية) [١]

تعـود جـذور الصهيونية العمالية إلى المؤتمر الصهيوني الثاني عام (١٨٩٨م)، وهـي تـنطلق مـن رفض اليهودية الحاخامية، ورفض الشخصية اليهودية في المنفى، والدعـوة إلـى البعـث العـبري والدولـة العبرية. ومن رواد هذا الاتجاه (بوروخوف، وغوردون، ونحمن سيركين) [٢].

وقـد توصـلت الصـهيونية العمالية إلى أن أفضل صيغة للإستعمار الصهيوني لفلسـطين هـي الشكل الجماعي [٣] (التعاوني/ الإشتراكي)، إذ تقوم المنظمة الصهيونية فـي الخـارج بجمـع الأمـوال اللازمة من أثرياء اليهود في الغرب، ثم تقوم بإعطائه للوكالـة الـيهودية فـي فلسـطين، لـتعمل علـى توظيفه في الأرض المملوكة ملكية جماعـية، بحيـث تقـوم المـادة البشـرية المسـتوطنة بتنظـيم نفسها والقيام بأعمال الـزراعة والحراسـة فـي الوقـت نفسـه وهـو مـا يمكن أن يطلق عليه "بالزراعة المسلحة" [٤].

وهكذا نجد أن الفكرة الصهيونية قد أخذت شكلها النهائي، فالصهيونية الدبلوماسية تـبذل جهودهـا المكثفة من أجل الحصول على الاعتراف السياسي، والصهيونية الثقافية والدينـية تعمـل على إثارة حماس الجماهير اليهودية المطلوب نقلها، بإطلاق تعابير مثل (الشـعب الـيهودي) و(التاريخ اليهودي) و(أرض الميعاد)، فيما تقوم الصهيونية العمالية بعملـيات التوطيـن، ولم يبق سوى الحصول على البراءة من قبل الدولة الراعية بحيث تتحول الفكرة الصهيونية إلى استعمار استيطاني وهذا ما أنجزه وعد بلفور.

---

(١) لمـزيد من التفاصيل أنظر: المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص٤٢-٤٨، وانظر أيضاً: محمد فرج، الصهيونية مشروع استعماري، مؤسسة يوم المستشفيات، مطبوعات موقف ١، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م، ص٦٨-٨٣.

(٢) أنظـر المداخـل الخاصـة بكـل مـن سيركين وغوردون وبوروخوف في: المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، ص ١١٠، ١٥٣، ٢١٩.

(٣) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص٤٧-٤٨.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٨.

مرحلة بلفور وتكوين الدولة (١٩٠٥ - ١٩٤٨م)

لـــم يكن للحركة الصهيونية أن تقوم وتنجح في مهمتها الأساسية وهي إقامة الدولة اليهودية دون ظروف ذلك التوجه الإستعماري ومساندة الحكومات الأوروبية المختلفة في توطين اليهود في فلسطين [١].

ويمكنـــنا القـــول أن أهـــم حـــدث فـــي تـــاريخ الفكر والممارسة الصهيونية هو صـــدور وعـــد بلفـــور. وقـــد كـــان الصهاينة ينظرون إلى وعد بلفور وإعلان الإنتداب علـــى فلســـطين بوصـــفهما الميـــثاق أو الـــبراءة (Charter) [٢] التي تخولهم استعمار فلسطين.

وقـــد صدر "وعد بلفور" في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧م وقد جاء فيه: "أن الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف إلى إنشاء (وطن قومي) للشعب اليهودي في فلسطين، وأنها ستبذل قصارى جهدها لتحقيق هذا الهدف" [٣].

وقـــد كـــان أول دخول للقوات البريطانية إلى فلسطين في ١١ تشرين الثاني عام ١٩١٧م، إذ تولـــت الإدارة حكومة عسكرية [٤]. وفي عام ١٩١٨م اكتسب الوعد شرعية الإمبريالية الدولية عندما صادقت عليه حكومات كل من فرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة واليابان.

---

(١) لمعرفة مواقف كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والفاتيكان وأمريكا، أنظر: النتشة، المصدر السابق، ص١٠٨-٢٦٠.

(٢) كلمـــة Charter مستقاة من الكلمة اللاتينية كارتا (Charta) ومعناها ترخيص ينص على حقوق معينة تمنحها حكومـــة او حكـــام لشـــخص أو شركة، ومثال ذلك البراءة التي منحتها بريطانيا عام ١٨٨٩م لشركة سيسل رودس بالحكم الذاتي الكامل لمنطقة الزامبيزي (التي يقع معظم حدودها في روديسيا، أي زمبابوي الآن).

(٣) أنظـــر نـــص الوعـــد في: جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، إدارة فلسطين، الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين، المجموعة الأولى ١٩١٥-١٩٤٦م، الوثيقة رقم (٢٤)، ص ٨٧، وأيضاً:
Laqueur, walter, and Rubin, Barry, The Israel- Arab reader, a documentary history of the middle east conflict, 4th edition, facts on file publications, New York, 1985, Document No.7, pp. 17-18.

(٤) عزمـــي أبو عليان، القدس بين الإحتلال والتحرير، مؤسسة باكير للدراسات الثقافية، الزرقاء، ١٩٩٣، ص ٢٣٥.

وفــي ٢٤ تموز ١٩٢٢م أصدرت عصبة الأمم قرار "صك الإنتداب" (١) وأدمجت فــيه وعــد بلفور، لتجعل بذلك منه التزاماً دولياً، تتولى بريطانيا تطبيق احكامه (٢). كما اعــترف الصك بالوكالة اليهودية كهيئة عامة تشارك حكومة الإنتداب في إدارة فلسطين وترقــية البلاد (٣). وقد وفرت الحكومة البريطانية للمنظمة الصهيونية الظروف الملائمة لإقامــة (الوطــن القومــي) من خلال وسيلتين رئيسيتين هما: الهجرة على نطاق واسع؛ وحيازة الأراضي بمختلف الطرق (٤).

غــير أن الثورة الفلسطينية اندلعت ضد السياسات والتشريعات البريطانية، وضد الهجمــة الصــهيونية، وأصبحت فلسطين في نهاية الثلاثينات مسرحاً لأعمال العنف التي ســادت جمــيع أرجائهــا، مما دفع بريطانيا إلى دعوة حكومات الأقطار العربية المستقلة آنــذاك: مصــر والعراق والسعودية وشرق الأردن واليمن، والوكالة اليهودية عن يهود فلســطين، لحضــور مؤتمر لندن في شباط ١٩٣٩م، للوصول إلى حل توفيقي، غير أن المؤتمــر فشــل، إذ أكــد العرب حق الشعب الفلسطيني في الإستقلال، في حين تمسكت الوكالة اليهودية بوعد بلفور وإقامة الدولة اليهودية (٥). وعلى أثر ذلك، أوضحت بريطانيا سياســتها الخاصة في كتاب مكدونالد الأبيض في أيار ١٩٣٩م، نفت فيه نيتها في إنشاء دولــة يهوديــة، ورفضــت أن تصبح فلسطين دولة عربية مستقلة، وأعلنت أن الإنتداب سينتهي في العام ١٩٤٩م حين تنال فلسطين استقلالها، على أن يشترك في حكمها كل من الفلسطينيين واليهود.

---

(١) أنظر نص صك الإنتداب في: جامعة الدول العربية، الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين، المجموعة الأولى، وثيقة رقم (٢٧)، ص١٢٨-١٣٧؛ وانظر أيضاً:

Laqueur, The Israel- Arab Reader, Document 11, p.p 34-42.

(٢) تايلور، آلان، مدخل إلى اسرائيل، الأعمال التحضيرية للجريمة الدبلوماسية الصهيونية (١٨٩٧-١٩٤٧م)، تعريب شكري محمود نديم، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، ١٩٦٥م، ص٣٤.

(٣) أبو عليان، المصدر السابق، ص٢٣٨.

(٤) عادل حامد الجادر وزيد ردام عبد الهادي، فلسطين والغزو الصهيوني، جامعة بغداد، ١٩٤٨م، ص١٢٠-١٣٣، وانظر أيضاً: أنجلينا الحلو، عوامل تكوين إسرائيل السياسية والعسكرية والإقتصادية، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٧م، ص٦٦-٧٤.

(٥) هيــثم الكيلانــي، الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية- الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٨٨م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص٣٧.

ومـــع نشوب الحرب العالمية الثانية في أيلول ١٩٣٩م، لم يعد تطبيق أحكام كتاب مكدونـــالد الأبـــيض ممكـــناً، وأخـــذت قوافـــل المهاجريـــن مـــن أوروبا، وخاصة من ألمانـــيا، تـــتدفق إلى فلسطين، وتكونت المنظمات الإرهابية الصهيونية في فلسطين مثل "الأرغـــون وشـــتيرن"[١]، إضافة إلى قوات الهاغاناة والبالماخ [٢]، وأخذت تعزز قدراتها العسكرية والتزود بالأسلحة والذخائر استعداداً لمعركة تأسيس الدولة.

وبعـــد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م، وكان الوضع في فلسطين شديد الإضـــطراب، قررت الحكومة البريطانية في شباط ١٩٤٧م التخلي عن دورها الإنتدابي وعـــرض قضية فلسطين على الأمم المتحدة، إذ عقدت الجمعية العامة اجتماعاً وافقت فيه علـــى التوصية بتقسيم فلسطين، وصدر قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧م [٣]، بقيام دولتين إحداهما عربية والأخرى يهودية [٤].

وفي يوم ١٤ أيار ١٩٤٨م أعلنت بريطانيا إنهاء انتدابها على فلسطين، وتم عملياً جـــلاء قواتهـــا، فأعلنـــت الصهيونية قيام دولة (إسرائيل) في اليوم الثاني واعترفت بها الولايـــات المـــتحدة والإتحاد السوفيتي (سابقاً)، وتوالت الإعترافات بهذا الكيان من بقية الـــدول الأخـــرى بعـــد ذلك [٥]. وقد كان هذا الإعلان هو البداية لقيام حرب ١٩٤٨م إذ تمكنت المنظمات الإرهابية الصهيونية من الإستيلاء على مساحة تبلغ نحو ٧٧% إضافية مـــن مجموعـــة مساحة البلاد خلال فترة أقل من عام واحد، في حين لم يتمكن الصندوق

---

(١) "الأرغون": هي منظمة الأرغون زفاي ليئومي، قوة عسكرية صهيونية مستقلة عن الهاجاناة، أنشئت في فلسطين عام ١٩٣٧م، وضـــمت الشـــبان اليهود بزعامة الصهيوني فلاديمير جابوتنسكي وكان هدفها استخدام القوة لتنفيذ الأهداف الصـــهيونية وإنهاء الإنتداب البريطاني. أما منظمة "شتيرن" فقد انشقت في تموز ١٩٤١م وأثناء الحرب العالمية الثانية عـــن مـــنظمة الأرغون بزعامة ابراهام شتيرن وأطلقت على نفسها اسم (المحاربين في سبيل حرية اسرائيل)، وكانت ترى ضرورة شن الهجمات الإرهابية ضد العرب وحكومة الإنتداب، الكيلاني، المصدر السابق، ص ٧٣-٧٤.

(٢) تطورت جماعات "الهاشومير" بعد صدور وعد بلفور لتلائم حاجات المرحلة وسميت (الهاجاناة) وهي منظمة عسكرية سرية أصبحت تحت إشراف الوكالة اليهودية في فلسطين وأخذت تسير من حيث التنظيم والتسليح والتدريب على غرار الجـــيوش النظامـــية الحديثة. أما كتائب (البالماخ) فهي القوات المتحركة من جيش الهاجاناة أو فرقة الصاعقة وقوامها حوالي ستة آلاف مقاتل مزودة بالمدافع الخفيفة ووسائل النقل المصفحة، المصدر نفسه، ص ٧٣-٧٤.

(٣) صـــدر القرار بضغوطات من الولايات المتحدة الأمريكية والمنظمة الصهيونية بأغلبية ٣٣ دولة ومعارضة ١٣ دولة، وأصبح المشروع يحمل رقم ١٨١ (د-٢)، أنظر نص القرار في :
Laqueur, The Israel- Arab Reader, Document (25), pp. 113-122.

(٤) تـــبلغ مساحة الدولة اليهودية نحو ٥٦% من فلسطين ومساحة الدولة العربية حوالي ٤٣% في حين تبقى القدس دولية وتحتل ٠,٦٥% من مساحة فلسطين.

(٥) البحيري وآخرون، المصدر السابق، ص٢٠٢؛ الكيلاني، المصدر السابق، ص٤٣.

مجموعـــة مســـاحة الـــبلاد خـــلال فترة أقل من عام واحد، في حين لم يتمكن الصندوق (القومي) اليهودي خلال ٤٥ عاماً من تأسيسه حتى سنة ١٩٤٧م من الحصول على أكثر مـــن ٣,٩% مـــن مساحة فلسطين [١]. وقد نتج عن هذه الحرب هزيمة الجيوش العربية وتوقيع اتفاقية الهدنة في رودس سنة ١٩٤٩م [٢].

(١) الحلو، المصدر السابق، ص٩٣؛ هيثم الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، منظمة التحرير الفلسطينية- مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٩م، ص٢٧٥.

(٢) البحيري وآخرون، المصدر السابق، ص٢٠٢.

التوافق التاريخي بين نشأة الحركتين الصليبية والصهيونية وتكوينهما

لقد تعرض المشرق العربي الإسلامي عامة [1] وفلسطين خاصة خلال نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي إلى غزوة صليبية استعمارية تعد من أخطر الغزوات التي مرت على الأمة العربية والإسلامية، وتركزت جهودها ضد منطقة استراتيجية حساسة من الوطن العربي، هي فلسطين [2].

كذلك تعرضت المنطقة نفسها في أواخر القرن التاسع عشر لغزوة صهيونية استعمارية إحلالية، تعد فريدة من نوعها في التاريخ، إذ تم اقتلاع شعب عربي بكامله من وطنه الأصلي فلسطين، وإحلال مجموعات صهيونية جاءت من مختلف أصقاع العالم محله.

ويعود نجاح كلتا الحركين الصليبية والصهيونية بصورة رئيسة إلى عوامل الضعف والتفكك والإنحلال السياسي والتأخر الحضاري الذي كان يسود المنطقة العربية الإسلامية قبل العدوانيين الصليبي [3] والصهيوني [4]، الذي استمر نحو قرنين من الزمان للأول [5]، ونحو قرن للثاني وهو لا يزال مستمراً حتى يومنا هذا.

...

---

(١) يشمل المشرق العربي الإسلامي المنطقة التي تأثرت بالغزو الصليبي مباشرة، أو كان لها دور في مجابهته والتصدي له، وهي المنطقة الممتدة من آسيا الصغرى في الشمال إلى مصر في الجنوب، ومن العراق في الشرق إلى شواطئ البحر المتوسط في الغرب، أنظر: أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، المقدمة.

(٢) لمعرفة أهمية موقع فلسطين الاستراتيجي، أنظر: عبد الرزاق ابراهيم قاسم، إدارة الحرب في اسرائيل، مطبعة القوات المسلحة الأردنية، عمان، ط١، ١٩٩٧، ص٩٧-١٠٣، ١٦١-١٧٥.

(٣) عن أوضاع الوطن العربي قبل الغزو الصليبي، أنظر: أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٨-٩٩، ٢١٤-٢٣٨؛ وفاء جوني، دمشق والمملكة اللاتينية في القدس منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلاديين، ١٠٩٨-١١٧٤م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص ٣٣-٥٨.

(٤) عن أوضاع الوطن العربي قبل الغزو الصهيوني، أنظر: سيار الجميل، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٩، ص١٧٨-٢٢٤، ٢٣٢-٢٧٤، ٢٩٠-٣٠١، ٣٥٦-٣٨٥، أنظر أيضاً: محمد حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، الكتاب الأول: الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م، ص١٢٥-١٣٢، ٢٠٨-٢١٣.

(٥) وقعت أحداث الحركة الصليبية عام ١٠٩٦م وانتهت بطردهم كلياً من بلاد الشام على أيدي المماليك عام ١٢٩١م.

وعلـــى الـــرغم من مظاهر الضعف والتمزق الذي كان يعيش به المشرق العربي الإســـلامي قبيل الحروب الصليبية، كانت أحوال الغرب الأوروبي الذي انطلقت منه هذه الحـــروب، وراء الإســـتجابة السريعة للدعوة التي وجهها البابا إلى جماهير الأوروبيين. فالغرب هو منشأ الحروب الصليبية، وهي مبادرة أوروبية [١]، على الرغم من أن صرخة الإستغاثة خرجت من الشرق.

كذلـــك الحـــال فـــإن الصهيونية كانت ولا تزال حركة غربية، نشأت في الغرب واتخـــذت من فلسطين مكاناً لنشاطها، وظلت محافظة على هويتها الغربية على الرغم من انـــتقالها إلـــى الشـــرق. والصهيونية لم تنشأ في العالم كله، بل نشأت في بقعة جغرافية محـــددة هي أوروبا، وفي مدة زمنية محددة أيضاً هي في النصف الثاني من القرن التاسع عشـــر، وكـــان لأحوال الغرب الأوروبي السياسية والاقتصادية والثقافية الأثر الأكبر في ظهور الفكرة الصهيونية إلى حيز الوجود [٢].

وكما نظر الغرب إلى المسألة اليهودية على أنها ليست مشكلة إنسانية تتطلب حلولاً إنســـانية، أو علـــى أنهـــا مشكلة أوروبية نجمت أساساً عن ارتباطهم حضارياً واقتصادياً بالمجـــتمع الإقطاعـــي الأوروبي البائد، وأسهمت عملية التحديث الأوروبية في ظهورها، وإنمـــا نظر إليها على أنها مشكلة شعب مقدس أو مادة بشرية يمكن توظيفها في المشاريع التجارية والإستعمارية الغربية المختلفة [٣].

وقد عبّر ليون بنسكر، المفكر الصهيوني الروسي عن حله للمسألة اليهودية بقوله: "يتوجب علينا أن نرسل اليهود غير المندمجين والفائضين إلى مكان آخر" [٤]. أما موسى هس، فقد عبّر في كتابه "روما والقدس" عن حله للمسألة اليهودية عن طريق تصديرها، إذ يقـــول: "إننا عندما نتكلم عن إقامة مستوطنات في الشرق لا نعني بأن يهاجر يهود الغرب كلهـــم إلـــى فلسطين" [٥]، فالدولة اليهودية لا تهدف إلى استيعابهم كلهم، وإنما تهدف إلى

---

(١) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٧.
(٢) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص٣٤.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٧٨.
(٤) صايغ وآخرون، المصدر السابق، ص٩١.
(٥) المصدر نفسه، ص٤١، نقلاً عن : موسى هس، روما والقدس.

استيعاب الفائض منهم، أولئك الذين فشلوا في "أن يشقوا طريقهم إلى الحضارة الغربية بجهد بالغ ويحققوا لأنفسهم مركزاً اجتماعياً" [١].

كذلك الحال، فقد نظر البابا أوربان الثاني إلى المشكلة الأوروبية التي لعبت الظروف الإجتماعية والإقتصادية فيها دوراً بارزاً في الإستجابة السريعة لدعوته للحروب الصليبية، على أنها ليست مشكلة أوروبية تتطلب حلولاً أوروبية، وإنما وجد الحل في تصدير المشكلة خارج أوروبا وإلى الشرق تحديداً. فالأرض التي يعيشون عليها تضيق بأعدادهم، كما أن ثرواتها لا تكاد تكفيهم "لأن هذه الأرض محاطة بالبحر من كل جانب، وتحوطها سلاسل الجبال، وتضيق بأعدادكم الكثيرة؛ وهي لا تفيض بالثروة الطائلة وإنما لا تكاد تحقق من الطعام ما يكفي زراعها فقط" [٢].

وهكذا نجد أن البابوية أعطت الشرعية منذ البداية للمشاركين في الحملة الصليبية الأولى في التملك والميراث على اعتبار ان الأراضي المقدسة والأراضي المجاورة لها أراضي مسيحية [٣].

كذلك، كانت الصهيونية تبحث عن الشرعية اللازمة لها التي تمكنها من قيادة اليهود والتحدث بإسمهم من الدول الإستعمارية الكبرى. فالصهيونية كانت كما هو معروف حركة بلا جماهير، وهي بالتالي لا تستطيع السيطرة على اليهود إلا إذا حصلت على هذه الشرعية [٤]، وعندها سيصبح من السهل فرض الصهيونية عليهم وكسب تأثير المعارضين منهم أيضاً في صفوفها [٥]. وهذا ما حدث بالفعل عندما تبنت بريطانيا، ثم من بعدها الولايات المتحدة الأمريكية المشروع الصهيوني [٦].

---

(١) صايغ وآخرون، المصدر السابق، ص٤١، نقلاً عن: موسى هس، روما والقدس.

(٢) مقتطفات من خطبة البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت، رواية روبير الراهب، أنظر: الحروب الصليبية- نصوص ووثائق- الحملة الأولى ١٠٩٥- ١٠٩٩م، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، دار نافع للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٤م، ص٧٩.

(٣)Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, P. 475, 510.

(٤) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص٢٤، نقلاً عن:
Vital, David, The origins of zionism, P. 284.

(٥)Weizmann, chaim, Trial and Error, Hamish Hamilton, London, 1949, pp. 227-228, 236, 245.

(٦) للإستزادة عن هذه النقطة، أنظر: الشريف، المصدر السابق، ص١٣٦- ١٧٤، ١٨٣-٢٢٤.

وكمـــا احتاجت الصهيونية الحصول على شرعية قيادة اليهود، كانت بحاجة أيضاً إلـــى الحصـــول على البراءة التي تمنحها الشرعية القانونية في استعمار فلسطين. وكان هرتـــزل يـــرى في هذه البراءة أكثر أهمية من الإستيطان المباشر في فلسطين الذي كان يســـعى إلـــيه الصـــهيونيون العمليون (١). لذا نراه يجتمع لتحقيق ذلك مع قيصر ألمانيا، والســـلطان العثماني، ووزير داخلية روسيا، وملك إيطاليا، والبابا بيوس العاشر، وعندما فشل بذلك توجه إلى بريطانيا.

وقـــد جـــاء وعـــد بلفـــور عـــام ١٩١٧م باعتباره الميثاق أو البراءة التي تخول الصهاينة استعمار فلسطين، كما جاء قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م ليعطـــيها شـــرعية الـــدول بين الأمم، ولتكون الدولة الوحيدة في العالم التي قامت بفضل قرار من الأمم المتحدة (٢).

وفـــي حين توالت على شاطئ البحر المتوسط الشرقي وعلى مدى قرنين تقريباً، أفـــواج الأوروبيـــن القادميـــن مـــن أوروبـــا، زرافـــات ووحداناً من الحجاج والأفراد، والمجموعات العسكرية الصغيرة، والجيوش الكبيرة بقيادة ملوك أوروبا (٣)، تقاطرت على أرض فلســـطين أيضاً أفواج المهاجرين الصهاينة من كل حدب وصوب، تزيد وتنخفض حسب تفاقم أوضاع اليهود ودرجات الإضطهاد الذي كانوا يتعرضون له، والتسهيلات التي كانت تقدمها حكومة الإنتداب والمنظمة الصهيونية لهم، والمقاومة العربية الفلسطينية ضد هذه الهجرات (٤).

---

(١) الحلو، المصدر السابق، ص٢٩.

(٢) شريت، يعقوب، دولة إسرائيل زائلة، ترجمة دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ط١، ١٩٩١م، ص٣٨، ٦٣، ٦٤.

(٣) تمدنـــا المصـــادر العربـــية والغربية بأمثلة عديدة عن أفواج المهاجرين الجدد من أوروبا، أنظر مثلاً: ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص١٧٣، أنظر كذلك:

Boase, Thomas Sherer Ross, Kingdoms and strong holds of the crusades, Thames and Hudson, London, 1971, P. 23, 31-32.

وأيضاً:

Bradford, Ernle, The Sword and the scimitar, The Saga of the crusades, G.P. Putnam's sons, milan, 1974, P. 107.

(٤) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص٣٦، ٣٧.

ومــثلما بلــغ عدد الحملات الصليبية المنظمة ثماني حملات رغم عدم صحة هذا الــزعم، لأن الواقــع يشــير إلى مجيء جموع صليبية جديدة كل عام تقريباً، فاق أعداد بعضها وأهمية ما حققته من نجاح، بعض الحملات الصليبية المعروفة (١)، كذلك بلغ عدد الهجــرات الصــهيونية المــنظمة إلى فلسطين منذ عام ١٨٨٠م حتى عام ١٩٤٨م ست هجــرات (٢)، علماً أن بدايات الهجرات الصهيونية إلى فلسطين تعود إلى مرحلة ما قبل ظهــور الصــهيونية وتحديــداً إلــى عام ١٧٧٧م (٣)، كما أنها لم تتوقف بعد قيام الدولة الصهيونية عام ١٩٤٨م، إذ أنها لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا.

غير أن مشكلة نقص الموارد البشرية وعدم كفايتها ظلت تُعَد التحدي الأكبر لكلتا الحركتيــن الصــليبية والصــهيونية. ويمكــن اعتــبارها السبب الجوهري في الإفلاس الأيدولوجي للكيانات الصليبية في الشرق. فبعد الحملة الصليبية الأولى والإستجابة الكبيرة التــي صــحبتها، لم يكن تدفق أفواج المستوطنين الجدد كافياً لسد احتياجات المملكة من القــوى البشــرية. ولــم يجلــب آلاف المهاجرين إلى الشرق مرة أخرى سوى الحملات الصليبية الكبرى التي أعقبت كارثتي سقوط الرها سنة ١١٤٤م، وسقوط بيت المقدس سنة ١١٨٧م (٤).

ويمكــن القول أن انخفاض حدة الهجرات الصليبية إلى المملكة بدأت تظهر عقب الحملــة الصليبية الثانية، وأن توقف النمو الديمغرافي أو تراجعه قد بدأ يتحقق (٥). إذ إن الصــليبيين كــانوا بمجــرد إبــرارهم بالقسم الذي قطعوه على أنفسهم، يغادرون المملكة عائدين إلى بلادهم (٦).

---

(١) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٢٣.

(٢) عــبد الرحمــن أبــو عرفة، الاستيطان التطبيق العملي للصهيونية، دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ١٩٨٦م، ص٤٣-٥٢.

(٣) قام الحاخام "يهودا حاسيد" بقيادة أول هجرة أشكناز إلى فلسطين تضم ١٥٠٠ مهاجر، أنظر: المصدر نفسه، ص٤١.

(٤) براور، المصدر السابق، ص١٢٥، ١٢٦.

(٥)Prawer, The latin Kingdom of Jerusalam, P. 28.

(٦) براور، المصدر السابق، ص١٢٦.

ولعل النظرة الصهيونية إلى الهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين لا تقل في أهميتها عن النظرة الصليبية لها، لا بل أن أكبر خطر يواجه الكيان الصهيوني على الإطلاق كما وصـــفه إسحق رابين رئيس وزرائه الأسبق هو تناقص الهجرة (١). فالهجرة من المنظور الصـــهيوني هي حجر الأساس في تكوين الكيان الصهيوني، وقد وضعت الصهيونية فكرة جمـــع شـــتات اليهود في أعلى درجات أولوياتها، فاليهود يُعدّوا جميعهم في المنفى طالما ظلوا خارج هذا الكيان (٢).

وعلى الرغم من زيادة عدد السكان اليهود في الكيان الصهيوني منذ عام ١٩٤٨م حـــتى نهاية عام ١٩٩٦م نحو سبعة أضعاف تقريباً، وبلغت نسبة إسهام الهجرة اليهودية فيها نحو ٥٥,٨% (٣)، فإن أكثرية اليهود (نحو ٧٥%)، لا تزال تعيش في المنافي خارج الكيان الصهيوني (٤).

ولعـــل مـــا يقلق السلطات الصهيونية اليوم هو تزايد الهجرة المعاكسة من الكيان الصـــهيوني إلى خارجه وهو ما يطلق عليه اصطلاح "الدياسبورا الإسرائيلية" (٥). وعدد النازحيـــن آخذة على عكس المهاجرين بالتزايد (بلغ عدد النازحين عام ١٩٨٤م ١٧,٨٨٢ نازحـــاً)، ولكن الامر المقلق في الكيان الصهيوني ليس الأرقام فحسب بل النوعية، إذ إن نســـبة كبيرة منهم هي من مواليد الكيان الصهيوني نفسه، وبعضهم من أعضاء الكيبوتس والضباط وأصحاب المهن (٦).

---

(١) عقد اسحق رابين في محاضرة له عام ١٩٦٧م في العيد السبعين للمؤتمر الصهيوني الأول مقارنة بالحركة الصليبية بين فيها خطورة تناقص الهجرة للحركتين، أنظر:

Avnery, uri, Israel without Zionism, a plan for peace in the middle east, The Macmillan company, New York, 1971, P.77.

(٢) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص١١٥.

(٣) بلـــغ مجمـــوع اليهود في فلسطين عام ١٩٤٨م (٦٤٩,٦٠٠) نسمة، في حين بلغ مجموع السكان اليهود في الكيان الصهيوني عام ١٩٩٦م حسب معطيات مكتب الاحصاء الإسرائيلي نحو (٤,٦٢٠,٠٠٠) نسمة. أنظر: نبـــيل الســـهلي، تطـــور الإقتصـــاد الإســـرائيلي ١٩٤٨-١٩٩٦م، مركـــز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ط١، ١٩٩٨م، ص٩٣.

(٤) شريت، المصدر السابق، ص٦٤.

(٥) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص١٦٦.

(٦) المصدر نفسه، ج٣، ص١٠، نقلاً عن:

The Times, Exodus, from the land that has lost its promise, August, 15, 1985.

ومــــثلما فضـــلت أكـــثرية اليهود المنافي واكتفت بالدعم المادي والمعنوي للكيان الصــــهيوني فـــي فلسطين، كذلك ليس كل من حمل الصليب شارك في الحملات الصليبية المــتوجهة إلـــى الشــرق. إذ إن البعض اكتفى بما كان يُعرف بـــ (البَدَل) أو (العوَض)، وهو ما يعني إرسال شخص ما بدلاً عنه أو الإسهام في المال عوضاً عن المشاركة(١).

وبعـــد أن تمكن الصليبيون من احتلال القدس يوم الجمعة الخامس عشر من تموز ١٠٩٩م، بعـــد حصار دام طوال خمسة أسابيع، قامت فوق الأرض المقدسة مملكة لاتينية واتخذت من القدس عاصمة مسيحية لها (٢). وقد توقف بقاء المملكة على احتلال الموانيء كمـــنافذ على البحر المتوسط، لضمان التعزيزات والإمدادات القادمة من أوروبا من خلال الأساطيل المسيحية (٣).

وقـــد تولى جودفري دي بوايون مقاليد الحكم كأول حاكم علماني لمملكة أوروبية تقـــام فـــوق الأرض المقدســـة، إذ عُدّ ذلك حدثاً فاصلاً في تاريخ الحركة الصليبية (٤)، وشـــهدت فشل المحاولة التي كانت تدعو إلى قيام حكومة بيوقراطية، على نهج الحكومة البابوية في روما (٥).

كذلـــك، بعد قيام بريطانيا بإعلان انتهاء انتدابها على فلسطين، أعلنت الصهيونية عـــن قيام دولة "إسرائيل" في ١٥ أيار ١٩٤٨م، وخاضت على أثر ذلك الحرب العربية- الصهيونية الأولى التي تمخضت عن هزيمة الجيوش العربية واحتلال القوات الصهيونية القســـم الأكبر من فلسطين (٦)، ونالت إعتراف معظم دول العالم بها، واتخذت من الشطر الغربي لمدينة القدس عاصمة يهودية لها.

---

(١)Riley- smith, what were the crusades, p.13.

(٢)Prawer, The latin Kingdom of Jerusalem, P. 16.

(٣) براور، المصدر السابق، ص٥٧ .

(٤)Prawer, op,cit , P. 473.

(٥) رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص ٥.

(٦) تـــناول العديـــد مـــن المصـــادر العربـــية والصهيونية والغربية حرب عام ١٩٤٨م، نذكر منها مثلاً: هيثم الكيلاني، الاســـتراتيجيات العســـكرية للحروب العربية- الإسرائيلية؛ يوسف كعوش، الجيش العربي الأردني في حرب ١٩٤٨، مديـــرية المطابع العسكرية، عمان، ط١، ١٩٧٩؛ حسن البدري، الحرب في أرض السلام: الجولة العربية الإسرائيلية، ١٩٤٧-١٩٤٩م، بـــيروت، المؤسســـة العربـــية للدراسات والنشر، ١٩٧٦م؛ رئاسة أركان الجيش الإسرائيلي، فرع الـــتاريخ، حـــرب فلســـطين، ١٩٤٧-١٩٤٨م. الـــرواية الإسرائيلية الرسمية، ترجمة أحمد خليفة، نيقوسيا، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٤٨، أنظر أيضاً:
O'Ballance, Edgar, The Arab- Israeli war, 1948, London, Faber and Faber, 1956.

وكما هو حال الصليبيين، فقد اعتمد الكيان الصهيوني على المنافذ البحرية المطلة على البحر المتوسط في ضمان وصول أفواج المهاجرين والإمدادات والتعزيزات القادمة من أوروبا لها (١). كما تولى "ديفيد بن غوريون" كأول حاكم علماني رئاسة دولة الكيان الصهيوني (٢).

وكما مثّل "ريـنالد دي شـاتيون" المعروف بأرناط (٣) عند المسلمين صقور الصليبيين حتى أن صلاح الدين وعد بقتله بنفسه لشدة عدائه وغدره للإسلام والمسلمين، فقد مثّل "موشي دايان" و "أريل شارون" و "مناحيم بيغن" وغيرهم كثيرون صقور الصهاينة (٤).

ومثلما استبدل إسم فلسطين خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر من قبل الغرب الأوروبي بـ "فرنسا ما وراء البحار" (Outremer)، أو "الشرق اللايتيني"، ليشير إلى الصليبيين في الأرض المقدسة (٥)، أطلق الصهاينة إسم "إسرائيل" ليشير إلى الكيان الصهيوني في فلسطين أيضاً.

ومن الجدير بالذكر أن الصليبيين زحفوا نحو الشرق وفي أذهانهم محاربة المسلمين وتحرير القبر المقدس، وكانت الحرب بالنسبة لهم هي حرب تشن بإرادة الله (٦).

---

(١) قاسم، المصدر السابق، ص١٦١- ١٦٢، وانظر أيضاً:
Avnery, Israel without zionism, P. 82.

(٢) قاسم، المصدر السابق، ص١٣٣، ١٣٧.

(٣) حاول أرناط غزو الحرمين الشريفين في مكة والمدينة، كما هاجم قافلة حجاج مسلمين، واحتل بعض الجزر في البحر الأحمر. وقد وصفته المصادر العربية والأجنبية بأنه نموذج للفارس اللص، ومن أغدر الفرنجة وأخبثها (أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن ابراهيم المقدسي الدمشقي، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق أحمد البسيومي، ج١، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩١م، ص٧٥).

(٤) Avnery, op.cit , p. 84.

(٥) شاع هذا المصطلح خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر وكان يعني الأراضي المقدسة، أنظر:
Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem p. 277, 474.

وأنظر أيضاً:
Avnery, op.cit, p.85.

وأيضاً: كاهن، المصدر السابق، ص١١.

(٦) Avnery, op.cit, p. 81, 86.

وبعـــد ما تم تأسيس المملكة نظر الصليبيون إلى أنفسهم كخط أول للدفاع عن أوروبا بدلاً من القسطنطينية، وهي تقوم بالقتال بالإنابة عن العالم المسيحي كله [١].

وعلـــى مدى قرنين كانت أوروبا تهتم بالمملكة وترسل المهاجرين وتقدم المعونات المالـــية والماديـــة، وتجرد الحملات الصليبية على الشرق كلما داهمها الخطر، وكان هذا العـــون والتأييد مستمرين طالما كانت أوروبا تعتبر مملكة بيت المقدس جزءاً منها وتعمل على تأمين مصالحها [٢].

كذلك، نظر الصهاينة إلى أنفسهم على أنهم رأس الحربة لليهود جميعهم وحماتهم، وأن غـــيرهم مـــن الـــيهود ممـــن فضلوا الشتات، متملصون وهاربون من الصهيونية[٣] و "أغـــيار يـــتحدثون العـــبرية" كمـــا وصفهم "جورج فريدمان" عالم الإجتماع الفرنسي الصهيوني [٤].

ومـــثلما كان الخوف والقلق ينتاب الأوروبيين على المملكة اللاتينية، كان الخوف والقلـــق ينـــتاب يهـــود العـــالم والأوروبييـــن أيضاً على مصير الكيان الصهيوني كلما نشبت حرب مع الأقطار العربية، إذ ظهر ذلك جلياً في حربي حزيران ١٩٦٧م وتشرين ١٩٧٣م[٥].

وأمـــا دور الكـــيان الصـــهيوني فـــي فلســـطين فهو الدور الذي عبر عنه ناحوم جولدمان بقوله: "إن الدولة الصهيونية لن يتم تأسيسها لاعتبارات دينية عاطفية ولا لأسباب اســـتثمارية مألوفـــة.. وإنما سيتم تأسيسها لأنها ستقدم شيئاً مختلفاً ومغايراً وثميناً: دوراً اســـتراتيجياً يؤمن سيطرة الغرب على العالم " [٦]. وهذا الدور لم يطرأ عليه تغيير لغاية

---

(١) براور، المصدر السابق، ص٣٣، وانظر ايضاً:
Avnery, Israel without zionism, p. 83.

(٢) براور، المصدر السابق، ص١٣٩، وانظر أيضاً:
Prawer, The latin kingdom of Jerusalem, P. 479.

(٣) Avenery, op.cit, p.83.

(٤) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص١٦١ نقلاً عن:
Friedman, George, The end of the Jwish people.

(٥) Avnery, op.cit, p.83.

(٦) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص٤٧.

الآن، فالكـيان الصـهيوني لا يزال يشكل قاعدة لقوة عسكرية يمكن الإعتماد عليها، قوة موجهة ضد العرب لخدمة المصالح الإمبريالية الإستراتيجية [١].

ومن هذا المنظور وقف الغرب الأوروبي والولايات المتحدة الأميركية وراء الدعم المادي والمالي اللامحدود لهذا الكيان الذي يشكل سكانه عنصراً موالياً للغرب بشكل دائم. وقـد عـبرت مجلة الإيكونومست في عددها الصادر في ٢٠ تموز ١٩٨٥م عن الموقف الغربـي والأمريكي أفضل تعبير عندما قالت: "إذا كان من الممكن لأميركا أن تدفع ٣٠ بلـيون دولار كـل عام تكاليف حلف الأطلسي، فمن المؤكد أن (إسرائيل) وهي المخفر الأمامي والقاعدة المحتملة، تستحق مبلغاً تافهاً مثل أربعة بلايين دولار" [٢].

ولمـا كـان الكـيان الصهيوني هو الوحيد في العالم، الذي وجد نفسه بعد إنشائه محاطاً برياً بدول معادية له، وأصبح كجزيرة محاصرة وسط محيط عربي يتربص بها[٣]، لم يكن توجه هذا الكيان نحو إحلال السلام بينه وبين جيرانه على أسس من الحق والعدل، وإنما كان توجه زعمائه المتوالي نحو التصلب، وعدم التخلي عن نظرية العداء الصهيونية – العربية الأبدية التي تعتمد على القوة وحدها [٤].

كذلـك، عاشـت مملكة بيت المقدس طوال فترة بقائها محاطة بالأعداء ويتلخص وضـعها خاصـة فـي نهاية القرن الثاني عشر في سيطرة الصليبيين على شاطئ البحر واعـتمادهم علـيه وسيطرة المسلمين على داخلية البلاد [٥]، وقد اعتمدت المملكة وسائر الإمارات الصليبية الأخرى على القوة المسلحة لضمان بقائها واستمرارها [٦].

---

(١) للإستزادة عن هذه النقطة، أنظر:المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص٤٥-٨٤.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص٥٧.

(٣) أحمد نوفل، الحرب النفسية بيننا وبين العدو الصهيوني، الكتاب الثالث، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٦م، ص١١؛ قاسم، المصدر السابق، ص٨٤.

(٤) شـريت، المصدر السابق، ص ٢٠، ٧٢، ٧٥؛ قاسم، المصدر السابق، ص ٢٩٣؛ الحلو، المصدر السابق، ص ٧٣، ٩٣.

(٥)Setton, A history of the crusades, vol. 5, p.309, 314.

(٦) براور، المصدر السابق، ص ١٢٣، ١٢٤، ١٢٨، أنظر أيضاً:
Avnery, Israel without zionism, p. 87.

ومـــثلما قامـــت دولـــة الكيان الصهيوني من خلال الحرب التي تغلبت فيها على العـــرب، وخاضـــت من اجل وجودها وبقائها حروباً عديدة مع الدول العربية، وكان من نتـــيجة هـــذه الحروب أن تحولت فيها الأقلية اليهودية الصهيونية في فلسطين إلى أغلبية، والأغلبـــية العربـــية إلـــى أقلية [١]، كما أطلقت على حربها الأولى العدوانية على شعب وأرض فلســطين "حـــرب الـــتحرير أو الإستقلال" [٢]، كذلك، قامت مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبية الأخرى باستثناء إمارة الرها [٣] بالقوة العسكرية وعلى حساب القوى الإســـلامية، إذ إن قـــيام كل منها قد تم نتيجة انتصار أحرزته القوات الصليبية على القوة الإســـلامية صاحبة السيادة في ذلك التاريخ [٤]، كما أطلق الصليبيون على حربهم "حرب الإسترداد" [٥].

وكـــان من الضروري لهذه الكيانات المتناثرة أن يتم ربط بعضها مع بعض، ولم يمـــض وقت غير طويل حتى تحولت حيازة الصليبيين على بعض المدن القليلة المتناثرة إلى سيادة على أقاليم متصلة، أخذت في التوسع والإمتداد دون أية مقاومة إسلامية تذكر.

وقـــد انتهجت الممالك الصليبية جميعها سياسة التوسع العدواني على حساب القوى الإسلامية، والإختلاف الوحيد بينها يظهر في تحديد المجال الجغرافي لتوسع كل منها[٦]، غـــير أن الغـــزوات الصليبية تركزت على شاطيء البحر المتوسط ذي الأهمية الحيوية، الـــذي كـــان ضـــرورة لا يمكـــن الإســـتغناء عـــنها لاستمرار تدفق الإمدادات الصليبية والمهاجريـــن القادمين من أوروبا. وعلى مدى عقد كامل ظل الصليبيون يشنون هجمات عنيفة ومتواصلة على الساحل حتى وقع الساحل السوري اللبناني الفلسطيني سنة ١١١١م

---

(١) شريت، المصدر السابق، ص١٦، ١٧.

(٢) Avnery, Israel without zionism, p.80.

(٣) تختلف نقطة البداية في تأسيس إمارة الرها الصليبية عن نقطة بداية الإمارات الصليبية الأخرى التي أقيمت في بلاد الشام، حيث أقيمت هذه الإمارة سلمياً، أنظر: أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١١٩، ١٢٧.

(٤) عـــن هذه الانتصارات أنظر: ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٢٧٦– ٢٧٨، وانظر أيضاً: عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٥٠–١٦٧، ١٨٧– ١٨٩.

(٥)Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, P. 475.

(٦) عن سياسة التوسع الصليبي، أنظر: أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٦٩–٢٠٧.

تحت سيطرتهم بالكامل فيما عدا ميناءي صور الذي ظل يقاوم حتى سنة ١١٢٣م، وعسقلان الذي ظل خاضعاً لمصر الفاطمية حتى سنة ١١٥٤م [١].

وقد ثبت غزو الساحل وداخلية البلاد الحدود الطبيعية للمملكة الصليبية، إذ حدّ البحر المتوسط حدود المملكة من الغرب ونهر الأردن وبحيرتي الحولة وطبرية من الشرق وإقليم الجليل من الشمال وصحراء النقب وسيناء من الجنوب [٢].

ويمكن القول أن الممالك الصليبية في الشرق قد وصلت في أقصى توسع لها إلى مناطق، وسيطرت على مساحات، أكبر بكثير من تلك التي تمكن الكيان الصهيوني من الوصول إليها حتى بعد حرب حزيران ١٩٦٧م. إذ إن الصليبيين تمكنوا إضافة إلى احتلال الساحل كاملاً، من الوصول إلى شرق تركيا والحصول على موطئ قدم في شرقي الأردن أيضاً [٣].

على أن المجال الحيوي [٤] لتوسع كلا الكيانين الصليبي والصهيوني تركز نحو احتلال مصر واحتوائها، لما لمصر من أهمية كبرى في الوطن العربي حاضراً وماضياً. فمصر كما نظر إليها دعاة الحركة الصليبية والمتحمسون لها في نهاية القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر بأنها مفتاح بيت المقدس، وأن عليهم البدء بمصر أولاً بوصفها الطريق الطبيعي الموصل لذلك [٥].

---

(١) براور، المصدر السابق، ص٦١-٦٣.

(٢) محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي- الصليبي، السياسة الخارجية للدولة النورية (١١٤٦-١١٧٤م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، ط١، ١٩٩٨م، ص٨٥؛ براور، المصدر السابق، ص١٢٢-١٢٣.

(٣)Avnery, Israel without zionism, p.83.

(٤) يعني المجال الحيوي أن من حق كل أمة في أي منطقة من الأرض تتسع لسكانها، كما ينسحب المعنى أيضاً على جميع الموارد البشرية والطبيعية المتوفرة في هذا المجال وتعتبره الدولة حقاً طبيعياً لها. ومن الذين آمنوا بنظرية المجال الحيوي الزعيم الألماني هتلر، وقد طبقه في الحرب العالمية الثانية، كما آمن به الكيان الصهيوني وطبقه على الدول العربية المجاورة له.

(٥) عن اهتمام الصليبيين بمصر، أنظر: ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج٣، تحقيق جمال الدين الشيال، ط القاهرة، ١٩٥٣- ١٩٥٧م، ص٢٥٨؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٧٥٩-٧٦١.

وكمـــا نظر الصهاينة إلى غزوهم مصر عام ١٩٥٦م وعام ١٩٦٧م، وعبور قناة السويس إلى الطرف الغربي من القناة عام ١٩٧٣م، كهدف سوقي يجري فيه تدمير القوة العربـــية الكـــبرى بما يحقق خضوعها وإجبارها على الدخول في معاهدة سلام كما حدث بـــالفعل في وقت لاحق عند توقيع مصر اتفاقية "كامب ديفيد" عام ١٩٧٨م (١). كذلك نظر الصليبيون إلى غزوهم مصر كعقيدة عسكرية جديدة تتيح لهم ضرب قوة مصر العسكرية تمهـــيداً لاســـتعادة بيـــت المقدس، وضمان وجودهم فيها(٢) ، بالإضافة إلى أن الانتصار الحاســـم علـــى مصـــر ســـوف يجبرها أيضاً على الدخول في معاهدة سلام يشترط فيها الصليبيون ترك مملكة بيت المقدس عند حدودها القديمة (٣).

وهكـــذا نـــرى أن مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبية الأخرى كما هو حال الكـــيان الصهيوني اليوم، قد رهنت نفسها وبقاءها بالإعتماد الوحيد على قدرتها العسكرية وتفوقهـــا. وقـــد قـــاد اكتساح المملكة المذهل نحو قلب مصر إلى عدم إدراك المصاعب الحقيقية التي ستواجهها على الأمد البعيد والتي سيتوقف على أثرها مصيرها النهائي (٤). إذ ظلت الممالك الصليبية رغم ذلك كيانات غريبة في وسط محيط عربي إسلامي، فلم تجد هـــذه الممـــالك قـــبولاً من الوسط العربي الإسلامي، ولم تتوقف المقاومة الإسلامية يوماً واحـــداً، ولم يتمكن الصليبيون في ضوء ذلك كما هو حال الكيان الصهيوني اليوم بالرغم مـــن المعـــاهدات، والهدنـــات، واتفاقيات وقف إطلاق النار، وحتى معاهدات السلام التي عقـــدت مع الكيانين الصليبي والصهيوني من أن ينعم الغزاة بسلام يوم حقيقي واحد (٥)، رغـــم محـــاولات إيجـــاد صـــيغ للتعايش السلمي مع العرب والمسلمين سواء من خلال

---

(١) عـــبد الله الـــنقرش وآخرون، القضية الفلسطينية، المطبعة الوطنية، عمان، ط١، ١٩٩٠م، ص١٠٨-١٠٩، ١١١، ١١٥.

(٢)Prawer, The latin Kingdom of Jerusalem, P. 333.

(٣) براور، المصدر السابق، ص٨٤.

(٤)Avnery, Israel without zionism, p. 87.

(٥) Ibid, , p.87.

وانظر أيضاً:

Finucance, Soldiers of the faith, p. 212.

كمـــا نتج عن تعديل هذه الجغرافية، الوضع الإستراتيجي، وأهمية المواقع الدفاعية لكـــلا الطرفين، إضافة إلى تغيير طرق المواصلات البرية والبحرية والجوية منها. فبعد احتلال الصليبين لأجزاء كبيرة من بلاد الشام باتت المواصلات البرية مع مصر محفوفة بالمخاطـــر لمرور الطرق ضمن مجال سيطرة إمارة الكرك [١]. كذلك أدى احتلال الكيان الصـــهيوني لفلسطين وأجزاء من الأقطار العربية الأخرى إلى تغيير اتجاه كثير من سبل المواصـــلات الـــبرية والـــبحرية والجوية بين بلدان الوطن العربي، وحرم كثير منها من المواصلات المباشرة [٢].

---

(١) جوني، المصدر السابق، ص٩٩.

(٢) أنظر موقع فلسطين الاستراتيجي فيما قبل، ص٣٦، هامش٢.

الفصل الثاني

دوافع الحركتين الصليبية والصهيونية وأهدافهما

١- دوافع الحركة الصليبية وأهدافها.

٢- دوافع الحركة الصهيونية وأهدافها.

٣- التوافق التاريخي بين دوافع الحركتين الصليبية والصهيونية واهدافهما.

دوافع الحركة الصليبية وأهدافها

يمكن رد فكرة الحروب الصليبية إلى تفاعل عدد من العوامل والقوى التي شكلت الخلفيـة التي استندت إليها خطبة البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت في ٢٦ تشرين الثانـي ١٠٩٥م ، وكانت القوة الدافعة التي أسهمت في تشكيل الجيوش التي توجهت إلى فلسـطين. وكـان للتطورات الفكرية والممارسات الدينية التي تبلورت في القرن الحادي عشـر والمتمـثلة بفكرة الحرب المقدسة، والحج إلى الأراضي المقدسة، من أهم عوامل رسوخ الفكرة الصليبية[١].

كمـا كـان للتفاعلات الإجتماعية، وما نتج عن ذلك من صياغة المثل والقيم عن البطولة والشجاعة والفروسية ، ثم محاولة الكنيسة السيطرة على الحروب الإقطاعية التي مزقـت الغـرب اللاتينـي، أثـرها الواضح في توجيه طاقة هؤلاء الفرسان إلى خارج أوروبا[٢].

ولعل فكرة الحرب المقدسة جاءت انعكاساً للتأثير الإسلامي في الغرب الأوروبي، من خلال اقتباس فكرة الجهاد الإسلامية أو من خلال ما تعلمه الغرب من حرب الاسترداد (Reconquista) ضد المسلمين في الأندلس[٣].

وفكـرة الحرب الصليبية في حد ذاتها لم تكن لتسبب هذه الظاهرة التاريخية – أي الحركة الصليبية– لو لم تكن متوافقة مع الظروف التاريخية، وما لم تكن استجابة لحركة المجتمع الأوروبي في ذلك الوقت[٤].

دوافع الحركة الصليبية:

أثـارت دعـوة البابا أوربان الثاني في مجمع كيرمونت لشن حرب صليبية ضد المسلمين في الشرق حماسة الألوف من الجماهير المحتشدة فاقت أقصى ما يمكن لإنسان أن يتصـوره، فعلى مدى عامين بدا وكأن أوروبا بأسرها تتحرك نحو الأرض المقدسة.

---

(١) قاسم ، رؤية اسرائيلية، ص ٢ .

(٢) المصدر نفسه، ص٢،٣؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ١٩.

(٣) كاهن، المصدر السابق، ص ٧٧؛ قاسم ، المصدر السابق، ص٣، أنظر أيضاً:
Finucane, soldiers of the faith,p.9,11.

(٤) قاسم، رؤية اسرائيلية، ص ٣.

وليس بوسع المرء أن يحدد دافعاً واحداً في أمر يخص مئات الألوف من البشر، ومع ذلك لا يمكـن أن يـتطرق الشك إلى أن الدافع الديني كان أحد الدوافع الرئيسة وراء الحركة الصليبية[١].

ولكن ليس معنى ذلك أنه كان الدافع الوحيد المسؤول عن إثارة تلك الحركة والقوة الوحـيدة الموجهـة لهـا، وإنما كانت هناك دوافع أخرى سياسية واقتصادية واجتماعية وشخصية أيضاً[٢]، بحيث امتزجت المطامح الروحية والمادية للناس.

وفـي الحقـيقة فإن الكنيسة تعتبر القوة الأساسية التي حولت التماس الإمبراطور إليكسـيوس بطلـب الإمـدادات إلى حرب مقدسة للاستيلاء على فلسطين، وبذلك تكون الحرب الصليبية الأولى أحد ابتكارات الكنيسة[٣]. والمتأمل في خطاب البابا أوربان الثاني فـي كليرمونت يستطيع أن يضع يده على بعض دوافع البابوية من ناحية، والعلمانيين من ناحية أخرى، وراء الدعوة إلى شن حرب مقدسة والمشاركة فيها[٤].

أمـا عـن الـبابوية فقد كانت دوافعها مزيجاً مختلطاً، فالحرب المقدسة كأداة من أدوات السياسـة البابوية الخارجية كانت تستهدف عدة أغراض، فالحملة المزمع القيام بها كانـت تنشد استرداد الأراضي المقدسة من المسلمين، كما رأى البابا في مثل تلك الحملة فرصـة لتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية تحت زعامته[٥]، وتأكيد دور البابوية كسلطة عالمـية يظهر بها البابا في صورة الزعيم الأوحد للشعب المسيحي كافة في صراعه ضد المسـلمين[٦]. كمـا كانت البابوية ترغب في توظيف الميول الحربية لفرسان الغرب في خدمة غرض عام يفيدهم[٧].

---

(١) براور، المصدر السابق، ص ٤١.

(٢) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٢٥.

(٣) باركـر، آرنست، الحروب الصليبية ، نقلة إلى العربية، السيد الباز العريني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م، ص ٢٠، ٢١؛ عاشور الحركة الصليبية، ج١، ص ١٠٤.

(٤) براور، المصدر السابق، المقدمة ، ص ١٧.

(٥) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٢٩.

(٦) باركر، المصدر السابق، ص ٢١.

(٧) المصدر نفسه، ص ٢١، أنظر أيضاً: براور، المصدر السابق، ص١٧.

وعلى الجانب الاخر، كانت دوافع من قبلوا المشاركة في هذه الحملة مزيجا غريباً ومثــيراً من العوامل والأسباب. فبعضهم أخذ على نفسه القسم الصليبي[١] بسبب الدعاية المســعورة التي أذكتها البابوية ضد المسلمين الذين شاعت عنهم قصص انتهاك الحرمات المسيحية المقدسة وقتل إخوانهم المسيحيين وتعذيبهم[٢].

كمــا أن الــبعض الآخــر أخــذ شارة الصليب أملاً في نيل الغفران والتحلل من الذنــوب التــي وعدهم بها الوعاظ وضمنها لهم البابا[٣]. ومع ذلك فقد اعترف كثير من المؤرخين الأوروبيين الذين عالجوا موضوع الحروب الصليبية بان غالبية الصليبيين الذين شــاركوا في الحركة الصليبية تركوا بلادهم إما بدافع الفضول أو لتحقيق أطماع سياسية، وإمــا للخلاص من حياة الفقر التي كانوا يحيونها في ظل النظام الإقطاعي[٤]، أو للتهرب مــن ديونهــم الثقــيلة، أو فراراً من العقوبات المفروضة على المذنبين منهم، أو لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية في بلاد الشرق[٥].

علــى أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية قد أدت دورها في الاستجابة السريعة للدعــوة التي وجهها البابا إلى الجماهير الأوروبية، فقد كان لسوء الأحوال الاقتصادية في غــرب أوروبــا – وخاصة فرنسا– في أواخر القرن الحادي عشر ما جعل من الحروب الصليبية باباً للهجرة أمام اولئك الجوعى في غرب أوروبا، وطريقاً للخلاص من الأوضاع الاقتصــادية الصــعبة[٦]. فــلا عجب والحالة هذه أن تشارك جموع غفيرة من المعدمين والفقراء والخارجين عن القانون في هذه الحملة.

---

(١) يعد أداء القسم شرطاً أساسياً لاعتبار المشارك في الحملة الصليبية صليبياً، وقد دخل ذلك كعنصر جديد على الحرب المقدسة منذ خطبة البابا أوربان في مجمع كليرمونت، لمزيد من التفاصيل، أنظر:
Riley-smith, what were the crusades, pp.54-55.

(٢)Finucane, soldiers of the faith, p.35.

(٣)Ibid,p.36.

(٤) الــنظام الإقطاعــي: هو مجموعة الأخلاقيات والمثل التي كانت تحرك الطبقة الحاكمة في مجتمع العصور الوســطى، وقــد كــان هذا اسلوب حياة النبلاء الاوروبيين منذ القرن التاسع وحتى القرن الثالث عشر على الاقل، أنظر: قاسم، الحروب الصليبية، نصوص ووثائق، ص ٥٧.

(٥) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٢٩.

(٦) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩، أنظر أيضاً:
Finucane, op.cit, pp.35-40.

أمـــا المـــدن التجارية الإيطالية عامة والبندقية خاصة، فكانت من أشد المتحمسين لفكـــرة الحـــرب المقدســـة ضد المسلمين، بيد أن سبب هذه الحماسة ليس دينياً وإنما كان إقتصادياً، سواء بعرض خدماتهم لنقل الصليبيين عن طريق البحر إلى الشرق، أو في نقل المؤن والأسلحة والإمدادات الأخرى إلى شواطئ بلاد الشام، أو في تقديم المعونة البحرية في الاستيلاء على هذه الموانئ في المراحل اللاحقة[1].

ولـــم تكـــن الأوضـــاع الإجتماعية للمجتمعات الأوروبية في العصور الوسطى[2] بأفضـــل حـــال مـــن الأوضـــاع الاقتصـــادية التـــي عاشتها هذه المجتمعات. فقد ظلت الغالبـــية العظمـــى مـــن الـــناس يحـــيون حـــياة شاقةً مليئةً بالذل والهوان[3]. وليس من شـــك فـــي أن كثيراً من الفلاحين قد فكروا في تحرير أنفسهم من رق الأرض والعبودية إلـــى جانـــب تحريـــر القـــبر المقـــدس[4]. وأمـــا فرســـان الغرب فقد جاءت الحروب الصـــليبية لـــتروي ظمأهم وتعطشهم إلى الحرب والمغامرة، كما صار الدفاع عن الدين وحمايـــته مـــن بيـــن الواجـــبات المـــنوطة بالفارس[5]. ويمكن قياس مدى قوة الرابطة بيـــن الفروســـية والحـــروب الصليبية من خلال استمرار هذه الرابطة وبقائها على قوتها لمـــدة قرنيـــن مـــن الزمان[6]، إذ خلقت أيدلوجية جديدة من الفارس المسيحي الكامل من خـــلال ارتـــباطه بـــالأرض المقدســـة، التـــي صارت مهداً لنظم الرهبنة العسكرية فيما بعد[7].

---

(١) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٣١؛ قدري ملعجي، صلاح الدين الايوبي، قصة الصراع بين الشرق والغـــرب خـــلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط ١،١٩٩٢، ص٣٤.

(٢) العصـــور الوســـطى: هـــي تلك الحقبة الممتدة من القرن الخامس الميلادي تقريباً إلى مطلع القرن السادس عشر، وإن كانت هذه العصور تقسم في التاريخ الاوروبي إلى مرحلتين: الأولى: فجر العصور الوسطى أو العصور المظلمة وتبدأ من اواخر القرن الخامس الميلادي، والثانية: من القرن العاشر أو مطلع القرن الحادي عشر تقريبا إلى نهاية القرن الخامس عشر.

(٣) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٣٣.

(٤) براور، المصدر السابق، ص ٤٤،

(٥) المصدر نفسه، ص ١٨١.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٨٦.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٨٧، ١٨٨.

أما ملوك أوروبا الذين شاركوا في الحروب الصليبية، فقد خرج معظمهم كفردريك بربروسا، وريتشارد قلب الأسد، وفيليب أوغسطس، وفردريك الثاني، تحت ضغط البابوية باستثناء لويس التاسع ملك فرنسا الذي أراد التعبير عن حماسته الدينية بالاشتراك في الحروب الصليبية مشاركة فعلية[١]، في حين أن معظم الأمراء الذين أسهموا في الحركة الصليبية، كانوا يجرون وراء أطماع سياسية لم يستطيعوا إخفائها عند وصولهم لبلاد الشام والإستقرار فيها[٢]، فقد أدت طبيعة النظم الإقطاعية السائدة في الغرب الأوروبي آنذاك إلى وجود عدد كبير من الفرسان والأمراء بدون أرض، فرأوا في الحركة الصليبية فرصتهم حيث سارعوا لتلبية ندائها لعلهم يفلحون في تأسيس إمارات لأنفسهم في الشرق[٣].

أهداف الحركة الصليبية:

خرجت فكرة الحرب المقدسة إلى حيز التنفيذ في أعقاب خطبة البابا أوربان الثاني الشهيرة التي تركزت حول ما تعرضت له المسيحية من خطر الشرق " إن الاتراك، وهم شعب فارسي، قد هاجموهم كما يعلم الكثيرون منكم، وتقدموا داخل الأراضي الرومانية... وقتلوا وأسروا الكثيرين، وهدموا الكنائس ودمروا مملكة الله". ثم طلب من الجميع " أن يسارعوا لسحق هذا الجنس الخسيس من أراضينا ويمدوا يد العون للسكان المسيحيين قبل فوات الأوان[٤]". فكان البابا بذلك أكبر المحرضين على شن هذه الحرب. وقد اكتسبت هذه الحروب ليس صفة الحرب العادلة[٥] التي تشن بأمر الله فقط، بل أنها مُقّرة منه أيضاً وبشكل مباشر[٦]، وأن السلطة التي تجيزها ليست سلطة الأباطرة او الملوك بل سلطة البابوية وحدها[٧].

---

(١) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٥.

(٣) wise, the wars of the crusades,p.18.

(٤) مقتطفات من خطة البابا اوربان الثاني في مجمع كليرمونت، أنظر: الشارتري، المصدر السابق، ص ٣٦.

(٥) لمعرفة المزيد عن الحرب العادلة، أنظر:

Riley - smith , what were the crusades, p. 9, 13-51.

(٦) Ibid,p.16.

(٧) Ibid,p.34.

وهكـــذا بدأت الحروب الصليبية تحت راية الصليب رمز الديانة المسيحية وكان هدفها المعلن " تحرير القبر المقدس من أيدي المسلمين[1]، وكان الاتجاه العام الذي يربط بيـــن مختلف الجماعات الصليبية، وإن اختلفت الدوافع من جماعة إلى أخرى، هو الزحف نحـــو الشرق، وتوجيه ضربة قاصمة للجبهة الاسلامية، ومما لا شك فيه أن هذا الهدف كـــان قاســـماً مشـــتركاً التفـــت حولـــه الجماعـــات التي كانت بواعثها دينية، وتلك التي كانـــت تحـــركها أطمـــاع سياســـية، والأخرى التي كانت تعمل من أجل تحقيق مكاسب اقتصادية[2].

وكـــان الـــتحول إلى القدس يعني ما هو أكثر من مجرد تغيير المقصد الجغرافي للحملة الصليبية، فمن فكرة إنقاذ الشرق المسيحي، الذي لم يكن يتهدده خطر حقيقي آنذاك أصبح هناك حملة جماهيرية صارت هي المحور الرئيس الذي تدور حوله الأحداث، على مـــدى قرنين من الزمان، وطرحت شعارات، مثل تحرير القدس، وتخليص القبر المقدس، لتلهب حماسة الألوف من المشاركين[3].

ومـــنذ خـــروج الحملـــة الأولـــى مـــن أوروبـــا سنة ١٠٩٩م حتى سقوط آخر المعـــاقل الصـــليبية فـــي عكـــا ســـنة ١٢٩١م، تقاطرت إلى المشرق العربي الاسلامي موجـــات عديـــدة من الأوروبيين، في مجموعات عسكرية صغيرة، او في جيوش كبيرة، وقـــد كـــان الإســـتعمار الإستيطاني هو أبرز أهدافها[4]، كما كانت الحرب أهم وسائلها، وكانـــت إمـــارة الـــرها أول إمارة صليبية شادها الغرب اللاتيني فوق الأرض العربية، كمـــا كانـــت أنطاكـــية الإمـــارة الثانية التي أول ما بدأ فيها الإفلاس الأيدلوجي للحركة الصليبية[5].

وبعـــد أن تمكـــن الصـــليبيون من احتلال القدس بعد مسيرة ثلاث سنوات وإقامة عاصـــمة مســـيحية لمملكة لاتينية فيها، ومن ثم تأسيسهم للإمارة الرابعة في طرابلس في

---

(١) prawer ,the latin kingdom of jerusalem,p.15.

(٢) ابو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ١٠٥.

(٣) براور، المصدر السابق، ص ٤٠، ٤١.

(٤) قاسم ، رؤية إسرائيلية، ص ١٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٣، ولمعرفة المزيد عن الإفلاس الأيدلوجي للحركة الصليبية، أنظر:
finucane, soldiers of the faith, pp. 191-209.

مرحلة لاحقة، كان أول تحد لهم هو تشجيع الهجرة من أوروبا إلى فلسطين وباقي الممالك الصليبية الأخرى، لتأكيد بقائهم[١]. فكان التجار والحجاج والمغامرون والمهاجرون يفدون من أوروبا في جماعات كبيرة او صغيرة إلى المناطق الصليبية التي اعتبرها الأوروبيون وطناً ثانياً لهم وأطلقوا عليها إسم "فرنسا ما وراء البحار" أو " الشرق اللاتيني"[٢].

---

(١)prawer, the Latin kingdown of Jerusalem p.32.

(٢) قاسم ، رؤية اسرائيلية، ص ١٠٤.

دوافع الحركة الصهيونية وأهدافها

إن ظهور الكيان الصهيوني كدولة في منتصف القرن العشرين يعتبر ظاهرة فريدة مــن نوعها في تاريخ البشرية.فهذا الكيان هو أولاً وقبل كل شيء وليد "فكرة"، إذ سبقت الفكرة والكلمة قيام الدولة "إسرائيل"(١).

وقــد أراد أصحاب هذه الفكرة تخليص اليهود الذين كانوا يعيشون كأقلية مكروهة في أوروبا، وإحضارهم إلى فلسطين، حيث يشكلون فيها وطناً قومياً لهم. وعلى الرغم من غــرابة هــذه الفكــرة، فقد حظيت بدعم مالي وسياسي كبيرين. وقد كان للدوافع الدينية والمــنافع السياســية والإقتصـــادية للدول الإستعمارية وخاصة بريطانيا الدور الكبير في إظهار هذه الفكرة(٢).

دوافع الحركة الصهيونية

لقــد كانــت البوادر الأولى التي دفعت إنجلترا البروتسنانية للإهتمام باليهود دينية أصــلاً، حيــث تولدت عن سيطرة العهد القديم على عقل وإيمان الساسة الذين كانوا في السلطة في أواسط القرن السابع عشر.

ويســتند الفكر الصهيوني المسيحي البروتستاني إلى عقيدة عودة المسيح المخلِّص في آخر الأيام، وهذا الخلاص لن يتحقق حسب هذه العقيدة إلا باسترجاع اليهود لفلسطين (ليتم تنصيرهم) (٣)ويطلق على هذه العقيدة اصطلاح " العقيدة الألفية"(٤).

---

(١) شريت، المصدر السابق، ص ١١٨.

(٢) الشريف، المصدر السابق، ص ٧٣، ولمعرفة المزيد عن الفكرة الصهيونية، أنظر: المصدر نفسه، ص ٧٣ -١٠١.

(٣) مــن العجيب أن هرتزل نفسه كان قد دعا إلى حل المسألة اليهودية عن طريق دفع اليهود إلى اعتناق الدين المسيحي.

(٤) اســتند الفكــر الصــهيوني الغربي المسيحي إلى عقيدة عودة المسيح المخلّص في آخر الأيام ليحكم العالم والقديســين مــدة ألــف عام يسود فيها العدل والسلام، أنظر: المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية ، ج١، ص ٤٨ .

وقد رافق شيوع هذه المعتقدات تبني التفسير الحرفي للعهد القديم، الأمر الذي أدى إلـى تقـبل القصص الديني الذي يرد في الكتاب المقدس على أنه تاريخ فعلي. وقد تمكن الصـهاينة المسيحيون عن طريق التفسير الحرفي من تحويل فكرة الإسترجاع إلى فكرة حرفـية بحيث يصبح أعضاء الأقلية اليهودية هم الشعب الذي سيعود إلى الأرض المقدسة كما ورد في العقيدة الألفية[١].

وقـد بـدأت هـذه الأفكار تتحول بالتدريج إلى ما يشبه البرنامج التبشيري الديني السياسـي فـي القـرن السادس عشر، وازدهرت في القرنين السابع عشر والثامن عشر (عصـر الإكتشـافات والرأسـمالية وبداية الإستعمار)، ثم وصلت إلى ذروتها في القرن التاسع عشر (عصر الإمبريالية وتقسيم العالم)، إلى أن وصلت إلى شخصيات سياسية مثل اللـورد بلفور صاحب الوعد المشؤوم، وإلى غيره من الشخصيات العالمية من الصهاينة غير اليهود[٢].

ولم يكن الدافع الديني في إنجلترا خاصة والدول الأوروبية الأخرى عامة للإهتمام بالـيهود هـو الدافـع وحده، بل كان للمنافع السياسية دورها أيضاً[٣]. ومنذ عهد أوليفر كـرومويل (١٦٤٩-١٦٥٨م) الـذي دعا إلى حل مشكلة اليهود بالسماح لهم بالعودة إلى إنجلـترا، أصبح أي اهتمام بريطاني بفلسطين يعتمد على دافعين متلازمين: دافع الربح، تجارياً كان أو استعمارياً او عسكرياً، والدافع الديني الموروث من الكتاب المقدس[٤].

فـالوجود الصـهيوني فـي فلسـطين يحقق مزايا اقتصادية واستراتيجية أساسية لبريطانيا، فالدولة اليهودية المزمع إقامتها في فلسطين ستضع إدارة المواصلات التجارية البريطانـية فـي أيدي البريطانيين، كما ستجعلهم مسيطرين على الشرق، وترهب أعداء الإمبراطورية البريطانية وتحول دون تقدمهم إذا دعت الضرورة[٥].

---

(١) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص ٤٨.

(٢) المسيري، الاستعمار الصهيوني وتطبيع الشخصية اليهودية، ص ٢٣.

(٣) النتشة، المصدر السابق، ص ٢٠٩.

(٤) الشريف، المصدر السابق، ص ٧٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٢٦، ١٢٧ .

ويمكـــن القـــول إن من أهم سمات الصهيونية على الإطلاق هي نظرة الإمبريالية إليها على أنها استثمار استراتيجي، يضمن الغرب فيه أمن الدولة اليهودية ويحقق لسكانه مســتوى معيشــياً مرتفعاً على أن يضطلع سكانه المستوطنون في فلسطين بدور المدافع عن المصالح الإستراتيجية الغربية في المنطقة العربية، أي القتال نظير المال(١).

وقــد عبر العديد من الساسة والمفكرين الصهاينة من غير اليهود عن هذه الحقيقة أمــثال اللورد بالمرستون (١٧٤٨-١٨٦٥م) وزير خارجية بريطانيا آنذاك الذي رأى في اســتيطان الــيهود لفلســطين ضــماناً لوجــود مجموعة موالية للمصالح البريطانية في المــنطقة(٢). كما رأى إيرل شافتسبري في عودة اليهود أرخص الطرق وأكثرها أمناً، كما "أن توطيــن الــيهود في فلسطين سيعود بالفائدة ليس على إنجلترا فقط وإنما على العالم الغربي بأسره"(٣).

أما جوزيف تشامبرلين (١٨٣٦-١٩١٤م) وزير المستعمرات البريطاني فقد رأى أن " الــيهود مجموعة من المستعمرين الأوروبيين الجاهزين لاستيطان وتطوير وامتلاك أرض خالية تحت الوصاية البريطانية"(٤).

وفـــي الحقــيقة كـــان هناك مجموعة كبيرة من الصهاينة غير اليهود الذين كانوا يؤيــدون الصهيونية وأهدافها في فلسطين أمثال: لويد جورج، ومارك سايكس، وهربرت سايد بوثام، وروبرت سيسل، وريتشارد ماينرتزهاجن، وغيرهم كثيرون.

أما الساسة والمفكرون من الصهاينة اليهود أمثال ماكس نوردو (١٨٤٩-١٩٢٣م) فقــد رأى أن " الدولـــة اليهودية ستكون "بلداً تحت وصاية بريطانيا العظمى" وأن اليهود

---

(١) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص ٤٥-٤٦.

(٢) الشريف، المصدر السابق، ص ١١٨.

(٣) Sokolow, nahum, History of zionism: 1600-1918, Longmans, green and co.london,1919,p.230.

(٤) الشريف، المصدر السابق، ص ١٥٠، أنظر أيضاً:
Tuchman, Barbara w., Bible and sword: England and palestine from the Bronze age to balfour, London, Alvin Redman, 1957,p.189.

"سيقفون حراساً على طول الطريق الذي تحف به المخاطر ويمتد عبر الشرق الأدنى والأوسط(١) حتى حدود الهند" (٢).

وأما حاييم وايزمن فقد رأى في الدولة الصهيونية بأنها " ستكون بلجيكا آسيويةً، كما ستشكل " خير دفاع فعلي لقناة السويس"(٣) ثم يبين وسائل المنفعة المتبادلة فيقول " إن وافقت إنجلترا على منحنا فلسطين فإنها ستحصل على سند فعال، وسنحصل نحن على وطن"(٤).

أما هرتزل فقد مزج جميع الإستعارات سواء للمكان او الزمان التي وردت في أقوال الكتاب أو المفكرين أو الساسة السابقين في استعارته الشهيرة حين قال: "سنقيم هناك جزءاً من حائط لحماية أوروبا في آسيا يكون عبارة عن حصن منيع للحضارة في وجه الهمجية، ويتوجب علينا كدولة محايدة أن نبقى على اتصال مع أوروبا التي ستضمن وجودنا بالمقابل"(٥).

ويلاحظ أنه لم يقتصر فهم طبيعة الحركة الصهيونية في تبعيتها للإستعمار على زعيم صهيوني واحد، بل كان هذا هو الفهم المشترك لهم جميعاً. وهذا الإدراك بالنظر إلى الدولة اليهودية باعتبارها "رقعة" أو "مساحة" أو "مكاناً" تابعاً أو "بلداً تحت الوصاية"، وإعتبار المستوطنين الصهاينة "حراساً" و" خدمة عسكرية جاهزة"،

---

(١) يشمل مصطلح "الشرق الأوسط" حالياً ما كان يعرف من قبل بإسم " الشرق الادنى" قبل الحرب العالمية الأولى، وخلال تدهور الإمبراطورية العثمانية الذي استغرق زهاء قرن ونصف ، عُرفت جميع المسائل التي قامت بين العثمانيين والدول الأوروبية المتنافسة على اقتسامها باسم " مسائل الشرق الأدنى"، أنظر: إبراهيم علي طرخان، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٧.

(٢) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص ٤٦ ، نقلاً عن :
Nordau,Max, Max Nordau to his people , scopus publishing society, NewYork, 1914, p. 209.

(٣)weizman , Trial and Error, p. 225,243.

(٤)Laqueur , walter, Ahistory of zionism , Schocken books, New York, 1976, pp.182-183.

(٥)stewart, Theodor Herzl, p.220.

أنظر أيضاً: صايغ، المصدر السابق، ص ١٢٠.

هـو الصـفة المميـزة لجميع الإتجاهات الصهيونية، سواء أكانت عمالية أو سياسية أو عامة[1].

ولـم تقتصـر دوافـع الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا بتشجيع المشروع الصـهيوني علـى الدوافع السياسية وحدها، بل كان للمنافع التجارية والإقتصادية دورها أيضـاً، ذلـك الدور الذي سيكون له مردود إقتصادي ولكنه غير مباشر كما يقول "ناحوم غولدمـان". فالتجار اليهود يمكن أن يسدوا خدمات لإنجلترا بعملهم كجواسيس يزودونها بمعلومـات عن السياسات التجارية للدول المنافسة، علاوة على رؤوس الأموال الضخمة التي يمكن أن يجلبها اليهود معهم لاستثمارها في الصناعات الإنجليزية[2].

كمـا رأى الساسـة الإنجلـيز أن إقامة دولة يهودية في فلسطين أقل كلفة وأكثر ربحـاً مـن إقامة جيوشهم فيها[3]، " فتربة فلسطين ومناخها ملائمان على نحو فريد لنمو محاصـيل تلبـي حاجات بريطانيا العظمى[4]"، كما يمكن أن تكون هذه الدولة أداة يمكن اسـتخدامها فـي المشاريع التجارية والإستيطانية لما يتميز به اليهود من قدرات تجارية فائقة.

وقـد أدرك هرتزل بمكره ودهائه أن مصر كقاعدة عسكرية ستكون مكلفة للغاية لإنجلـترا، ولـذا أشار إلى أن المشروع الصهيوني، بتكاليفه الزهيدة، شيء مغرٍ[5]. وقد اسـتخدم وايزمـن الإسـتعارة الـتجارية ذاتها حين كتب لتشرشل قائلاً : " إن السياسة الصـهيونية في فلسطين ليست على الاطلاق تبديداً للموارد، وإنما هي التأمين الضروري الذي نعطيه لك بسعر أرخص من أن يحلم به أي فرد آخر[6].

---

(١) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص ٤٨، أنظر أيضاً: النتشة، المصدر السابق، ص ٣٠٥.

(٢) كـان الكسب التجاري هو الحافز لكرومويل بالدعوة للسماح لليهود بالعودة والإقامة في إنجلترا في مؤتمر وايت هول في كانون اول ١٦٥٥م.

(٣) النتشة، المصدر السابق، ص ١٩٤.

(٤) صادق-جلال العظم، الصهيونية والصراع الطبقي، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٧٥م، ص ٦٠.

(٥) المسيري، اليهودية والصهيونية وإسرائيل، ص ١٤٣.

(٦) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص ٥٥.

ويجـــب أن لا يغيـــب عن البال أهمية اكتشاف البترول في الشرق الذي كان من الدوافـــع الهامة لتأييد بريطانيا للمشروع الصهيوني. فكان تزايد شأن البترول، وضرورة ضـــمان اســـتمرار تدفقـــه والسيطرة عليه، من أهم الأسباب التي دعت بريطانيا للتمسك بإنـــتدابها علـــى فلسطين وشرق الأردن. وكان وجود دولة يهودية في فلسطين ضمانة لا للسويس فحسب بل للذهب الأسود أيضاً[١].

ويجـــب أن يُلاحظ أن المشروع الصهيوني لإقامة دولة لليهود في فلسطين لخدمة مصـــالح الإســـتعمار الغربـــي، كـــان موضـــع اتفـــاق مشترك بين جميع الدول الغربية الإســـتعمارية بـــلا استثناء[٢]، كما أنه كان مصلحة أميركية أيضاً. وقد استغل الصهاينة الـــيهود التنافس بين الحلفاء وأمريكا بخصوص المشروع الصهيوني، فأصبحوا يشعرون بمـــدى حاجـــة الجمـــيع لهم، فعملوا على دفع الحكومة الأميركية للضغط على الحكومة البريطانـــية لإصدار وعد بلفور[٣]. وكانت بريطانيا تعلم مدى ارتباط المصالح الأميركية مع المصالح الصهيونية، لذلك عملت على مشاركة أميركا في هذا المشروع لتضمن بذلك إبعـــاد المنافســـين الأوروبييـــن الآخرين[٤]. ويمكن القول أن انتقال مركز الإمبريالية ثم الصهيونية بعد الحرب العالمية الأولى إلى واشنطن وتركز معظم يهود العالم في الولايات المتحدة، كان له أعمق الأثر في زيادة الإهتمام الأميركي بالحركة الصهيونية فيما بعد[٥].

ومـــن الدوافع الأخرى التي أدت إلى ظهور الحركة الصهيونية كانت الدعوة إلى اللاســـامية، فعلـــى الرغم من انتشار أفكار الثورة الفرنسية واندماج اليهود في الكثير من بلدان أوروبا الغربية، لم يمنع ذلك من ظهور بعض الأفكار اللاسامية التي كانت تدعو إلى اضـــطهاد الـــيهود وطـــردهم من البلاد التي يقيمون فيها وذلك لأسباب سياسية كما فعل نابليون وبسمارك[٦].

---

(١) النتشة، المصدر السابق، ص ٢١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢١٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢١٦.

(٥) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص ٦٦.

(٦) النتشة، المصدر السابق، ص ٤٠٥.

وفي هذا المجال فقد بين بلفور أهمية الصهيونية للعالم كما يراها هو في "محاولتها التقليل من الويلات الأبدية التي أصابت الحضارة الغربية نتيجة وجود جسم كان يعتبر غريباً بل معادياً، ولكنها في الوقت نفسه غير قادرة على إبعاده او استيعابه"(١).

وكان يظهر من اليهود بين وقت وآخر من يدعو - نتيجة ذلك- إلى إقامة دولة لليهود في أي بقعة من العالم، لا لتنفيذ هدف ديني وإنما هروباً من الإضطهاد وتحقيقاً لأهداف دنيوية. وكانت فلسطين إحدى هذه البقاع التي كان البعض يدعو للهجرة إليها(٢).

وكان الصهاينة من غير اليهود يعملون على دعم الصهيونية اليهودية لا من أجل حماية اليهود، بل لإيجاد مبرر لإبعادهم إلى حيث (ينتسبون)، أو لعدم السماح لهم بدخول بلادهم والاستقرار فيها(٣).

ويلاحظ أن الإمبرياليين والإستعماريين، ما كان لهم أن ينفذوا مشاريعهم الإستعمارية دون إستغلال الحالة المتردية لليهود في شرق أوروبا الذين قاسوا من اللاسامية، ومن المذابح التي تعرضوا لها في روسيا القيصرية عام ١٨٨١م حيث توطن معظمهم في أوروبا الغربية. وقد حدث ذلك في وقت كانت فيه المسألة اليهودية في أوروبا الغربية تسير في طريق الحل بفضل الإستيعاب والإندماج(٤).

وقد تضافرت المخططات الإستعمارية الأوروبية بصدد منطقة الشرق الأدنى والوضع اليائس ليهود شرق أوروبا لخلق الشروط اللازمة لظهور الصهيونية اليهودية السياسية، وتشكل في أوروبا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر مفهوم المسألة اليهودية التي تبحث عن حل(٥).

---

(١)sokolow , History of zionism, vol. 1, p. xxxiv.

(٢) النتشة، المصدر السابق، ص ٤٠٥.

(٣) الشريف، المصدر السابق، ص ١٤.

(٤)النتشة، المصدر السابق، ص ١٣٩-١٤٠ ، ٣٧٢.

(٥) ثيودور هرتزل، دولة اليهود، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص ٣٩-٤٣.

أهداف الحركة الصهيونية

يـــنطلق المشروع الصهيوني من فكرة اليهود (كشتب) عضوي هامشي منبوذ[١]، وهـــذا (الشعب) لا يستطيع أن يعبّر عن إثنيته إلا من خلال دولة يهودية[٢]. والدولة عند الصـــهاينة ليست وسيلة لتحقيق الذات الإثنية كما هو الحال في الفكر الألماني، وإنما هي وســيلة وجودها. فاليهود – حسب الرؤية الصهيونية – موزعون في جميع أنحاء العالم، وليس لهم وجود (قومي) إلا داخل الدولة[٣].

كما تكتسب الدولة في الفكر الصهيوني دلالة أخرى هي فكرة الدولة الراعية. ومن هـــنا كـــان البحـــث عـــن دولة غربية عظمى تؤمن عملية نقل اليهود وتوطينهم والدفاع عـــنهم[٤]. فـــتوجهوا إلى بريطانيا ليضعوا أنفسهم في خدمتها بادئ الأمر، ثم توجهوا إلى أمريكا بعد انتقال مركز الثقل إليها.

وهـــدف الصـــهيونية الـــذي حـــدده المؤتمـــر الصـــهيوني الأول في مدينة بال بسويســـرا هـــو:" إنشـــاء (وطـــن للشـــعب الـــيهودي) فـــي فلســـطين يضمنه القانون العام" [٥].

وفلسطين لم يكن لها، عند انعقاد مؤتمر بال، كيان سياسي أو جغرافي محدد بحيث ترد إليه الإشارة الواردة في قرارات المؤتمر الصهيوني الأول، إذ إن فلسطين كانت جزءاً مـــن الإمبراطورية العثمانية، ومن الناحية الإدارية كانت موزعة التبعية. فكان الغموض

---

(١) تستند فكرة (الشعب) العضوي المنبوذ إلى أن جوهر المشكلة يكمن في أن اليهود " الذين يسكنون بين الأمم المخـــتلفة يكونون عنصراً لا يمكن أن يذوب فيها ولا يمكن لها أن تهضمه"، وهذا فضلاً عن أنه لا وطن له ولا حكومة تمثله، أنظر: صايغ، ص ٨٢.

(٢) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص ٩٣.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٩٣.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٩٣-٩٤.

(٥) Sokolow, History of zionism, p.268; Stewart, Theodor herzl, p. 255.

بتعريف فلسطين له أبعاده ومراميه في الحركة الصهيونية، بحيث تتخير الحدود التي تلائم المرحلة التي تمر بها(١).

وقد تباينت الآراء الصهيونية حول ماهية حدود فلسطين تبعاً للتفسيرات التلمودية او تفسيرات الربانيين(٢) أو العلمانيين. إلا أنه يمكن القول بأن هناك حدوداً توراتية حسبما جاء في الكتاب المقدس لما يسمى بالوعود الإلهية لليهود بمنحهم أرض الميعاد، وهناك حدود تاريخية تشكل الحق التاريخي لهم في فلسطين والتي كانت واقعة من وجهة نظرهم تحت سيطرة الآباء منذ اكثر من ألفي عام، وحدود قادة الفكر الصهيوني منذ عام ١٩١٧(٣).

كما يمكن القول بأن هناك حد أدنى لهذه الحدود، وحد أقصى، وأن الإنتقال من الحد الأدنى لهذه الحدود إلى الحد الأقصى يرتبط بعدة عوامل دينية ومادية تتوقف على مدى إطاعة اليهود لتعاليم الرب، وعلى تطور القوى البشرية لليهود، وكذلك على موقف السكان الأصليين للبلاد المطلوب الإستيلاء عليها(٤).

وتشتمل حدود الحد الأدنى التوراتية على المنطقة من نهر دان شمالاً إلى بئر السبع جنوباً، وتشمل كذلك على ضفتي نهر الأردن حيث يحدها من الشرق بادية الشام ومن الغرب البحر المتوسط، أما الحد الأقصى لهذه الحدود فيشتمل على المنطقة التي يحدهامن الغرب البحر المتوسط، ومن الجنوب والجنوب الغربي خليج العقبة والعريش وصحراء سيناء، ومن الشرق بادية الشام شاملة شرقي الأردن، ومن الشمال والشمال الشرقي نهر الفرات حتى صيدا على البحر المتوسط(٥).

---

(١) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص ١١؛ قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٧٠.

(٢) الربانيون او الربيون او الربانون: أي جمع ربان بمعنى الحبر، أو الفقيه. وفي العربية" الرباني" هو العالم، وقد أطلق على الفريسين لقب الربانيين لانهم يؤمنون بما جاء في أسفار التلمود الذين هم أحبار هذه الفرقة وفقهاؤها. أنظر: أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، العربي للإعلان والنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، ط٦، ١٩٧٢م، ص ٨٠٤.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن حدود أرض إسرائيل عبر مختلف الحقب التاريخية، أنظر: عادل محمود رياض، الفكر الإسرائيلي وحدود الدولة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٩-٢٩٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢١، ٢٤.

أمـــا الحـــدود التي عرضها الصهاينة على مؤتمر الصلح عام ١٩١٩م لفلسطين، فتضـــم فلســطين بكاملهـــا وجنوبي لبنان بما في ذلك مدينتا صيدا وصور وجبل الشيخ والجـــولان وشـــرق الأردن إلى خط يتجه بمحاذاة خط سكة الحديد إلى خليج العقبة، وقد أطلـــق وايزمـــن على تلك المنطقة إسم فلسطين التاريخية(١). وهكذا نرى أن حدود دولة (إسرائيل) المقترحة تضم جميع منابع المياه في المنطقة والمصادر الطبيعية المتوفرة فيها والضرورية للأساس الإقتصادي للبلاد(٢).

وفـــي الواقـــع فـــإن ما يدفع الصهاينة ويقرر حركتهم كما عبّر عن ذلك الكاتب والمـــؤرخ الـــيهودي " أوري أفنـــيري" ليس الدافع الأيدولوجي للصهيونية وإنما موازين القـــوى فحسب، ولهذا فهو يتنبأ بأن التوسع الصهيوني لن يتوقف مادام هناك فراغ يسببه الغياب العربي وأنه سيستمر حتى يتخطى حدود (إسرائيل الكبرى) إذا سنحت لهم الفرصة بذلك(٣).

ومـــن الجديـــر بالذكر أن الصهيونية عبارة عن هجرة واستيطان. فالإستيطان هو التوســـع، وأمـــا الهجـــرة فهـــي تركيز القاعدة الديمغرافية للدولة الصهيونية داخل حدود (معقولـــة) كـــي يمكـــنها الحفـــاظ على طابعها اليهودي الإحلالي(٤). وقد اتخذت الهجرة الـــيهودية، قـــبل قيام الدولة، طابعاً مصيرياً بالنسبة للوجود الصهيوني في فلسطين، ففي العقدين الأولين من القرن العشرين كانت الهجرة لتجسيد الفكرة الصهيونية، أي خلق واقع يهـــودي فعلـــي علـــى الأرض الفلسطينية، ومع ازدياد حركة الهجرة واتساعها فيما بين الحربين العالميتين، الأولى والثانية، أصبح هدف الهجرة هو حل " المسألة اليهودية" وفي الأربعيـــنات من القرن نفسه، شكلت الهجرة أهم عنصر من عناصر الإستعداد العسكري الصـــهيوني لاحـــتلال فلســـطين، وإقامة دولة يهودية فيها، وبعد قيام الدولة ظل عنصر

---

(١) أنـــيس القاســـم، الـــتحدي الإسرائيلي ومواجهته، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٩م، ص ١٧-٢٠؛ رياض، المصدر السابق، ص ٧٣.

(٢) جورجي كنعان، سقوط الامبراطورية الإسرائيلية، دار النهار للنشر، ط١، ١٩٨٠م، ص ١٨.

(٣) المســـيري، موسوعة تاريخ الصهيونية ، ج٣، ص ١١،١٢ نقلاً عن: أفنيري، أوري، كيف ستكون النهاية، هاعولام هازة، ٣/ أيلول/ ١٩٨٣م.

(٤) المصدر نفسه،ج٣، ص ١١، ١٤.

الهجرة يشكل الهاجس اليومي للكيان الصهيوني الضروري للمحافظة على أمن واستمرار بقاء هذا الكيان[١].

ومــنذ بــادرت الحركة الصهيونية إلى تنظيم الهجرة اليهودية عام ١٩٠٧م، كان هدفهــا، ولا يــزال هو إعادة اليهود من المنافي إلى " أرض إسرائيل التاريخية"[٢] حسب زعمهــم. وقــد تطلــب طموح الغاية الصهيونية، واتساع أبعادها السياسية والإقتصادية والإجتماعــية، أن يعــتمد المخطط الصهيوني لتحقيق هذه الغاية، على التدرج المرحلي، والانــتقال مــن هدف إلى آخر، حتى تتحقق الغاية كاملة. ومنذ عام ١٩٤٨م اتخذ الكيان الصهيوني، في فلسطين، شكله السياسي الدولي، بإعلان قيام دولة (إسرائيل) التي لم تكن نهايــة المطاف[٣]، بل أن المهمة التالية كما صرح بذلك بن غوريون " هي استقدام جميع اليهود إلى اسرائيل"[٤].

والصــفة الأساســية والملازمــة للإستعمار والإستيطان الصهيوني أنه إستعمار إحلالــي، إذ لابــد لكي يتحقق الحلم الصهيوني من أن يختفي السكان الأصليون، وإفراغ فلســطين مــن كل سكانها أو معظمهم أصبح أحد الثوابت اللصيقة في الفكر الصهيوني وبنيــته، وبالتالــي بالممارســة الصــهيونية، ســواء بالترهيب أو بالترغيب[٥]. غير أن الصــهيونية وبعد نحو مئة عام من الإستيطان الصهيوني المدعم من الخارج، وبعد نحو خمســين عاماً من إعلان الدولة التي فتحت فيها أبواب فلسطين للهجرة على مصراعيها، فإن ما يسمى " الشعب اليهودي" ، بغالبيته، لم يختر الحل الصهيوني[٦] ، وفضل معظمهم العيش في المنافي والشتات، وظلت حركة الجذب إلى " بلاد المنفى" قوية إلى اقصى حد، وحركة الطرد من " الوطن القومي" لا تقل عنها قوة[٧].

---

(١) كنعان، المصدر السابق، ص ١١٥.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢١، ٢٢.
(٤) المصدر نفسه، ص ١١٣.
(٥) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص ٢٦، ٢٧.
(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٦٧.
(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٥٢.

وأمـــا الفلســـطيني الذي ظل يتجه نحوه الإدراك الصهيوني عبر مقولتي (العربي المـــتخلف) و(العربـــي الهامشي) (1)، فقد فشلت الصهيونية في إفراغ الأرض منه تماماً وأصـــبحت الدولـــة الـــيهودية النقية تواجه أقلية عربية داخلها، وأغلبية عربية ساحقة في الضفة الغربية وقطاع غزة بعد إحتلالها لها في حرب عام ١٩٦٧م.

وفي هذا المجال يقول أحد الصهاينة:" إن كنه الصهيونية اليوم هو الهجرة.. وبدون هجـــرة إلى (إسرائيل) سنبقى معرضين للخطر السكاني العربي الذي يمكن أن يؤثر على طابع دولة (إسرائيل) وهويتها ومناعتها" (2). كما قال" شمعون بيريز" رئيس وزراء الكيان الصـــهيوني الأســـبق:" إن (إسرائيل) تترجح حالياً بين النجاح في الإستيطان والفشل في الهجرة"(3).

---

(١) يـــنظر الكثير من الصهاينة إلى أنفسهم على أنهم حملة مشعل الحضارة الغربية، وينظرون عكس ذلك إلى العربـــي، أنظر: المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص ٦، ٦٤، وأيضاً ، ج٢، ص ١٦٨، ١٧٠- ١٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص١٤، نقلاً عن: صبري جريس، المؤتمر الصهيوني الثلاثون، ص ١١٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٤، وقد أورد هذا الاقتباس نقلاً عن: المصدر نفسه، ص ١١٩.

التوافق التاريخي بين دوافع الحركتين الصليبية والصهيونية وأهدافهما

إن الـــتوافق بين الصهيونية والصليبية على الرغم من بعض الاختلافات لهو كبير جـــداً وخاصة في التشابه الشديد في الإتجاهات العامة لكلتا الحركتين[١]. وهذا التشابه في حقـــيقة الأمـــر ملفت للإنتباه رغم محاولة الصهاينة إخفائه وإنكاره، فكلتا الحركتين كانتا ثورة ذات عمق كبير، وآثار بعيدة، فاقت جميع التوقعات.

وقد أدت الإعتبارات السياسية والإقتصادية والإجتماعية دوراً حاسماً في تبلور كلتا الحركتيـــن[٢]. فكمـــا كـــان معظم أمراء الحملة الصليبية الأولى يجرون وراء أطماعهم السياســـية التـــي ظهـــرت بشكل جلي عند وصولهم لبلاد الشام والإستقرار فيها[٣]، كانت دوافـــع الـــدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا تنظر إلى المشروع الصهيوني كاستثمار إســـتراتيجي يضـــطلع فـــيه الكـــيان الصهيوني بدور المدافع عن المصالح الإستراتيجية الغربية في المنطقة العربية. وقد عبّر عن هذه الحقيقة مؤتمر لندن التآمري الذي عقد في لندن عام ١٩٠٧م وحضرته عدة دول أوروبية منها: بريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وهولندا، وبلجيكا، وإسبانيا، والبرتغال، إذ خرج المؤتمرون بعدة قرارات وتوصيات كان أخطرها: "إقامـــة حاجز بشري قوي وغريب، يمثل الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم، ويـــربطهما معاً بالبحر المتوسط، بحيث يشكل هذا الحاجز البشري قوة صديقة للإستعمار وعدوة لأهل المنطقة" [٤].

وكمـــا كـــان للأحوال الإقتصادية السيئة التي حصلت في أوروبا وخاصة فرنسا، وكـــثرة الحـــروب الداخلية، ما دفع أوروبا إلى التطلع لامتلاك أقاليم جديدة خارج أوروبا

---

(١) Avnery, Israel without zionism, p.82.

(٢) عـــن الاعتـــبارات السياســـية والإقتصادية والإجتماعية للحركة الصليبية، أنظر: عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج١، ص ٢٥١-٤٣٦؛ نعيم فرح، تاريخ اوروبا السياسي في العصور الوسطى، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٤م، ص ٨٤-١٦٤.

(٣) انشـــق بلدويـــن عـــن الجيش الصليبي واندفع شرقاً وأقام إمارة الرها، في حين تمكن بوهيموند من امتلاك أنطاكية وتأسيس ثاني إمارة صليبية بعد الرها.

(٤) أنظر نص المقررات في: سوسة، المصدر السابق، ص ٦٣٢-٦٣٤.

نفســها[١]. وقــد ظهر ذلك جلياً في خطبة البابا أوربان الثاني عندما قال: " إنطلقوا على طريق الضريح المقدس، أنقذوا تلك الأرض من ذلك الجنس المرعب واحكموها بأنفسكم، لأن هــذه الأرض تفيض باللبن والعسل كما يقول الكتاب المقدس أعطاها الرب مُلْكاً لبني إسرائيل" [٢].

كمــا دفعت الأحوال الإقتصادية في أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، بعد الثورة الصناعية، هذه الدول إلى البحث عن مصادر جديدة للمواد الخــام، وأســواق جديــدة لتســويق منــتجاتها، فكان إستعمار بلاد جديدة هو الحل لهذه المشــكلة[٣]. وقــد أخذ التنافس الأوروبي على النفط وخاصة في المناطق العربية أشده، وخاصــة بعد أن بدأت تتضح ملامحه في الثلاثينات من القرن الحالي بصورة كبيرة، ولا يزال التنافس بينها على المواد الخام في البلاد العربية ماثلاً حتى اليوم[٤].

وكمــا أسهمت الأوضاع الإجتماعية التي سادت دول أوروبا خلال النصف الثاني مــن القرن الحادي عشر في الإستجابة السريعة لدعوات الحروب الصليبية، بما شاع فيها مــن مظاهر الجهل والأمية والفقر وانعدام الأمن بسبب الحروب الإقطاعية الداخلية، مما دفــع الــبابوية إلــى توجــيه طاقــات الفرســان نحو مقاتلة المسلمين[٥]، كذلك أسهمت الأوضــاع الإجتماعــية فــي أوروبــا مــع بدايــة القــرن العشرين، بما عرفته القارة الأوروبــية مــن زيــادة ســكانية كبــيرة، وتنامي النزعة العنصرية الإستعمارية، إلى تطلــع هــذه الــدول ورغبــتها القويــة بالسيطرة على شعوب اخرى، وفي تعزيز فكرة الإســتيطان الخارجــي في الدول غير الأوروبية[٦]. وقد اعتمدت بعض الدول الأوروبية

---

(١) Williams, knights of the crusades, Horizon Magazine, cassell – London, 1963, p.32.

أنظــر أيضــاً: محمد المعروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٣٣.

(٢) المقصــود هــنا المســيحيون لا الــيهود، ذلك لأن المسيحية نزلت لهداية اليهود، أنظر نص الخطاب في: الحروب الصليبية– نصوص ووثائق، رواية روبير الراهب، ص ٧٩.

(٣) عــبد القــادر احمد أبو صيني، نور الدين موحد الامة ضد الصليبيين– دور نور الدين محمود زنكي في نهضة الأمة ومقاومة الغزو الصليبي، مطبعة الفطافطة، الزرقاء ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٩٦،٢٩٠.

(٤) النتشة، المصدر السابق، ص ٢١٣.

(٥) رنسيمان، المصدر السابق، ج١، ص ٦، أنظر أيضاً:

Williams, op.cit ,p.25,28.

(٦) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص ٦٧–٦٨، ٩٠.

نظــرية المجــال الحيوي لتخفيف الضغط السكاني عنها بالسيطرة على أقاليم معينة ونقل الفائض السكاني إليها[١].

ويمكن القول أن دفع آلاف اليهود وتهجيرهم من أوطانهم، وتوجيههم إلى فلسطين، وإقفــال أبواب الهجرة للبلاد الأوروبية والأميركية والدول الأخرى أمامهم، وإبقاء الباب مفــتوحاً إلـــى فلســطين، لا يخرج عن دائرة نقل الفائض السكاني الأوروبي إلى خارج أوروبا، بهدف حل ما عُرف بالمسألة اليهودية وتحقيق المصالح الأوروبية الإستعمارية[٢].

ومـــن الجدير بالذكر أن الصهيونية ليست حركة صوفية أو دينية، رغم استخدامها للديــباجات الدينية، كما أنها ليست حركة عالمية، وإنما هي نتاج ظروف عامة وخاصة، ماديـــة وفكرية، داخل التشكيل الحضاري الأوروبي في القرن التاسع عشر، بالإضافة إلى بعــض الأوضاع المادية والفكرية التي تعود للأقليات اليهودية داخل هذا التشكيل[٣]. في حين يمكن القول بعالمية الحركة الصليبية[٤] التي شملت معظم الدول الأوروبية المسيحية في العصور الوسطى آنذاك والذين خاطبهم البابا أوربان الثاني قائلاً:"يا شعب الفرنجة.... فقــد ورد خبر حزين من البلاد المحيطة بالقدس .. مؤداه أن شعباً من مملكة الفرس وهو جــنس أجنبـــي.. قد غزا أرض أولئك المسيحيين "، ثم يواصل فيقول: " فإنكم أيضاً، أيها الجنود المسيحيون يجب أن تدافعوا بالسلاح عن حرية أرض الآباء حقاً وعدلاً"[٥].

وعلـــى الرغم من أن الحركة الصليبية لها في إسمها وطريقة الدعوة لها ومجرى الأحداث فيها ما يجعل الصفة الدينية واضحة فيها، لم يكن الباعث الديني فيها شأنها شأن الحـــركة الصهيونية الباعث الأول الذي دفع البابوية إلى القيام بتلك الدعوة، ودفع جموع الـــناس إلى تلبية هذا النداء، والخروج أفواجاً من غرب أوروبا قاصدين المشرق العربي،

---

(١) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٦٧.

(٢) النتشة، المصدر السابق، ص ٣٤٢.

(٣) المسيري، الإستعمار الصهيوني، ص ١٧.

(٤) كانت الكنيسة ترى أنه لابد أن يحكم في الأرض المقدسة بعد استردادها من المسلمين كنيسة عالمية خالصة، وبذلــك ســتكون الحــرب المقدســة تعبيراً عملياً عن زعامة البابا الروحية للعالم المسيحي، أنظر: باركر، المصدر السابق، ص ٤١؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٢٩، أنظر أيضاً:
Prawer, the latin kingdom of Jerusalem, p. 481

(٥) مقتطفات من خطبة البابا أوربان الثاني، رواية روبير الراهب، أنظر: الحروب الصليبية، نصوص ووثائق، ص ٧٧-٧٨، وانظر أيضاً: المصدر نفسه، رواية جيوبرت النوجنتي، ص ٨٢.

بل يمكن القول بكثير من الإطمئنان أن هذه الحركة دفعتها بواعث حقيقية أخرى وأسباب قويـــة، انبعثـــت من صميم المجتمع الأوروبي الغربي، وكانت هي الأخرى نتاج ظروف عامة وخاصة، سياسية واجتماعية واقتصادية وحضارية[١].

حقيقة إن العصور الوسطى في الغرب الأوروبي عُرفت في التاريخ بإسم" عصور الإيمـــان" إلا أنـــه يمكـــن القـــول أن الحروب الصليبية هي من خلق الكنيسة، وأن البابا أوربان الثاني هو الذي أطلق القوى المختلفة من عقالها، حينما ألقى خطبته المشهورة في مجمـــع كليرمونت وحدد يوم ١٥ آب ١٠٩٦م موعداً لرحيل الصليبيين[٢]. وكانت صيحة الصـــليبيين " هـــذه مشـــيئة الله"[٣] GOD wills it، هي الشعار الذي سارت تحت لوائه الجموع البشرية الزاحفة نحو الشرق باتجاه الأراضي المقدسة.

كذلك يمكن القول إن الصهيونية بوصفها حركة سياسية هي من خلق القرن التاسع عشـــر[٤]، فقد كانت الحركة الصهيونية في القرون الأربعة الماضية في تيارها العريض حـــركة أوروبـــية مسيحية أو بما اصطلح عليه بالصهيونية غير اليهودية، إذ استندت إلى الـــتوراة كمصدر حق شرعي لليهود بامتلاك الأراضي المقدسة، وعلى التنبؤات الواردة فـــيها عن عودة اليهود إلى أورشليم تمهيداً لعودة المسيح المنتظر. وقد خلقت هذه الحركة الصـــهيونية غـــير الـــيهودية المناخ السياسي والفكري والمادي لبعث الحركة الصهيونية الـــيهودية. فكـــان أن مكن هذا المناخ المتعاطف والمساند للحركة الصهيونية اليهودية من تحقـــيق أكـــبر مـــنجزاتها بعقد المؤتمر الصهيوني الأول بزعامة هرتزل الذي يُعد بحق المؤســـس الحقيقي للحركة والمنظمة الصهيونية. وكانت صيحة " هيا بنا، يا أبناء يعقوب" Lets go, children of jacob،هي الشعار الذي اتخذه اليهود الصهاينة [٥].

---

(١) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٢٥، ٢٩.

(٢) باركر، المصدر السابق، ص ٢٢، ٢٣؛ عاشور، الحركة الصهيونية،ج١، ص ١٠٤، ١٠٦.

(٣) تترجم بعض المصادر العربية صيحة الصليبية، بـــ " هكذا أراد الله".

(٤) تايلور، المصدر السابق، ص ١٣.

(٥) Avnery, Israel without zionism, p.81

كذلك ورد هذا الشعار بعبارة أخرى هي: "O house of Jacob, Let us go forth"

أنظر حول ذلك:

Huebener, theodore . this is Israel , philosophical Library, New york,1956, p.47.

وكما طرحت شعارات أرض الميعاد والشعب المختار، والعام القادم في القدس[١]، فقد طرحت شعارات تحرير القدس، وتخليص قبر المخلص، وفرسان المسيح، من قبل الصليبيين كذلك، وكان الغفران جزاء كل من يشارك في الحملة الصليبية[٢].

ورغم أن دوافع البابا جاءت مزيجاً مختلطاً في الخطاب الذي ألقاه في كليرمونت ودعا فيه إلى شن حرب مقدسة ضد المسلمين في الشرق، كما استثار فيه "جيش الفرنجة، ونخوة فرسانها" لتكن قصص أسلافكم العظام حافزاً يحرككم ويثير أرواحكم صوب القوة ... يا أيها الجنود يا من تتمتعون بالقوة وتنحدرون من صلب آباء لا يُشق لهم غبار، لا ترضوا لأنفسكم مظهراً أضعف من أسلافكم ولكن تذكروا قوتهم"[٣]، فإن دوافع عامة الناس للإسهام في الحركة الصليبية كانت هي أيضاً مزيجاً مختلطاً من الأطماع السياسية والإقتصادية والشخصية[٤].

ومهما تكن الدوافع، فإن ترك الآلاف من الصليبيين واليهود لأوطانهم والسير آلاف الأميال على الرغم من المخاطر التي واجهتهم في البر والبحر، والمتاعب والمشقة التي عانوها في رحلتهم الطويلة نحو بلد مجهول ومصير مجهول، لكي يستوطنوا بلاداً أخرى ويعيشوا فيها في صراع دائم مع أهلها لا ينتهي، كان السّمة المشتركة لكلتا الحركتين[٥].

ويمكن أن ندرك ما للحج إلى الأماكن المقدسة التي شهدت آلام المسيح من قيمة عاطفية كبيرة لدى المؤمنين المسيحيين في أوروبا. وحتى القرن الحادي عشر كان الحج

---

(١) Herzl , the jewish state, p.20.

وانظر أيضاً: Laqueur, A history of zionism, p. 40.

(٢) عن الغفران وامتيازاته، أنظر: Finucane, soldiers of the faith. pp.36-41.

(٣) مقتطفات من خطبة البابا أوربان الثاني، رواية روبير الراهب، أنظر: الحروب الصليبية، نصوص ووثائق، ص ٧٨.

(٤) أنظر عن الدوافع المختلفة: المصدر نفسه، ص ٢-٦.

(٥) Avnery ,Israel without zionism, p.81.

وعن المصاعب التي واجهها الصليبيون أنظر: finucane, op.cit, p.50-57.

بوصــفه ظاهــرة جماهرية يُعتبر أمراً حديث العهد، حيث كان يتم قبل ذلك بأعداد قليلة وبأشــكال فردية. وقد يكون مرد توسع حركة الحج إبان القرن الحادي عشر إلى انتشار الإيمــان بين جموع الناس إضافة إلى انتعاش التجارة في منطقة البحر المتوسط، وتحول شعوب أوروبا الوسطى إلى المسيحية(١).

وكمــا حــافظ المســيحيون علــى ارتــباطهم العاطفــي بالمدينة المقدسة، كذلك حــافظ يهــود الشــرق والغــرب علــى ارتــباطهم العاطفي فيها أيضاً. كما أنهم كانوا يــتوقون للحــج إلــيها مــرة في حياتهم حتى لو كان ذلك من خلال الرحلات التجارية لهم(٢).

ومــع أن فلسطين والقدس لم تكن محور اهتمام الحكومات الأوروبية المسيحية في العصــور الوسطى إلا في القرن الحادي عشر عندما احتلها السلاجقة الأتراك المسلمون، حيــث تضافرت جهود البابوية والملوك والأمراء في الحملات الصليبية المتتالية لاستعادة الأرض المقدســة مــن " الكفــار" المسلمين " دع أولئك الذين اعتادوا على شن حروبهم الخاصــة بطــيش علــى المؤمنين، أن يزحفوا على الكفار بحرب تبدأ الآن ولا تنتهي إلا بالنصر" (٣)، إلا أنهم قدموا إليها وهم يعلمون أنها أرض غير خالية من السكان(٤)، بدليل أن الــبابا عــرض علــى المجتمعيــن في مجمع كليرمونت ما تعانيه الأراضي المقدسة وحجاجهــا مــن متاعــب بســبب سيطرة المسلمين عليها، الأمر الذي أصبح يتطلب من المسيحيين الغربيين الإسراع لنجدة إخوانهم في الشرق، في حين قدم الصهاينة اليهود إلى أرض فلســطين تحت مزاعم أن فلسطين كانت بلداً مهجوراً كالشعار الذي طرحه اللورد شافتسبري " وطن بدون شعب لشعب بدون وطن" الذي حوله الصهاينة اليهود فيما بعد إلى

---

(١) كاهن، المصدر السابق، ص ٧٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٣) مــن خطــبة الــبابا أوربان، أنظر: الشارتري، المصدر السابق، ص ٣٦، أنظر أيضاً: الشريف، المصدر السابق، ص ٢٨.

(٤) Avnery , Israel without zionism, p.81

"أرض بـــلا شعب لشعب بلا أرض"[1]، على الرغم من سكنى العرب المتواصل لها أكثر من (٣٠٠٠) سنة[2].

وقـــد قامت هذه الدعاوى على أثر قيام الكثيرين من المكتشفين وماسحي الأراضي وعلمـــاء الآثار والمغامرين برحلات إلى فلسطين بعد تأسيس " صندوق اكتشاف فلسطين" الـــذي أسسه الصهاينة البريطانيون عام ١٨٦٥م، وكانت نتائج أبحاثهم في معظم الحالات ليســت أكـــثر مما يريدون روايته عن الإهمال والدمار الذين أصابا البلاد بسبب " القبائل العربـــية البدائية" التي كانت تقطن فلسطين والتي تتميز " بالكسل والغباء المطبق" حسب ادعـــائهم[3] . وتمشياً مع هذا الإعتقاد الصهيوني الغربي كتب الجيولوجي الشهير " جون وليم دوسن" عام ١٨٨٨م بعد رحلته إلى فلسطين: "أما القبائل الفقيرة المؤلفة من عناصر شـــتى.... فقـــد أقامـــت فيها مجرد مستأجرين وأصحاب أرض مؤقتين في انتظار أولئك المؤهلين لتملك الأرض بشكل دائم[4] .

ورغم النظرة العدائية والعنصرية للغرب الأوروبي تجاه العرب والمسلمين خلال العصـــور الوسطى والحديثة، فقد رافقها النظرة نفسها إلى اليهود خلال هذه الحقب أيضاً، فغالبـــية المؤرخيـــن يـــتفقون على أنه مع بداية الحروب الصليبية التي كان هدفها الأول المسلمين في فلسطين والشرق عامة، فقد ظهر عنصر جديد في تاريخ العلاقات المسيحية الـــيهودية، تمثل بالجماعات اليهودية في أوروبا ذاتها التي أول ما عانت من ظهور فكرة الحـــروب الصـــليبية. فقـــد أثـــارت هذه الفكرة المشاعر الدينية لدى الجماهير الأوروبية

---

(١)Hyamson, Albert M. , palestine under the mandate, 1920-1948, Greenwood press publishers, connecticut, 1976,p.10

(٢) يقـــول روجـــيه جارودي في كتابه " فلسطين أرض الرسالات السماوية": في عام ٦٣٨م لم يكن العرب من وصـــل إلـــى فلسطين، وإنما الإسلام، إذ أن العرب كانوا في فلسطين منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام، أي منذ الهجـــرات الســـامية الأولى القادمة من الجزيرة العربية، تلك التي كانت تجوب أرجاء الهلال الخصيب من عموريين وكنعانيين وعرب من ذوي أصل إثني وأسرة لغوية واحدة.

(٣) الشريف، المصدر السابق، ص١٣٦-١٣٧.

(٤) dawson,J.w., Modern science in Bible lands, cited in kobler franz, the vision was there, lincolns - prager (publishers) Ltd, london, 1956, pp.105-106.

المسيحية وشحنتها ضد أولئك " الكفار" أعداء المسيح، فكان اليهود عدو المسيحية التقليدي أول من تعرضوا للقتل والإضطهاد على أيدي الصليبيين الزاحفين نحو الشرق[١].

هـــذا وقد استمر شعور العداء تجاه اليهود في غرب أوروبا طوال عصر الحروب الصليبية. ولم تكن البابوية نفسها أقل عداءً لليهود فقد أصدر البابا أنوسنت الثالث (١١٦١ -١٢١٦م) مرسوماً بابوياً يحد من استغلال اليهود للصليبيين سواء في عمليات الإقراض بالـــربا أو رهن الممتلكات أو غير ذلك[٢]. وبهذا الاضطهاد دخل يهود أوروبا في دوامة الكراهية والعنف ضدهم في بعض المناطق من أوروبا وحتى بداية القرن العشرين.

ولكنـــنا يجب أن نشير هنا إلى حقيقة أن هذه الاضطهادات لا يمكن أن تدخل في الســياق العام للظاهرة الأوروبية المسماة " اللاسامية"[٣] التي ابتدعها اليهود وروجوا لها لخدمة أهداف الحركة الصهيونية. فحوادث العنف التي تعرض لها اليهود طوال تاريخهم لا يمكــن ربطها بما حدث لهم في إسبانيا على يد القوط الغربيين، أو بما حدث لهم على أيدي ألمانيا النازية أو روسيا القيصرية، بل الصحيح، أن هذه المذابح والإضطهادات التي جرت على اليهود آنذاك يمكن دراستها باعتبارها ظاهرة تاريخية قائمة بذاتها[٤].

ودعــوى اللاسامية في مفهوم الصهيونية أن عنصراً غريباً لا يمكن استيعابه في المجــتمع الاوروبــي - وهــو بذلــك شــعب عضــوي منبوذ، يجب إبعاده إلى " حيث ينتسبون"[٥]- لهو أمر طبيعي ضد " وضع اليهود الشاذ والخاطئ في الشتات"[٦].

---

(١) عن الاضطهادات الصليبية ضد اليهود في عصر الحركة الصليبية، أنظر: عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ١١١-١١٣.

(٢) Setton, A history of the crusades,vol.2,pp.263-265.

(٣) اللاســامية او معــاداة اليهود (Antisemitism): مصطلح غربي مبني على نظرية الأعراق، وعلى إعطاء مركــزية للعبرانييــن فــي التشــكيل الحضاري السامي (الذي لا سند له حسب رأي المؤرخ عبد الوهاب المسيري) وعلى ربط العبرانيين القدامى باليهود المحدثين.

(٤) قاسم، رؤية اسرائيلية ، ص ٣٢-٣٤.

(٥) فارس غلوب، الصهيونية على خطي النازية- نجمة داود والصليب المعقوف، شرق برس، نيقوسيا، ط١، ١٩٨٩م، ص ١١؛ المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص ٥٢.

(٦) Herzl, Theodor, the complete diaries of theodor herzl, vol.I , (ed). Raphael patai, Herzl press and thomas yoseloff, New York, 1960,p.2.

وكان هرتزل، مؤسس الحركة الصهيونية، يعي الأرضية المشتركة بين الصهيونية واللاسامية، وكثيراً ما أكد " أن اللاساميين سيكونون أكثر الأصدقاء الموثوقين وستكون الدول اللاسامية حليفة لنا"[1]، وكانت اللاسامية بكلماته هو " قوة دافعة" مسؤولة عن جميع آلام اليهود[2].

ويمكن القول إن الاوساط اللاسامية في بريطانيا كانت من أهم أسباب نجاح الصهيونية، كما كان آرثر بلفور، صاحب الوعد المشؤوم، أهم لاسامي بريطاني في ذلك العصر من حيث الخدمات التي أسداها للصهيونية، كما كانت الدوافع وراء ذلك مزيجاً من المصالح الإمبريالية والميول اللاسامية من جانب كثير من السياسيين البريطانيين[3].

ومما يجدر ذكره أن الصهيونية في أساسها ليست حركة يهودية متميزة، وإنما هي نتاج الفلسفات الأوروبية العنصرية والإستعمارية، وهي بمظهرها غير اليهودي (الغربي) تكشف بوضوح عن العلاقة الوثيقة بين الصهيونية والعنصرية واللاسامية[4].

ومع مطلع القرن العشرين كان الإستعمار الصهيوني لفلسطين جزءاً من الحركة الإستعمارية الأوروبية الكبرى، كما كانت الحركة الصهيونية منذ مؤتمرها الأول عام ١٨٩٧م هي الشكل المنظم للإستجابة اليهودية لهذا التوجه الإستعماري نحو الشرق[5].

وقد أدرك الصهاينة من اليهود في مرحلة هرتزل أنه لن يتأتى لهم تحقيق مشروعهم الصهيوني إلا من خلال مشروع إستعماري غربي، ومن هنا كان البحث عن دولة غربية عظمى ترعى مشروعهم هذا وتتبناه. لذلك تفاوض هرتزل مع العثمانيين ثم مع الألمان والروس والفرنسيين، وأخيراً مع البريطانيين الذين أدركوا الإمكانيات الإستعمارية الكامنة في المشروع الصهيوني[6].

---

(١) Herzl, the complete diaries, vol.1,p.84

(٢) صايغ واخرون، المصدر السابق، ص ١٠١-١٠٢.

(٣) غلوب، المصدر السابق، ص ١٢-١٣.

(٤) الشريف، المصدر السابق، ص ٢٤٤.

(٥) فرج، المصدر السابق، ص ٢٦-٢٧.

(٦) النتشة، المصدر السابق، ص ٣٠٣-٣٠٦ ، ٣١٠، ٣٣١ .

وفي ضوء ذلك انطلق هرتزل في مشروعه الصهيوني من الفكرتين المحوريتين- أي الشعب العضوي المنبوذ او " المسألة اليهودية"، واليهود كأداة نافعة يمكن توظيفها لصالح الغرب وحل مشكلاته، ولا سيما المسألة الشرقية. فهو يقول: "فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا يمكننا نسيانه... لو يعطينا جلالة السلطان فلسطين لكنا نأخذ على عاتقنا إدارة مالية تركيا كاملة مقابل ذلك"(١).

وهناك أمثلة لا حصر لها جاءت على ألسنة الصهاينة اليهود وغير اليهود تؤكد أن الحركة الصهيونية تكتسب طبيعتها الإستعمارية من ارتباطها الأساسي بالتوجه الإستعماري الذي صاغها في كل مراحلها كأداة طيعه من أدواته الإستعمارية(٢). وكان طبيعياً أن تكون هذه الأداة في يد الإمبريالية الأقوى، حيث ظل هرتزل يتذبذب بين ألمانيا وإنجلترا، إلى أن حسم أمره في النهاية وقرر أن يبذل معظم مساعيه الدبلوماسية مع إنجلترا(٣). وبعد أن تمكن الصهاينة من الحصول على وعد بلفور من إنجلترا، ومع بداية إنتقال مركز الإمبريالية في مطلع ثلاثينات القرن العشرين من لندن إلى واشنطن والذي اكتمل مع نهاية الحرب العالمية الثانية، انتقل مركز الصهيونية أيضاً إلى الولايات المتحدة(٤).

ومثلما كانت الحركة الصهيونية حركة استعمارية، كذلك كانت الحركة الصليبية أول حركة إستعمارية أوروبية فيما وراء الحدود المعروفة للقارة الأوروبية خلال العصور الوسطى، كما أنه يمكن اعتبارها الفصل الأول لحركة التوسع الأوروبي ومفتاح جميع الحركات الإستعمارية اللاحقة(٥).

---

(١) صايغ واخرون، المصدر السابق، ص ١٢٠.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن الإرتباط الصهيوني بالإستعمار الغربي أنظر: المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص ٤٥-٦٥؛ فرج، المصدر السابق، ص ١٨-٥٥؛ النتشة، المصدر السابق، ص ٢٠٨-٢٣٣، ٣٠٠-٣١٠ ، ٣٧٦-٣٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٦؛ المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص ٣٦.

(٤) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية ، ج٢، ص ٦٠-٦٦؛ النتشة، المصدر السابق، ص ٣٥٢.

(٥) Prawer , the latin kingdom of jerusalem,p.469.

أنظر أيضاً:عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٣٢.

غـير أن مـا يميز الحملة الصليبية الأولى من غيرها من الحركات الإستيطانية اللاحقـة، سواءً أكانت صليبية أم غير ذلك، هو الصفة الجماهرية لها، إذ غادر عشرات الألوف من الناس أوطانهم متوجهين إلى الشرق. وفضلاً عن ذلك، فإن الحملة الأولى تُعد الرائدة في مجال الإستعمار الأوروبي الذي لم يسبقها إليه أحد[١].

وما يفرق الغزوة الاستعمارية للحملات الصليبية في الشرق عن مثيلاتها الإسبانية أو الصـقلية علـى الرغم من تشابه الدوافع والأيدلوجية بينها، هو الصفة القارية للحركة الإسـبانية والصـقلية، فـيما توصـف الحـركة الصليبية بالإستعمار فيما وراء البحار (out Remer).

وكمـا تـم اعتـبار الـبابوية مركز الإستعمار الأوروبي في العصور الوسطى، لكونها الجهة التي أنشأت وطورت الأيدولوجية الصليبية، وكانت الحافز الروحي، ومركز التعبـئة والدعايـة لهـا، وفي أغلب الأحيان الممول المالي للحركة والدويلات الصليبية لاحقـاً[٢]، كذلـك، يمكن اعتبار بريطانيا وفرنسا ثم الولايات المتحدة فيما بعد، مركزي الإسـتعمار في القرنين التاسع عشر والعشرين[٣]. غير أن ما يميز المشروع الصهيوني عن باقي المشاريع الإستعمارية الأخرى هو ليس لكونه مشروعاً استعمارياً غربياً وحسب، ولا هـو مشـروع إسـتعماري وحسب، وإنما هو مشروع إستعماري غربي، إستيطاني إحلالـي، يعمـل علـى طـرد السكان الأصليين إما عن طريق إبادتهم، أو عن طريق تهجيرهم[٤].

وحـتى يتمكـن هرتـزل مـن تحقـيق مشـروعه الصهيوني فقد ركز جهوده علـى المـيدان الدبلوماسـي وحـدد أولوياتـه بطـريقة منطقـية (موافقـة إستعمارية

---

(١) Prawer, The latin kingdom of Jerusalem, p. 471.

(٢) Ibid, pp.480-481.

(٣) النتشة، المصدر السابق، ص ٣١٠، ٣١١، ٣٤٣، ٣٤٥؛ المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص ٦٠، ٦٥-٦٦؛ فرج، المصدر السابق، ص ٣٣، ٣٤، ٣٧.

(٤) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص ٢١.

ثـم إسـتيطان) تـتفق مـع الظـروف السـائدة في أوروبا والعالم، ومع موازين القوى الفعلية[1].

غـير أن هرتـزل كان يدرك منذ البداية أن منظمته لا تمثل أحداً، أو أنها بعبارة أخرى تمثل أقلية لا يُعتّد بها، وأن الصهيونية بناءاً على ذلك، وكذا قيادتها هي حركة بلا جماهير، وأن العنصر الحاسم ليس المنظمة وإنما هو الدولة الراعية[2].

أمـا الحـركة الصليبية، فقد ذهب الصليبيون على عكس الصهاينة إلى فلسطين، بهـدف " تحرير القبر المقدس من أيدي المسلمين" ثم الإستيطان فيها بعد أن يتم الاستيلاء عليها. غير أن الغزو الصليبي للأراضي المقدسة لم يعمل على إنهاء السكان المحليين، بل ظلـوا يعيشـون تحت سيطرة الصليبيين[3]، كما أن الحركة الصليبية على عكس الحركة الصـهيونية لـم يكـن لهـا دعاوى سياسية أو إقتصادية تسعى لتحقيقها، وكانت عالمية الأيدولوجية المسيحية هي التي قررت المقاصد النهائية للغزو[4].

وفي حين تحركت جموع الصليبيين بأعداد كبيرة صوب الأراضي المقدسة، منها مـا كـان غير منظم كالحملة الشعبية، ومنها ما كان منظماً ومدرباً جيداً كحملة الأمراء، يدفعهـا روح الحقـد والإنـتقام ضـد المسـلمين، وفي نيتها خوض المعارك والحروب ضـدهم[5]، قدمت جموع اليهود إلى فلسطين كمهاجرين، استقرت في الأراضي المقدسة بطرق شتى واستوطنتها، ثم خاضت المعارك والحروب مع العرب في مراحل لاحقة[6].

وعلـى عكـس الحركة الصهيونية، فقد كانت استجابة الجماهير لدعوة الحروب الصليبية غير متوقعة وفاقت أقصى ما يمكن لإنسان أن يتصوره، حين وجد آلاف الناس أنفسـهم، من قرويين وأمراء وعامة ونبلاء، مدفوعين إلى مغادرة أوطانهم بمزيج غريب مـن الحماسـة الدينية والطمع وحب المغامرة، من أجل المشاركة في الحروب الصليبية

---

(١) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص ٢٩.

(٢) المصدر نفسه،ج٢، ص ٣٥، ٥٨.

(٣) Prawer, the latin kingdom of jerusalem, p. 476.

(٤) Ibid, pp. 478-479.

(٥) براور، المصدر السابق، ص ٤٨، ٥٠؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٢٢.

(٦) Avnery , Israel without zionism, p.81.

طـوال أربعـة قـرون تقريبـاً. وعلى مدى عامين بدا وكأن أوروبا بأسرها تتحرك في خروج عظيم إلى الأرض المقدسة[١].

في حين يتضح أن المشروع الصهيوني واجه أزمة عدم الإستجابة اليهودية الكبيرة له، بدليل أن اليهود المهاجرين من أوروبا الشرقية تحت وطأة الإضطهاد الروسي – على أثر اغتيال قيصر روسيا– لم يتوجهوا إلى فلسطين على وفق أهداف المخطط الصهيوني، بل توجهوا إلى أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية[٢].

كمـا أن الصهيونية عندما توجهت إلى المادة البشرية اليهودية، فإنها توجهت إلى يهود العالم الغربي، وخاصة يهود شرق أوروبا، واستبعدت يهود العالم الإسلامي. فهؤلاء لـم يفـرزوا أي فكر صهيوني، كما أنهم لم يشتركوا بشكل فعال في عمليات الإستيطان الصهيوني، إلا بعد أن فرضت عليهم الصهيونية ذلك في نهاية المطاف[٣].

ومـن الجدير بالذكر أن الصهاينة غير اليهود في النصف الثاني من القرن التاسع عشـر وقبل ظهور الصهيونية اليهودية، كانوا هم العنصر النشط، وهم الذين أخذوا زمام المـبادرة إلى حد كبير في الإتصال باليهود على اعتبار أنهم المادة البشرية المطلوبة، في الوقـت الذي كانت فيه الصهيونية اليهودية قابعة داخل أسوار الجيتو غير آبهة بما يجري حولها، ويظل أمرها كذلك إلى أن يظهر هرتزل[٤].

فالـيهودية الحاخامية كانت تنظر إلى فكرة العودة إلى أرض الميعاد على أنها أمر يـتحقق فـي آخـر الأيام. ولذا كان اليهود – وخاصة في الغرب– يرفضون التورط في مشـاريع العودة التي تطلق على نفسها مشروعات قومية[٥]، وبناء على ذلك لم تلق دعوة نابليون إلى يهود الشرق باللحاق به والإستيطان في فلسطين آذاناً صاغية[٦].

(١) براور ، المصدر السابق، ص ٤١، ٤٢؛ مولر، المصدر السابق، ص ٩.

(٢) فرج، المصدر السابق، ص ٢٧-٢٨.

(٣) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص ٣٥.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٦٩.

(٥) Ben Halpern, the Idea of the Jewish state, Harvard university press, 2nd edition, Cambridge, massachusetts, 1969, p.60.

(٦) لمعرفة نص نداء نابليون إلى اليهود، أنظر: الشريف ، المصدر السابق، ص ١٠٦-١٠٧.

ولعـــل فـــي نظرة المشروع الصهيوني إلى توطين يهود الشرق وحدهم وليس كل الـــيهود وتخليص أوروبا من فائضها اليهودي[1]، ما يؤكد عدم الإستجابة اليهودية العامة للفكرة الصهيونية حتى بعد قيام دولة الكيان الصهيوني التي لم يزد عدد سكان اليهود فيها حتى الآن على (خُمس) يهود العالم[2].

---

(١) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج١، ص ٩٩.

(٢) شريت، المصدر السابق، ص ١٣٠-١٣١؛ فرج، المصدر السابق، ص ٥٦.

الفصل الثالث

أساليب الحركتين الصليبية والصهيونية

١- أساليب الحركة الصليبية

٢- أساليب الحركة الصهيونية

٣- التوافق التاريخي بين أساليب الحركتين الصليبية والصهيونية

أساليب الحركة الصليبية

علـــى مـــدى قرنيـــن من الزمان تقريباً، منذ عام ١٠٩٦م حتى عام ١٢٩١م [١]، جـــاءت الحملات الصليبية بعشرات الألوف من الصليبين الذين قدموا من مختلف أصقاع أوروبا، تدفعهم دوافع شتى، قاصدين الشرق بهدف تحرير الأرض المقدسة، حيث تم تحت هذا الهدف ارتكاب أبشع الجرائم، واستخدام أسوأ الأساليب، حتى بمقاييس تلك الحقبة من الزمن التي اشتهرت بالقسوة والوحشية وقلة الإكتراث بالجوانب الأخلاقية في الحروب.

فعلـــى الرغم من أن طلب الإمبراطور البيزنطي إليكسيوس كومنين المساعدة من البابا أوربان الثاني عام ١٠٩٤م والتي لم تتعد في نظر الإمبراطور البيزنطي نفسه على الأقـــل- أكـــثر من فرقة من الفرسان المدرعين[٢]، إلا أن فكرة تحرير القبر المقدس من أيـــدي المســـلمين، حلت محل فكرة إنقاذ الشرق المسيحي، وتحول المقصد الجغرافي من القســـطنطينية إلى القدس[٣]، وأدّت أسماء مثل بيت المقدس، والناصرة، وبيت لحم، وليس إسم القسطنطينية، إلى تفجير الحماسة الدينية لدى فرسان وفلاحي أوروبا للالتحاق بالحملة الصليبية الأولى[٤].

وكمـــا تغـــير المقصد الجغرافي في الحملة الصليبية الأولى، فقد تغير هذا المقصد أيضـــاً فـــي الحملة الصليبية الرابعة، فبدلاً من أن تتوجه هذه الحملة التي دعا إليها البابا أنوسنت الثالث (١١٩٨-١٢١٦م) سنة ١٢٠١م إلى غزو مصر مباشرة، كان الصليبيون يفرضون حصارهم على القسطنطينية العاصمة المسيحية نفسها[٥].

---

(١) تحدد معظم كتب التاريخ المدى الزمني للحركة الصليبية بالفترة الواقعة بين سنتي ١٠٩٥و١٢٩١م. غير أن هـــذا التحديد لا يعني سوى الفترة بين الدعوة للحركة الصليبية الأولى وطرد الصليبين نهائياً من بلاد الشام. إلا أن الواقـــع يشير إلى أن هذه الحملات بدأت قبل العام ١٠٩٥ واستمرت طوال القرن الرابع عشر وشطر من القرن الخامس عشر.

(٢) أنظر: عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ١٠٤، ٤٣٥.

(٣) براور، المصدر السابق، ص ٤٠-٤١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٧٩، ٨٠؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص ٧٣٣-٧٣٧.

وفي الطريق إلى القسطنطينية، هاجمت جموع حملة العامة إخوانهم المسيحيين في هـنغاريا، وحرقوا ونهبوا المدن التي مروا بها، كما قاموا بذبح اليهود في حوض الراين، ولـم تسـلم حتى الكنائس من اعتداءاتهم، مما يجعل هذه الأفعال تتعارض مع أي وازع دينـي[١]، وعند وصولهم للقسطنطينية فعلوا الشيء ذاته من نهب وقتل لأهالي المدينة من نساء وأطفال[٢].

ولـم يقل تطرف حملة العامة عن تطرف حملة الأمراء، إذ ما لبث الأخيرون في قـتل كـل مـن وجدوه من المسيحيين من الرجال والنساء والأطفال بعد اقتحامهم مدينة أنطاكـية[٣]. كما أن الصليبين نقضوا الأمان الذي أعطوه لأهالي معرة النعمان، وغدروا بهم وأفنوا المدينة عن بكرة أبيها[٤].

وفـي مديـنة القدس، الهدف النهائي للصليبين، لم يتوان الصليبيون عن استباحة المدينة المقدسة مدة ثلاثة أيام وقتل ما لا يقل عن عشرين إلى ثلاثين ألفاً من سكانها[٥].

ويمكن القول إن احتلال المدن العربية حتى العام ١١١٠م كان يرافقه إبادة السكان الأصـليين [٦]. وهـذا لا يعني توقف الصليبين عن قتل السكان المسلمين، إذ أن ريتشارد قلـب الأسـد أمر بقتل حامية عكا بعد استسلامها عام ١١٩١م، وهذا ما يعطي الصورة البشـعة عن الحرب الصليبية في الأراضي المقدسة[٧]. كما أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، فقد كان يرافق استباحة المدن الإسلامية، تعذيب الأسرى والتشنيع بهم، كما كان يتم

---

(١) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٣١، ١١٠؛ براور، المصدر السابق، ص ٤٦، أنظر أيضاً:
Finucane, soldiers of the faith , p. 58, 99.

(٢) عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص ٧٣٧.

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٥.

(٤) الشارتري، المصدر السابق، ص ٦٨؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ١٧٤.

(٥)Prawer, the Latin Kingdom of Jerusalem, p.15.

وقـد ذكرت بعض المصادر أن عدد القتلى في مدينة القدس قد بلغ أكثر من سبعين ألفاً، وذكر ابن الجوزي أنهـم مـئة ألـف نسمة، أنظر: سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج٨، ط حيدر أباد، ١٩٥١، ص ٥٢١؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٤٨- ١٤٩.

(٦)prawer, Joshua, the settlement of the latins in Jerusalem, speculum 27, 1952, p. 490, 492.

(٧)Finucane, op.cit, p. 98 .

بقــر بطون النساء، وقطع رؤوس الرجال[1]، بالإضافة إلى استخدام أسرى المسلمين في بـناء التحصــينات الصليبية، واستخدام النساء المسلمات في العمل وهن مقيدات الأرجل بالسلاسل[2]. غير أن الشواهد تشير إلى أن الصليبيين بعد عام ١١١٠م، دخلوا مدن صيدا، وصــور، وبانــياس، بعد استسلامها، وسمحوا ببقاء بعض سكانها الأصليين فيها ليشكلوا بذلــك الطبقة الدنيا من المجتمع الصليبي في هذه المدن، وقد يكون مردّ ذلك إلى حدوث تغيير في السياسة الصليبية علاوة على التغير في عقلياتهم[3].

وبعــد احتلال مدينة القدس عام ١٠٩٩م منع الصليبيون المواطنين الأصليين من المســلمين والــيهود من العودة إليها وذلك حتى لا (يلوث) وجودهم قداستها، على حسب نــص المرســوم الذي صدر بخصوص ذلك والذي تقرر فيه إبعادهم عن المدينة المقدسة والــى الأبــد.[4] علاوة على ذلك فقد تم إصدار قانون خاص يمنح حق ملكية أي مسكن يقطنه أي صليبي إذا سكن فيه سنة كاملة ويوماً واحداً[5]. وكان غاية هذا القانون حسب ما ذكــر المؤرخ الصليبي وليم الصوري حرمان أولئك الأشخاص الذين غادروا البلاد وقت الشــدة ثم عادوا إليها وقت الرخاء، وهو ما يمكن أن يُطلق عليه بقانون "الحق المكتسب" Law of annual prescriptive right.

وعندما غادر معظم الصليبيين البلاد المقدسة عائدين لبلادهم، واجهت بلدوين الأول ملك بيت المقدس مشكلة نقص الرجال اللازمين للاستيطان فيها وكذلك المحافظة على أمن المملكــة، فكان عليه إيجاد بدائل للأوروبيين الذين عزفوا عن القدوم لمملكته، فوجد الحل في المسيحيين العرب الذين كانوا يقطنون في القرى الواقعة وراء نهر الأردن، وبهذا بدأ النزوح المسيحي من شرق الأردن إلى غربها هذه المرة[6].

---

(١) Finucane, soldiers of the faith, p. 101-103.

وأنظر أيضاً: الشارتري، المصدر السابق، ص ٧٥.

(٢) Finucane , op.cit, pp. 110-111.

(٣) prawer, the settlement of the latins in Jerusalem, p. 490.

(٤) أنظر نص المرسوم في :

William of tyre, XI, p. 27, cited in prawer, the settlement of the latins in Jerusalem, p. 494.

(٥) أنظر نص القانون في:

William of tyre , IX , p. 19, cited in prawer, Ibid, p. 494.

(٦) Prawer, op.cit, p. 496, 502.

وعلـــى الرغم من أن المسيحيين الشرقيين الذين جاء الصليبيون لإنقاذهم من (نير المســـلمين)، كـــانوا يشكلون مجتمعاً مسيحياً كبيراً، لدرجة أنهم في بعض الأماكن شكلوا تجمعـــات إقليمية بذاتها، إلا أن الصليبيين لم يدخلوهم على الرغم من ديانتهم المسيحية في نســـيج المجتمع الصليبي الأوروبي[١]، لا بل أسيء معاملتهم كباقي المسلمين واليهود في أحـيان كثيرة، ولم تمنحهم تشريعات المملكة أي صفات تفضيلية مختلفة عن باقي سكان المملكـــة مـــن المســـلمين الأعـــداء[٢]. عـــلاوة على ذلك فلم يتم الإندماج على المستوى الإكليركـــي (الكنســـي) بيـــن الكنيســـتين الشرقية والغربية، لا بل كانت الكنيسة الشرقية مرفوضة ليس فقط على المستوى الإكليركي، وإنما على مستوى الدولة والمجتمع[٣]. وقد أقـــدم الصـــليبيون على تعيين بطريرك لاتيني ليحل محل البطريرك اليوناني في كل من أنطاكـــية والقـــدس بعـــد الغـــزو الصـــليبي مباشرة، كما خلع الصليبيون أساقفة الكنيسة الأرثوذكســـية اليونانـــية ثـــم عينوا أساقفتهم وطالبوا رجال الكنيسة اليونانية بالإعتراف والخضـــوع للـــبطاركة والأساقفة اللاتين الجدد[٤]. أما الأماكن الدينية الإسلامية كالمسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة فقد استباحها الصليبيون وعبثوا بها ونهبوا كل ما فيها[٥]، كمـــا اتخذ فرسان الداوية (الهيكل)[٦] من المسجد الأقصى مقراً لهم، ومن السراديب التي تحته إسطبلاً لخيولهم، وقاموا بتحويل الصخرة المشرفة إلى كنيسة[٧].

وكمـــا هو معلوم فقد شقت الحملة الصليبية طريقها نحو الشرق بدعوى إنقاذ القبر المقـــدس مـــن (براثـــن المسلمين)، إلا أن قادة هذه الحملة كانوا يستهدفون غايات دنيوية محضة، وفي سبيل تحقيق ذلك لم يجد بعض قادتها أمثال "تنكريد" أي بأس في أخذ البلاد

---

(١)Prawer, the latin kingdom of jerusalem, p. 508.

(٢)Ibid, p. 510.

(٣)Ibid, p. 510.

(٤) براور، المصدر السابق، ص ٢٦٠، أنظر أيضاً: رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص ٥١٥، ٥١٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨٤.

(٦) فرسان الداوية: هم منظمة صليبية تأسست سنة ١١١٨م وجمعت بين الرهبنة والفروسية، وعُرف أعضاؤها في العصور الوسطى باسم "فرسان الهيكل"، وسماهم مؤرخو العرب "الداوية"، وكان هدف هذه المنظمة إيواء الحجاج المسيحيين ومداواتهم وحمايتهم، وعُرفوا بالقوة والبأس في قتالهم للمسلمين، أنظر:
wise , the wars of the crusades, p p. 101 -103.

(٧) حمـــد أحمـــد عـــبد الله يوسف، بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الأيوبية، دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية، القدس، ط١، ١٩٨٢، ص ٢١٩-٢٢١، ٢٥٧.

ســواء مــن أيــدي المســلمين أو البيزنطييــن أو الأرمن أو من أيدي حتى أبناء جلدته الصــليبين[١]. وقــد شق التنافس على المُلك والرياسة بينهم طريقه منذ البداية، فقد تعهد قــادة الحملــة الأولــى بــأن يحكموا البلاد المفتوحة باسم البابوية، وعندما وصلوا إلى القســطنطينية تعهــدوا بــأن يحكموها باسم الإمبراطور، غير انهم ما كادوا يصلون إلى أنطاكية، حتى ثارت بينهم الخلافات، فافترق بلدوين عن زملائه واستقر في مدينة الرها، واســتقر بوهــيموند في أنطاكية، واستقل ريموند دي تولوز بطرابلس، واستقل جودفري ببيت المقدس[٢].

والواقع أن حقوق الإمبراطورية البيزنطية في إقليم أنطاكية كانت واضحة لا شبهة فيها، فالدولة البيزنطية كانت تملك هذا الإقليم حتى احتلالها من قبل السلاجقة سنة ١٠٨٥ م، إضافة إلى الاتفاقية المعقودة بين زعماء الصليبين والإمبراطور إليكسيوس كومنين بما فــيهم "بوهــيموند" نفســه[٣]. ولم يكن هذا الحادث هو الوحيد للدلالة على إخلال زعماء الصليبيين بالمواثيق والعهود المعقودة بينهم وبين الآخرين، وإنما كان هناك حالات كثيرة على مدى أدوار الحركة الصليبية الزمنية كلها. فقد حنث بوهيموند بالعهد الذي قطعه مع نــيروز الأرمنــي الذي مكنه من فتح أنطاكية ولم يعينه في المنصب الذي وعده به ثمناً لخيانته[٤]. كما نقض صليبيوا طرابلس مع ظهير الدين أتابك[٥] حاكم دمشق المعاهدة التي ســبق وان أبــرموها معه على الموادعة والمسالمة على أن يكون لهم الثلث من استغلال الــبقاع[٦]. وفــي العــام ١١٦٨م انتهك الملك أمرليك الأول ملك بيت المقدس المعاهدات

---

(١) قلعجي، المصدر السابق، ص ٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٣، ٤٤.

(٣) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ١٦٧.

(٤) كــان نــيروز – والمعــروف بالزراد– قد عهد إليه من قبل ياغي سيان حاكم أنطاكية بحراسة أحد أبراج المديــنة، إلا أن المذكــور غلبت عليه روح الخيانة وتمكن من مراسلة بوهيموند سراً لتسليمه أنطاكية مقابل تأمينه ومبلغاً من المال، أنظر، ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص ١٣٢-١٣٤؛ الصوري، المصدر السابق، ج١، ص ٣١٤-٣١٧.

(٥) أتــابك: كلمة تتألف من لفظين (أتا) بمعنى أب و (بك) بمعنى أمير أو مربي، وهو من ألقاب الوظائف التي اســتعملت فــي الدولــة الســلجوقية وكانــت مهمة الأتابك رعاية وتربية أبناء السلاطين السلاجقة، أنظر: القلقشــندي، أبــو العــباس أحمــد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٤، ط. القاهرة، ١٩١٩م، ص ١٨.

(٦) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٦٥.

المعقــودة بيـــنه وبيـــن الفاطميين في مصر، كما خرج عن الخطط المشتركة بينه وبين الإمبراطور عمانويل البيزنطي حول القيام بحملة مشتركة ضد مصر، وانطلق في غزوه لمصر وحده[١]. كما لم يتوان "جاي دي لوزجيان" ملك بيت المقدس الذي أسر في حطين ثـــم فك أسره مقابل وعد شرف بأن لا يرفع سيفه في وجه صلاح الدين، عن نكث وعده وتنظـــيم فلول الصليبيين والاتجاه بهم إلى مدينة صور[٢]. وفي عهد السلطان قلاوون قام الصـــليبيون من الحملة الإيطالية تدفعهم حماستهم الدينية بمهاجمة الفلاحين المسلمين في إقليم عكا، ثم قاموا بذبح جميع التجار المسلمين الذين كانوا قد قصدوا عكا في ظل معاهدة الصلح المعقودة بين قلاوون والصليبيين [٣].

ولـــم يتوقف الأمر عند الصليبيين على نقض العهود والوعود مع المسلمين بل أنهم كثـــيراً مـــا حاولوا عزل المسلمين بالشام عن سائر المسلمين في الإمارات المجاورة، بما لجـــؤوا إلـــيه تـــارة مـــن التحالف مع بعض الإمارات الإسلامية ومساندتها في مناهضة الإمـــارات الأخـــرى فـــي داخل بلاد الشام، أو خارجها، وبما سعوا إليه تارة أخرى من استمالة بعض الزعماء الثائرين على الحكومة الإسلامية في بغداد أو القاهرة، عاملين على تغذيـــة بـــذور الشـــقاق بينهم، ومستغلين الاختلافات العرقية: (العرب، الأكراد، الترك، والتركمان)، وكذلك الاختلافات المذهبية المتطرفة[٤].

ولعل محاولة الصليبيين فرض حصار اقتصادي على مصر والمماليك وغلق المنافذ الـــتجارية لهم، تعد من أكثر الأساليب الصليبية خبثاً ودهاءً ضد المسلمين، وترجع أصول هذه الفكرة وجذورها إلى الملك هيثوم الأول ملك أرمينية الذي فكر بشن حرب اقتصادية علـــى مصـــر بحرمانها من المواد الأولية التي كان المماليك بحاجة إليها لصناعة السفن

---

(١) مولر، المصدر السابق، ص ١٩.

(٢) براور، المصدر السابق، ص ٧٧؛ عبد الله سعيد الغامدي، صلاح الدين والصليبيون "استرداد بيت المقدس"، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٩٨٥م، ص ٢٣١.

(٣) عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص ٩٣١.

(٤) رنســيمان، المصـــدر الســـابق، ج٢، ص ٥. أنظر عن التحالفات: يوسف حسن غوانمة، معاهدات الصلح والســـلام بين المسلمين والفرنج، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٩٥، ص ٢٢، ٢٣، ٦٦، ٦٧، وانظـــر أيضـــاً: عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ١٠، ١١ و ج٢، ص ٥٧٧، ٥٨٧، ٦١١، ٦١٩، ٧٩٠.

وآلات الحصار والتي كانت تستوردها من جبال لبنان وإقليم قليقية، فأصدر أوامر مشددة بمنع الإتجار مع المماليك منعاً باتاً ومنع تزويد سفنهم بما يلزمها من حاجيات وبضائع[١].

غير أن فكرة فرض حصار اقتصادي على دولة المماليك في مصر والشام لم تتخذ طابعــاً عملــياً واضــحاً إلا بعد استيلاء المسلمين على عكا سنة ١٢٩١م. وقد تمثل ذلك بفــرض الــبابا نــيقولا الــرابع عقوبة الحرمان على كافة المدن والجمهوريات والدول الأوروبــية التي تتعامل تجارياً مع دولة المماليك، وقد شمل مرسوم البابا هذا كافة المواد الأولــية كــالحديد والأخشاب والكبريت والقار اللازمة لصناعة السفن، علاوة على حظر الإتجار بالرقيق والخيول[٢].

ولمــا لــم يكن للبابوية أسطول بحري لتنفيذ هذه المهمة، اقترح هنري الثاني ملك قبرص (١٢٨٥-١٣٢٤م) على البابا كليمونت الخامس (١٣٠٥-١٣١٤م) بضرب حصار بحــري على مصر والشام مدة سنتين أو ثلاث، على أن يكون الأسطول البحري مستقلاً عن الجمهوريات الإيطالية[٣].

ولــم تقتصــر سياسة الحرب الاقتصادية على حوض البحر المتوسط فقط، وإنما امتدت لتشمل الحصار على البحر الأحمر من أجل تطويق دولة المماليك اقتصادياً[٤]. وقد تطلب هذا الأمر البحث عن طريق آخر لمرور تجارة الشرق الأقصى إلى أوروبا دون أن تمــر بالــبلاد الــتابعة لسلطة المماليك، وكذلك التحالف مع دولة أخرى تغلق باب البحر الأحمــر مــن الجنوب[٥]. أما الأمر الأول فقد قاد الأوروبيين إلى اكتشاف رأس الرجاء الصالح فيما بعد، وأما الأمر الثاني فقد وجدوا بدولة الحبشة المسيحية النصير اللازم[٦].

وقــد يكــون التفكــير فــي تحويــل مجرى نهر النيل لتجويع مصر من أخطر المشروعات الصليبية التي تفتقت عنها الذهنية الصليبية. وتشير المصادر التاريخية إلى أن

---

(١) عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص ٩٤٩، ٩٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٥١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٥١، ٩٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٩٥٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٩٥٤.

(٦) المصدر نفسه، ص ٩٥٤، ٩٥٥.

ملوك الحبشة هددوا مصر أكثر من مرة بتحويل مجرى النيل في بلادهم لإضعاف مصر وتجويعهـــا، غـــير أن هذه الفكرة على الرغم من أنها ظلت تراود عقول عتاة الصليبيين والمتحمســـين منهم لتنفيذها، لم تلبث أن فشلت وذهبت أوهام الصليبيين في تحويل مجرى النيل مع الرياح[1].

(١) عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص ٩٥٩.

أساليب الحركة الصهيونية

"فبما نقضهم ميثقهم لعنّهم وجعلنا قلوبهم قسية يُحرفون الكلم عن مواضعه ونسُوا حظاً ممّا ذُكّروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلاّ قليلاً منهم..."[1] صدق الله العظيم

بهذه الكلمات وصف الله تعالى اليهود الذين يرون في أن النزاع، لا السكينة والهدوء بين الأمم، هو الذي يحقق الفلسفة الصهيونية[2]، فعملت على تسخير مختلف الوسائل واستخدام مختلف الأساليب لتحقيق غاياتها في إنشاء وطن (قومي) لليهود في فلسطين. فالقسوة والبطش والإرهاب هي صفات مغروسة في نفوسهم حسب تعاليم التوراة المحرفة عندهم. ويدل على ذلك ما جاء في التوراة (المحرفة لديهم) من وصف للأسلوب الذي قتل فيه الملك داود أهالي بني عمون "وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جداً، وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم في أتون الآجر، وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون" [3].

كما تزخر التوراة بقصص الحقد والغدر والمكر التي سرت إلى بني إسرائيل جميعهم، واتهموا بها (أنبيائهم) ومارسها ملوكهم وحاخاماتهم وقادة جندهم[4]. ويكاد لا يخلو سفر من أسفار التوراة ولا إصحاح من إصحاحاتها من بيان هذه الصفات غير الأخلاقية أو من بيان غرائز الاستغلال وحب السيطرة الكامنة في نفوسهم منذ أيامهم الأولى. أما المكر والكيد والخداع، فقد عانى منه المسلمون الأوائل الشيء الكثير، كما لا يزال يعاني منه العرب والمسلمون إلى يومنا هذا. "وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال" [5].

---

(١) القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية ١٣.

(٢) الحلو، المصدر السابق، ص ١٢٣.

(٣) صموئيل الثاني، إصحاح ١٢: ٣٠، ٣١.

(٤) عن ذلك أنظر: تكوين، إصحاح ٣٤: ١٣-٢٩؛ إصحاح ٣٧: ٢٦- ٢٨.

(٥) القرآن الكريم: سورة إبراهيم، الآية ٤٦؛ الأنفال، الآية ٣٠؛ آل عمران، الآية ٥٣؛ المائدة، الآية٤١؛ التوبة، الآية ٥٦.

ولليهود باع طويل في التجسس، وأجهزة التجسس الصهيونية المعروفة بالموساد تُعَد من أقوى الشبكات الجاسوسية في العالم، وقد مارست كل صور خرق الأعراف والقوانين من تهريب للأسلحة والأشخاص، واستغلال الحقائب الدبلوماسية، والوفود الرسمية، والعملاء، وأجهزة التنصت وغير ذلك من الأساليب[١].

أما خيانة العهود وقطع المواعيد فلا يكاد يوجد بين الأمم قديمها وحديثها ما يضاهي الدولة الصهيونية في هذا المضمار. "لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم"[٢]. فالكيان الصهيوني الذي خضع انضمامه للأمم المتحدة لشروط معينة سبق وأن وافق عليها والتزم بتنفيذها سرعان ما تنكر لهذه العهود وما التزم به أمام الأسرة الدولية[٣]. وقرارات الأمم المتحدة التي استخف بها الكيان الصهيوني ولم يعمل على تنفيذها أكثر من أن تُعَدّ وتُحصى.

وأما المواعيد وتاريخ استحقاق الاتفاقات المبرمة مع هذا الكيان فليس لها أدنى احترام. فهذه المواعيد كما يقول عنها "اسحق رابين" رئيس الكيان الصهيوني السابق ليست مقدسة. ولذا فقد حرص كعادة غيره من الزعماء الصهاينة على عدم التقيد بتنفيذ أي اتفاق وقعه مع السلطة الفلسطينية في موعده[٤].

وقد يكون في استخدام طرق المواربة والدوران التي اتبعتها الحركة الصهيونية من أجل الحصول على صك البراءة من أجل إقامة الدولة اليهودية في فلسطين من أكثر

---

(١) رفعت سيد أحمد، وثائق حرب فلسطين، الملفات السرية للجنرالات العرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٩٢-٩٤؛ نوفل، المصدر السابق، ص ١٠١.

(٢) سفر التثنية: الإصحاح السابع: ٢.

(٣) تقدم الكيان الصهيوني لعضوية الأمم المتحدة في كانون الأول ١٩٤٨م، غير أن طلبه رفض ما لم يلتزم بثلاثة شروط هي: عدم المساس بوضع مدينة القدس، السماح للعرب الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم، واحترام الحدود التي وضعها قرار التقسيم، وقد انتهت المشكلة بموافقته على ما جاء في بروتوكول لوزان الموقع بينه وبين الدول العربية في ١٢ أيار ١٩٤٩م، غير أنه تنكر لما التزم به حال دخوله الأمم المتحدة وأصبح وجوده واقعاً ملموساً، أنظر: القاسم، التحدي الإسرائيلي، ص ٦٦-٦٧.

(٤) منير شفيق، أوسلو "١" و "٢" المسار والمآل، منشورات فلسطين المسلمة، لندن، ط١، ١٩٩٧، ص ١٩-٢١، ١٤١، ١٨٣-١٨٤.

الأساليب دهاءً وخبثاً. فالخاصية الإسفنجية وخاصية الصمت[١] مكنت الحركة الصهيونية من إرضاء وتوحيد جميع العناصر اليهودية المحافظة والمتطرفة.

كمــا كــان للصيغة الغامضة التي توصلت إليها المنظمة الصهيونية بشأن ملكية الأرض فــي فلسطين كي تكون مُلْكاً "للشعب اليهودي" السمات نفسها لخاصتي الإسفنجية والصــمت. فلــم يــتم تحديــد شكل الدولة اليهودية، ولا شكل ملكية الأرض، ولا المثل الإجتماعــية أو الأيديولوجــية الظاهــرة أو الكامنة، بحيث يمكن معه من أن يفرض كل اتجاه صهيوني المعنى الذي يتسق مع منطلقاته الفكرية والسياسية والدينية[٢].

وفــي المؤتمر الصهيوني الأول ١٨٩٧م، ابتعد المجتمعون عند مناقشة القرارات عن استخدام كلمة "دولة" في الإعلان النهائي، كي لا يثيروا مخاوف السلطان العثماني، لذا اســتخدمت كلمة ألمانية مبهمة توحي "بالاستقلال" ولكنها لا تعني بالضرورة "دولة" وهي كلمــة "Heimstate" التــي تعنــي (بيت، دار، ملاذ، مأوى، موطن، منزل)[٣]. وفي هذا المجــال يقــول هرتــزل " لاداعــي للقلــق فسوف يقرؤها الناس دولة يهودية على أية حــال" [٤]. وظل الغموض والإبهام يرافق هذه الصياغة ولم يتم الإفصاح عن ذلك إلا بعد نصــف قرن تقريباً في برنامج بلتيمور الذي نص صراحة على إيجاد حكومة يهودية في فلسطين[٥].

---

(١) الخاصية الإسفنجية: هي قدرة الصهيونية على التعايش على الرغم من وجود آراء متناقضة ووجهات نظر متضاربة، ومثال ذلك: التضارب بين الصهيونية الدينية والصهيونية الثقافية. أما خاصية الصمت: فهي عدم الإعــلان أو الإفصــاح عــن المفاهــيم الضمنية والكامنة لئلا يتسبب ذلك في حرج القائمين على المشروع الصهيوني أو حلفائه أو المؤيدين له، ومثال ذلك: عدم الإعلان عن الدولة اليهودية إلا في مؤتمر بلتيمور عام ١٩٤٢م، أنظر: المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص ١٧-١٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص١٩؛ القاسم، التحدي الاسرائيلي، ص ١٦.

(٣) أســعد رزوق، إسرائيل الكبرى- دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني- منظمة التحرير الفلسطينية- مركز الأبحاث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٣م، ص ١٣١.

(٤) تايلور، المصدر السابق، ص١٦.

(٥) صــدر برنامج بلتيمور عن مؤتمر استثنائي عقده الصهاينة الأميركيون والأوروبيون مع ممثلي المستوطنين فــي فلســطين وذلــك فــي مدينة نيويورك في أيار ١٩٤٢م وجاء فيه ما يلي: "الاعتراف بأن الغرض من شــروط تصــريح بلفور والانتداب التي تبين ارتباط (الشعب) اليهودي التاريخي بفلسطين هو إيجاد حكومة يهودية هناك وجعل فلسطين حكومة يهودية" ، أنظر: المصدر نفسه، ص ٨١.

وعندما طلب هرتزل من قيصر ألمانيا إنشاء شركة تحت الحماية الألمانية، فإنه لم يتــنازل عــن الوطــن اليهودي في فلسطين وإنما أراد أن يدخل البيت من الباب الثاني. فهرتزل كان يفكر في الميثاق أو البراءة التي ابتدعها الاستعمار الغربي في أواخر القرن التاسع عشر للشركات كإحدى وسائل الاستيطان للقارة الأفريقية[1]. كما أن الصهاينة كانوا يشــيرون إلــى وعــد بلفور وإعلان الإنتداب في فلسطين باعتبارهما الميثاق أو البراءة ويطلقون عليهما الميثاقين Charterites [2].

وعندما قابل هرتزل البابا طالباً تأييده وموافقته على وعد بلفور، حاول هرتزل أن يمــوه هدفه ويوارب في أقواله بقوله: "نحن لا نطلب القدس نطلب فلسطين، الأرض غير المقدسة منها" [3].

كذلك، كان على الكيان الصهيوني بعد حصوله على وعد بلفور وإعلان بريطانيا انــتدابها علــى فلسطين أن يشجع الهجرة اليهودية إلى فلسطين بمختلف السبل والوسائل. ولكــي يحــيل الأقلية إلى أكثرية كان عليه أن ينفذ عمليات إرهابية واسعة بقصد ترحيل الســكان العرب وطردهم من أراضيهم. وقد ارتكب في سبيل ذلك عدداً من المجازر كان مــن أشــهرها مجــزرة ديــر ياسين التي قتل فيها أكثر من (٢٥٠) من الرجال والنساء والأطفال بتاريخ ٩ نيسان ١٩٤٨م [4].

غير أن هذه المجزرة لم تكن الوحيدة التي ارتكبها الصهاينة عام ١٩٤٨م، بل أنهم ارتكــبوا مجازر عديدة من النمط نفسه. ويؤكد المؤرخ الصهيوني أربيه اسحقي أن قوات الهاجانــاة والــبالماخ قامت بعشرات العمليات المثيلة التي قتل فيها العشرات من الشيوخ والنســاء والأطفــال من بينها: اعتداء على قرية بلد الشيخ وقتل أكثر من (٦٠) شخصاً،

---

(١) هرتزل، يوميات هرتزل، ص ١١٥.

(٢) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص ٥٣-٥٥.

(٣) هرتزل، يوميات هرتزل، ص ٣٢٥.

(٤) غلوب، المصدر السابق، ص ١٣٠، غير أن بعض الروايات من شهود عيان أوردتهم قناة الجزيرة الفضائية فــي بــرنامج لها بعنوان: "يومها كانوا هناك"، ٢٦ تموز ٢٠٠١م، أظهرت أن الرقم الحقيقي حسب إحصاء فعلي لعدد القتلى من دير ياسين قد بلغ (٩٣) شخصاً فقط.

واعـــتداء علـــى قرية سعسع وقتل نحو (٦٠) شخصاً معظمهم من النساء والأطفال، وفي مدينة اللد تم قتل أكثر من ٢٥٠ عربياً كذلك[١].

أمـــا المجـــازر التـــي ارتكبها الصهاينة بعد تأسيس كيانهم فهي أكثر من أن تُعد وتُحصـــى وكـــان ضـــحيتها ليس من الفلسطينيين وحدهم بل من السوريين والمصريين واللبنانيين والأردنيين[٢].

فالإرهاب الصهيوني هو أحد الأسس التي قامت عليها الحركة الصهيونية والكيان الصـــهيوني، إضـــافة إلى مبدأي التوسع واحتلال الأراضي العربية[٣]. وقد تمت ممارسة الإرهـــاب مـــن قبل جميع عناصر الحركة الصهيونية سواء منهم اليمينيون أو اليساريون أو الكهـــنة[٤]. وإن أكثر ما يمكن ملاحظته في الحركة الصهيونية هو أن أكثر المتشددين فـــيها، والذيـــن يدعـــون إلـــى العـــنف، وأعمـــال الإرهـــاب هم رجال الدين منهم أي (الحاخامـــات)[٥]. كمـــا أن معظـــم القادة وزعماء الكيان الصهيوني قد مارسوا الإرهاب الصهيوني بأنفسهم بدءاً من بن غوريون، ومناحيم بيجن، واسحق شامير، واسحق رابين، وبنيامين نتنياهو، وإيهود باراك، وأرئيل شارون، وغيرهم كثيرون[٦].

ولـــم تقتصـــر عمليات الإرهاب والقتل الصهيوني على العرب وحدهم، بل طالت لتمتد إلى أبناء جلدتهم لإجبارهم على الهجرة إلى فلسطين كما حدث في سلسلة التفجيرات الموجهـــة ضـــد المعبد اليهودي وبعض الأحياء اليهودية في بغداد في ١٤ كانون الثاني ١٩٥١م[٧]. كما طالت تلك الاعتداءات البريطانيين أنفسهم وذلك في حادثة اغتيال الوزير البريطانـــي المفوض في القاهرة اللورد "موين"، ومحاولة قتل المندوب السامي البريطاني فـــي فلســـطين، ونسف فندق الملك داود في القدس، ونسف مراكز الشرطة، والإغارات

(١) لمزيد من المعلومات أنظر: غلوب، المصدر السابق، ص ١٣٠-١٣٥، ١٥٦.

(٢) للوقـــوف علـــى حقيقة بعض هذه المجازر، انظر: المصدر نفسه، ص ١٣٤، ١٥٥-١٥٨، وانظر أيضاً: النقرش وآخرون، المصدر السابق، ص ١١٢، وأيضاً: صحيفة الدستور الأردنية، العدد ١٢١٠٩، ١٨ نيسان ٢٠٠١، ص ٣٧.

(٣)Hijazi, Arafat, Zionist terrorism, Dar Al- sabah, Amman, 1987, p. 17.

(٤)Ibid , p. 22.

(٥)Ibid , p. 18.

(٦)Ibid , pp. 19-20.

(٧) غلوب، المصدر السابق، ص ١١٥-١١٦.

المتكررة على ثكنات الجيش البريطاني[1]. كما لم يسلم من إرهابهم الكونت برنادوت وسيط الأمم المتحدة الذي قاموا باغتياله في ١٧ أيلول ١٩٤٨م[2].

لقد كانت تلك المجازر التي ارتكبت بحق الشعب الفلسطيني تجسيداً للأطماع الصهيونية، وتطبيقاً لأهداف ومنطلقات الفكر الصهيوني في طرد الشعب الفلسطيني وتهجيره القسري من أرضه ووطنه. وفكرة الترحيل أو ما أُطلق عليه مصطلح أل "ترانسفير" [3] لم تكن في يوم من الأيام مطلباً هامشياً لدى الحركة الصهيونية تطالب به جماعة صهيونية مثل حركة "غوش إيمونيم" وغيرها من الحركات المتطرفة، ولكنها كانت جزءاً أساسياً في فكر جميع الشخصيات البارزة أو صانعة القرار في جسد الدولة الصهيونية من هرتزل ووايزمن إلى بن غوريون ودايان ورابين وشامير[4]. وإن النظرة الصهيونية السائدة في أوساط الشعب الصهيوني كما يذكر يعقوب شاريت بالنسبة للمناطق العربية المحتلة هي "إما نحن أو هم"[5]. ويقول "مناحيم بيغن" في كتابه "الثورة، قصة الأرغون"، بأن المجازر كانت ذات أهمية قصوى في عملية الطرد الفلسطيني والتهجير الجماعي[6]. وتذكر المصادر الصهيونية أن السلطات الصهيونية قامت بهدم وتدمير (٣٨٥) مدينة وقرية فلسطينية عام ١٩٤٨م، وأزيلت معالمها من أصل (٤٧٥) كانت موجودة قبل هذا العام[7]. والناظر إلى الخرائط الصهيونية سواء في الصحف أو على شاشات التلفزيون الصهيوني، لا يرى إلا خرائط فارغة تخلو من أسماء القرى الفلسطينية، ولا يرى سوى أسماء عبرية حلت محل الأسماء العربية، وأسماء مستوطنات صهيونية،

---

(١) أحمد، المصدر السابق، ص ٩١، ٩٢، وانظر أيضاً: غلوب، المصدر السابق، ص ٧٦، ٧٧.

(٢)Hijazi , zionist terrorism, pp. 52-53.

وانظر أيضاً: رجاء جارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة قسم الترجمة بدار الغد العربي، دار الغد العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م، ص ٥٩.

(٣) الترانسفير: أي نقل السكان. واستخدمت هذه الكلمة كمصطلح صهيوني لترحيل عرب فلسطين، كأسلوب مواربة ولتجنب استخدام كلمات مثل: "طرد"، "إجلاء"، إبعاد، أو ما شابه ذلك.

(٤) نور الدين مصالحة، أرض أكثر وعرب أقل، سياسة "الترانسفير" الإسرائيلية في التطبيق ١٩٤٩-١٩٩٦م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص ٩، ١١، ١٢، ٢٤، ١٩١-١٩٤، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٧.

(٥) شريت، المصدر السابق، ص ٧١.

(٦) إبراهيم أبو زهرة،-الحركة الصهيونية والاستعمار والطرد الفلسطيني، رابطة الجامعيين، الخليل، ١٩٩٣م، ص ٦٠.

(٧) الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، المجلد الأول، ط١، ١٩٨٤م، ص ٥٨٦.

لدرجـــة أن هـــذه الخـــرائط لا تعطـــي أي انطباع عن أن الفلسطينيين يشكلون الأغلبية الســاحقة خاصـــة فـــي الضـــفة الغربـــية وقطاع غزة المحتلين[1]. كما يحرص الإعلام الصـــهيوني على عدم ذكر فلسطين أو الشعب الفلسطيني حتى عند الإشارة إلى اللاجئين الفلســطينيين [2]. كما اعتمدت الصهيونية منذ أن كانت فكرة ثم حركة ثم دولة على تبني الإستيطان الصهيوني والهجرة كعاملين أساسيين للتغيير الديمغرافي.

ولتحقيق هذا الغرض، فقد أصدرت "قانون العودة" الذي يمنح الجنسية الإسرائيلية لأي يهـودي بمجـرد وصـوله إلـى فلسطين المحتلة، كما أصدرت قانون الجنسية عام ١٩٥٢م[3]. وبعـد إقامة الدولة الصهيونية في عام ١٩٤٨م، ظلت قوانين الطوارئ التي كانـت سـلطات الانـتداب قد أصدرتها في عام ١٩٤٥م سارية المفعول، لتستخدم ضد الفلسطينيين الذين وقعوا تحت حكم الكيان الصهيوني[4].

وقـد يكـون من أقسى الإجراءات لنهب الأرض الفلسطينية قانون ملكية الغائبين الصادر عام ١٩٥٠م، الذي يحق بموجبه للقيّم في الكيان الصهيوني بوضع يده على أملاك العـرب الغائبيـن التي استولى الصهاينة عليها عام ١٩٤٨م، بمجرد إدعائه أن أصحابها غائبون، دون أن يكون مضطراً لأن يقدم أي إثبات أو بينات على هذا الإدعاء[5].

وبعـد احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان بعد حرب عام ١٩٦٧م، ركز الصـهاينة جهودهـم الاسـتيطانية فـي هذه المناطق واتبعت السلطات الصهيونية عدة أساليب للإستيلاء على الأرض منها: الإستيلاء على كافة الأراضي التي كانت تُعَد أميرية زمـن الحكومة الأردنية وذلك بموجب المرسوم رقم ٥٩ الصادر في عام ١٩٦٧م[6]. كما قامـت بمصادرة بعض الأملاك الخاصة بالمواطنين، بناء على أوامر صادرة عن الحاكم

---

(١) شريت، المصدر السابق، ص ٧١.

(٢) نوفل، المصدر السابق، ص ١٣٤.

(٣) غلوب، المصدر السابق، ص ١١٤؛ المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص ١١٤، ١٨١.

(٤) غلوب، المصدر السابق، ص ١٣٨.

(٥) اعتـبر "غائـباً" كل فلسطيني غادر منزله قبل الأول من آب ١٩٤٨م، وبهذه الطريقة صودر ثلثا الأراضي المملوكـة للعـرب (٧٠,٠٠٠ هكتار من أصل ١١٠,٠٠٠)، أنظر: جارودي، المصدر السابق، ص ١٥٩؛ غلوب، المصدر السابق، ص١٤٢.

(٦) المصدر نفسه، ص١٤٣.

وحــركة الاســتغلال هذه لم تتوقف حتى في أيامنا هذه عندما طالبوا البابا يوحنا بولــس الثانـــي خـــلال زيارتـــه الأخيرة للأردن والأراضي المقدسة بالاعتذار عما فعله المسيحيون باليهود خلال العصور الوسطى والحرب العالمية الثانية[1].

ولعـــل مـــن أغرب أساليب الحركة الصهيونية هو إيهام الرأي العام العالمي بأن الدولـــة الصـــهيونية هـــي الدولة الضعيفة المعتدى عليها التي تعيش وسط محيط عربي معاد[2]. وهي لا تظهر من نياتها التي تسوقها سواء ما كان قبل قيام الدولة أو بعدها، إلا ما يحدد هدفها القريب وحده، فلا تعبر عن الهدف التالي إلا في الوقت المناسب، وبعد أن تـــبلغ هدفها القريب[3]. ففي ٣/ أيار /١٩٦٧م، صرح رئيس الوزراء الصهيوني، آنذاك، ليفـــي أشـــكول: "ليست لدى (إسرائيل) أية أغراض عدوانية، ولا نطالب بأي شيء سوى العيش بهدوء في أراضينا الحالية" . إلا انه بعد الحرب، صرح بتاريخ ١٠/تموز/١٩٦٧م: "إن (إســـرائيل) تـــنوي أن تحتفظ بالشطر الأردني السابق من القدس وبقطاع غزة"، بينما كـــان وزيـــر دفاعـــه، الجنرال موشي دايان، يتحدث عن ضم الضفة الغربية ومرتفعات الجـــولان أيضـــاً[4]. وقد سلك الكيان الصهيوني هذه السيرة منذ نشأته وحتى اليوم، فكان يحدد في كل حرب هدفاً قريباً يتناسب مع مقدار النصر الذي يحرزه. وهذا ما يفسر تذرع الكـــيان الصهيوني بنظريات تبرر حروبه وتوسعاته، مثل نظرية "الحدود الآمنة" ونظرية "الحدود القابلة للدفاع عنها" [5].

---

(١) قـــدم البابا يوحنا بولس الثاني عند زيارته للأردن والأراضي المقدسة في ٢٠/آذار/٢٠٠٠م اعتذاراً لليهود عما لحق بهم من أذى على يد المسيحيين.

(٢) غلوب، المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٣) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص ٢٦.

(٤) غلوب، المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٥) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص ٢٦.

التوافق التاريخي بين أساليب الحركتين الصليبية والصهيونية

إن مـــن الأمور المثيرة أن الحركة الصليبية ارتبطت منذ بداياتها في عام ١٠٩٥م وحـــتى نهاية العصور الوسطى بالعمل الدعائي الواسع(١). كما كان للقصص التي ذاعت عـــن الاضطهادات التي يلقاها مسيحيو الشرق على يد المسلمين والدعاية المسعورة ضد المســـلمين التي أذكتها جهود البابوية وأشاعها المبشرون والدعاة الجوالون أمثال بطرس الناسك وغيره، ما أثار الجو المحموم وأجّج نفوس الجماهير في أوروبا العصور الوسطى وخاصـــة الفرسان منهم بالرغبة في الثأر وقتل المسلمين الذين ذبحوا إخوانهم المسيحيين في الشرق ودمروا كنائسهم(٢).

وعلـــى الـــرغم مـــن أن بعض دعاة الحملة الصليبية الأولى- وعلى رأسهم البابا أوربـــان الثانـــي نفسه- قد استغلوا فكرة الإضطهاد هذه في الدعاية لمشروعهم في غرب أوروبـــا، فـــإن عامـــة الـــناس في مختلف هذه البلدان لم يكن يهمهم كثيراً أمر إخوانهم المســـيحيين الشـــرقيين. ومما يشير إلى زيف شعارهم ما قامت به جموع العامة من قتل وســـلب للأهالـــي الآمنين من أبناء جلدتهم أثناء مرورهم عبر هنغاريا ثم أراضي الدولة البيزنطـــية(٣)، حتى أن الكنائس لم تسلم من اعتداءاتهم، متناسين أنهم إنما قدموا ليحاربوا باسم المسيح والمسيحية(٤).

ولـــم يكتف الصليبيون بذلك، بل إن الكنيسة اليونانية قد مرت بمرحلة تدهور في ظـــل الحكـــم الصليبي بما تعرضت له من اضطهاد مستمر على أيدي الصليبيين أنفسهم الذين قدموا لنجدتهم من الحكم الإسلامي.

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن الدعاية للحملة الصليبية، أنظر:

Finucane , soldiers of the faith, pp. 30-35

(٢) Munro, Dana carleton, the western attitude toward Islam during the period of the crusades, speculum, A Journal of mediaeval studies, sixth Annual meeting of the Mediaeval Academy of America, 1931, pp. 330-334

(٣) قـــام أتـــباع أحـــد زعماء العامة واسمه والتر الملقب بالمفلس بالنهب والسلب والاعتداء على الأهالي أثناء مـــرورهم عبر هنغاريا. كما قام أتباع بطرس الناسك بذبح نحو أربعة آلاف من أهل بلدة سملين الهنغارية. أنظر: عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ١٠٩.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ١١٠.

ويمكــن القــول أن تقويض الوجود البيزنطي كان أحد الأهداف الأساسية للحركة الصــليبية، ويدل على ذلك تحول الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية واحتلالها في تمــوز ســنة ١٢٠٤م بدلا من توجهها نحو مصر، على الرغم من أن هذا الهدف لم يكن معلــناً عــنه فــي أوروبــا[١]. لذلك فلا عجب أن قرر "جروسيه" أحد مؤرخي الحروب الصليبية "أن الحملة الصليبية الرابعة جاءت نذيراً بفشل الحركة الصليبية بأكملها" [٢].

وكمــا ارتبطــت الحملـــة الصـــليبية بالعمل الدعائي الواسع الذي مهد له الوعاظ المــتجولون، وما حملوه معهم من وعود الغفران، كذلك ارتبطت الحركة الصهيونية منذ بداياتها بالعمل الدعائي والحرب الإعلامية. وفي هذا المجال يقول هرتزل: "علينا أن نخلق أكبر قسط من الضوضاء حول المشكلة اليهودية" [٣].

ويمكن القول أنه لا توجد دعوة سياسية ارتبطت منذ نشأتها بالعمل الدعائي الواسع والمصــمم كمــا حــدث للحــركة الصهيونية، فقد جندت الصهيونية العالمية المؤسسات الســينمائية ودور النشــر والتأليف والصحافة ومؤسسات الإذاعة والتلفزيون في الدعاية لصالحها، ولا يخفى ما لهذه الوسائل من أهمية في التأثير في الرأي العام العالمي[٤].

ومــن يــنظر فــي ذلــك الوضع الدولي الذي هيئته الصهيونية، يرى أن المناخ الفكــري والعقــائدي الذي أوجدته الصهيونية بوصفها حركة قبل أكثر من مائة عام، كان أنســب وســط دولــي أمكن أن تولد فيه مثل هذه الحركة وتترعرع. فأسطورة الأرض الموعــودة المعطى للآباء: "لنسلك أعط هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات"[٥]، قد فُهم أنه إضفاء للشرعية على الغزو الصهيوني لفلسطين، أو على أنه امتداد للســيادة (الإســرائيلية) في عهد داود بعبارة أخرى. كما أن أسطورة (الشعب المختار):

---

(١) عاشــور، الحركة الصليبية، ج٢، ص ٧٣٥-٧٣٦، وانظر أيضاً: براور، المصدر السابق، ص ٨٠-٨١، وأيضاً:

Runciman, steven, A history of the crusades, vol. 111, the Kingdom of Acre, cambridge uneversity press, cambridge, 1966, pp. 115-116.

(٢) عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص ٧٤١، نقلاً عن:

Grousset, Hist. des croisades, 111, p. 175.

(٣) نوفل، المصدر السابق، ص ٩٦.

(٤) لمعــرفة المزيد عن السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام المختلفة، أنظر: أبو غنيمة، المصدر السابق، ص ١١-٨١.

(٥) سفر التكوين: الإصحاح ١٥ : ١٨.

"فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذي على وجه الأرض" [1] كانت أحد الاستخدامات الذرائعية للروايات التوارتية التي تميز اليهودي عن غيره من الأقوام، وتجعل من (إسرائيل المقدسة) ألا تتدنس بالاتصال بشعوب أخرى التي مقتها الرب[2].

وفي الواقع فإن اليهود وما يتفرع عنهم من حركات صهيونية وماسونيه ونوادي روتاري وليونز وغيرها من المسميات، يستأثرون بأكبر قسط من السيطرة على وسائل الإعلام العالمية حتى في البلدان التي تعتبر معاقل للنصرانية كالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وغيرها.وقد تمكنت الصهيونية من خلال ذلك من تجميل وجه اليهودي البشع وتبشيع الوجه العربي بالمقابل في نفوس جماهير الرأي العام العالمي[3].

وكما تغير المقصد الجغرافي للحركة الصليبية من القسطنطينية إلى القدس، ثم من القدس إلى القسطنطينية، كذلك كان لا يهم هرتزل الأرض المقدسة بوجه خاص: فهو يقبل أيضاً ومن أجل أهدافه القومية، بأوغندا أو طرابلس أو قبرص أو الأرجنتين، أو موزمبيق، أو الكونغو[4].

ولكن أمام معارضة التيار الديني من أصحاب الديانة اليهودية، فإنه يعي أهمية الأسطورة القوية: "إن فلسطين هي وطننا التاريخي الذي لا ينسى... وإن هذا الاسم وحده سيظل صيحة لمّ الشمل القوية لشعبنا" [5].

وكما شقت الحركة الصليبية طريقها نحو الشرق تحت دعاوى دينية ثم ما لبثت أن تحولت الأهداف لغايات دنيوية محضة، كذلك فقد كان التناقض بين الهدف ووسائل بلوغه سبباً في انقسام الصهاينة، فهرتزل يرى أن المسألة اليهودية ليست عنده مسألة اجتماعية ولا مسألة دينية، إنما هي مسألة (قومية) [6].

---

(١) سفر الخروج: إصحاح ٣٣ : ١٦.

(٢) جارودي، المصدر السابق، ص ٦٧، ٦٨.

(٣) أبو غنيمة، المصدر السابق، ص ٨، ١٧.

(٤) هرتزل، يوميات هرتزل، ص ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٠، كذلك أنظر:
Ben Halpern, The Idea of the Jewish state, p. 101 .

(٥) هرتزل، دولة اليهود، ص ٤٩.

(٦) جارودي، المصدر السابق، ص ١٩، ٢٢.

ولـذا فـإن هرتزل الواعي لأهدافه لا يخفي عقيدة الصهيونية الاستعمارية وذلك عـن طـريق تحقيق "شركة ذات امتيازات"، تحت حماية بريطانيا أو أي قوة أخرى، في انتظار تحويلها إلى دولة يهودية، كخطوة أولى[١].

وقـد ظلت العقيدة السياسية والنزعة العنصرية الاستعمارية خصائص ثلاث تمثل السياسة الصهيونية التي انتصرت في مؤتمر بال عام ١٨٩٧م، واستطاع هرتزل عقبها أن يقول وبجدارة: "في بازل أسست الدولة اليهودية" [٢]، ولكن هذه العملية السياسية والقومية والاستعمارية، لم تكن بأي حال من الأحوال امتداداً للديانة والروحانية اليهودية.

ومثلما كان يرافق احتلال الصليبيين للمدن العربية إبادة السكان الأصليين كما حدث فـي أنطاكية ومعرة النعمان والقدس، كذلك كان الإرهاب الصهيوني[٣] ركيزة أساسية من ركائز البناء الصهيوني. فقد جاء في سفر العدد، وعندما بدأ غزو فلسطين (كنعان): "فسمع الـرب صـوت إسرائيل ودفع إليهم الكنعايين فأبسلهم هم ومدنهم" [٤]. كما تشير الأحداث والوقـائع إلـى أن مسيرة "يشوع" هي نفسها مسيرة مناحيم بيغن عندما قضى على معظم أهالي دير ياسين عام ١٩٤٨م.

ومـن بن غوريون وبيغن إلى الحاخام مائير كاهانا وشارون وباروخ جولد شتاين الـذي قـتل أكثر من سبعة وعشرين فلسطينياً وجرح أكثر من خمسين، وهم يصلون في الحـرم الإبراهيمـي، حيـث أصبح موضع تقدير وتبجيل من المتطرفين اليهود في كل مكان[٥].

---

(١) جارودي، المصدر السابق، ص ١٩.

(٢) هرتزل، يوميات هرتزل، ص ٨٩.

(٣) الإرهاب بمعناه العام هو إعاقة أو قتل أو تدمير المؤسسة أو المنشأة التي يعتقد ما يسمى بالإرهابي أنها هي العدو. ويصنف الإرهاب إلى أنواع: فثمة الأعمال التي يقوم بها المواطنون الأصليون لتدمير أو إعاقة جهة أجنبـية محتلة، وثمة الأعمال التي تقوم بها أقلية سكانية لفرض إراداتها على الأغلبية، أنظر: سامي هداوي، الحصـاد المر، فلسطين بين عامي ١٩١٤و ١٩٧٩م، ترجمة د. فخري حسن يغمور، رابطة الجامعيين في محافظة الخليل، ط١، ١٩٨٢م، ص ٣١٤-٣١٥.

(٤) سفر العدد: الإصحاح ٢١: ٣.

(٥) جارودي، المصدر السابق، ص ٦١-٦٢، غير أن بلال الحسن ذكر أن عدد القتلى بلغ (٦٧) فلسطينياً وعدد الجـرحى (٢٢٥)، أنظـر: بلال الحسن، مجزرة الخليل، ١٥ رمضان ١٤١٤هـ، ٢٥ شباط ١٩٩٤م، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط١، ١٩٩٤م، ص ١٢.

ومن اللافت للانتباه أن اليهود الذين ذاقوا مرارة الاضطهاد والقتل والتدمير على أيدي الأوروبين عامة وعلى أيدي الصليبين والنازيين خاصة تعاطوا ضد العرب عامة والفلسطينيين خاصة مع الأساليب نفسها التي استخدمت ضدهم على امتداد أوروبا في الجغرافيا وفي التاريخ(١).

وكما اعتمد الصليبيون في العصور الوسطى والنازيون في العصور الحديثة في مشاريعهما التوسعية والعنصرية على مثلث الإرهاب: التدمير والإبادة ونشر الذعر(٢)، اعتمد اليهود على الأسلوب ذاته في طرد الشعب الفلسطيني من مدنه وقراه. فقد جاء على سبيل المثال لا الحصر أمر صادر عن أحد قادة القطاع الشمالي للجيش الصهيوني في ١٩ أيار ١٩٤٨م ما نصه: "هاجموا من أجل النصر، اقتلوا الرجال ودمروا وأحرقوا قرى الكابري وأم الفرج" (٣). كذلك، أُمرت الكتيبة الثانية والعشرون بقتل كل عربي تصادفه، وبأن تُحرق كل الأهداف التي يمكن أن تُحرق(٤).

وكما رافق استباحة المدن الإسلامية، تعذيب الأسرى، وبقر بطون النساء، وقطع رؤوس الرجال، واقتياد النساء مقيدات بالسلاسل، من قبل الصليبيين، فقد فاقت أساليب التعذيب الصهيونية وقتل الأسرى والمعتقلين العرب والفلسطينيين وذبح النساء والأطفال وتكسير عظامهم، أية أساليب أخرى عرفها التاريخ القديم والحديث.

وصور التعذيب التي مارستها ولا تزال تمارسها أجهزة الأمن الصهيونية ضد العرب والفلسطينيين من ربط الأسرى والمعتقلين بالسلاسل، وتعريضهم للهز العنيف، وحرمانهم من النوم، وصب الماء البارد عليهم في البرد القارس، ووضعهم في زنزانات صغيرة، وعدم السماح لهم باستخدام دورات المياه، وغير ذلك من أساليب، أكثر من أن تُعد أو تُحصى(٥).

---

(١) هداوي، المصدر السابق، ص ١٦-١٧.

(٢) صحيفة الرأي الأردنية، العدد ١٠١٢٦، ٣٠ أيار ١٩٩٨م، ص ٥٢.

(٣) أبو زهرة، المصدر السابق، ص ٦٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٠.

(٥) نوفل، المصدر السابق، ص ٣٣٥-٣٣٨.

ولـــم يكن قتل أكبر عدد ممكن من الأسرى المصريين في حربي عام ١٩٥٦م و ١٩٦٧م بأوامـــر مباشـــرة مـــن القـــادة الميدانيين الصهاينة، وترك الجرحى يموتون في الصحراء، إلا مثلاً بسيطاً من انتهاكات حقوق الإنسان ومبادئ القانون الدولي بخصوص أسرى الحرب(١).

وكمـــا قام الصليبيون بطرد السكان الأصليين من المسلمين من مدنهم وقراهم في أعقاب احتلالهم لهذه المدن والقرى خاصة مدينة القدس، ومنعهم من العودة إليها ثانية، لجأ الصهاينة أيضاً إلى مفهوم الترانسفير منذ مؤتمرهم الأول في بازل برئاسة هرتزل مروراً بجميع قادتهم وزعمائهم يساريين كانوا أم يمنيين أم من الوسط دون استثناء، وعملوا على تخليص فلسطين من سكانها بجميع الوسائل الضرورية بما فيها القوة والرشوة، كما نظروا اليهم كعابرين غرباء لا أساس لهم في أرض أجدادهم(٢).

وتستمد فكرة الترانسفير أصولها من التوراة المحرفة لديهم، فقد جاء في الإصحاح الثالـــث والثلاثيـــن حديث العبور إلى أرض كنعان وعن ضرورة طرد السكان منها بعد تدميرها: "وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم، يكون الذي تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم، ومناخس في جوانبكم، ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها" (٣).

ويبيـــن الزعيم الصهيوني الروسي مناحيم أوسشكين (١٨٦٣-١٩٤١م) في كتابه "برنامجـــنا" أســـاليب الاســـتيلاء على الأرض في أي بلد ما، بالطرق التالية: "بالقوة، أي انـــتزاع الأرض مـــن مالكـــيها بالعنف، وبالبيع القسري، أي استملاك الأملاك الخاصة للأغراض العامة، وبالبيع الطوعي" (٤).

وهـــذا مـــا لجأت إليه الصهيونية بالفعل تباعاً. ففي الفترة العثمانية، اعتمدت البيع الطوعـــي بالتحايل على قوانين البلاد، وحصلت على نحو (٤٤٠,٠٠٠) دونم خلال نحو

---

(١) أفاد شهود عيان من الأسرى المصريين في مقابلة أجرتها لهم قناة الجزيرة الفضائية في قطر في برنامجها "ســـري للغايـــة" المذاع يوم ٢٠٠٠/٦/١، بأن مئات الأسرى المصريين تم قتلهم بإطلاق النار على بعضهم مباشرة من قبل الجنود الصهاينة أو بجعل الدبابات الصهيونية تسير فوق بعضهم الآخر.

(٢) لمعرفة المزيد عن فكرة الترانسفير الصهيونية للفلسطينيين، أنظر:
مصالحة، المصدر السابق، ص ٣-٩، ١٧-٢٧، ٣١-٣٢، ٧٧-١٢٣.

(٣) سفر يشوع: إصحاح ٢٣: ١٢ -١٣.

(٤) الخالدي، المصدر السابق، ص ٨١.

أربعين عاماً (١٨٨٠-١٩١٨م). وفي الفترة البريطانية اعتمدت مزيجاً من البيع الطوعي والقسري، فحصلت على (١,٢٠٠,٠٠٠) دونم في خلال ثلاثين عاماً (١٩١٧-١٩٤٨م). وأخيراً حصلت على (٢٠,٦٦٦,٠٠٠) دونم بالحرب في خلال أقل من عام واحد (تشرين الثاني ١٩٤٧- تشرين الثاني ١٩٤٨م)، وعملت على إخراج نحو (٧٥٠,٠٠٠) من سكان فلسطين من ديارهم[1]. وفي هذا المجال يصف "وايزمن" عملية الخروج الفلسطيني بأنه: "انتصار إقليمي، وحل ديمغرافي نهائي"[2].

وبعد حرب عام ١٩٦٧م، استولى الكيان الصهيوني على مساحة من الأرض العربية تبلغ ثلاثة أضعاف مساحتها قبل العدوان، فاحتلت كامل الأرض الفلسطينية، وهضبة الجولان السورية، وشبه جزيرة سيناء، وهجرت نحو (٢٥٠,٠٠٠) فلسطيني من الضفة الغربية وغزة، ونحو (١٠٠,٠٠٠) من أهالي الجولان، وآلافا من بدو سيناء[3].

وتتابع السلطات الصهيونية حملاتها الرامية إلى تفريغ المناطق التي احتلتها من سكانها الأصليين طوال الفترات الممتدة بين حروبها مع العرب. وهي لا تزال مستمرة في حملاتها هذه حتى يومنا هذا، وتخطط للقيام بالمزيد منها مستقبلاً، كما وتلعب عصابات المستوطنين المسلحة دوراً هاماً في تنفيذ هذه المخططات.

وكما حاول الصليبيون تغييب العرب الفلسطينيين من المسلمين وإرغامهم على الخروج من فلسطين واستقدام عرب مسيحيين من الأردن لسد النقص من القوى البشرية لديهم كعملية تبادل للسكان، أو محاولة جلب الأرمن وتوطينهم في فلسطين لجعل المدينة مسيحية من ناحية عدد سكانها[4]، كذلك دأبت أجهزة الدعاية الصهيونية على وصف تغييب الفلسطينيين الذين طردوا من ديارهم بالقوة والإرهاب عام ١٩٤٨م بأنه كان عملية

---

(١) الخالدي، المصدر السابق، ص ٨١، أما فارس غلوب فيذكر في كتابه: "الصهيونية على خطى النازية"، ص ١٤٠، بناء على سجلات الأمم المتحدة، أن العدد وصل نحو (٩٠٠,٠٠٠) نسمة.

(٢) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص ١٨٠، نقلاً عن:
Machover, Moshe, "Reply to solstern" , Israca, January 5.1973, p. 28.

(٣) الخالدي، المصدر السابق، ص ١١٣، أما فارس غلوب فيشير في كتابه السابق وفي الصفحة نفسها إلى أن عدد المهجرين من الجولان بلغ نحو (١١٠,٠٠٠) نسمة، في حين بلغ عدد المهجرين من الضفة الغربية وقطاع غزة نحو (٤٠٠,٠٠٠) نسمة.

(٤)prawer, Joshua, colonization Activities in the latin kingdom of Jerusalem, Revue de philologie et d' Histoire, XXIX, 1951, p. 1086.

"تـــبادل ســـكان" تمّ من خلالها توطين الفلسطينيين خارج فلسطين وتوطين اليهود العرب داخلها[١].

وهـــذا التـــبادل من وجهة نظر الإدراك الصهيوني يعني أن فلسطين هي المكان الطبيعي لليهودي الخالص، وليس فيها مكان للعربي الذي يجب أن يغيب. علاوة على ذلك فإن مقولة العربي الغائب تظهر في إنكار وجود حركة المقاومة الفلسطينية ورفض التعامل معها والإصرار على الإشارة إلى رجال المقاومة على أنهم إرهابيون وقتلة[٢].

أما جولدامائير، فقد ذهبت إلى أبعد من هذا عندما أنكرت وجود الشعب الفلسطيني برمـــته، فقد قالت لصحيفة الصاندي تايمز اللندنية بتاريخ ١٥/حزيران/١٩٦٩م: "لا يوجد شـــيء اســـمه الفلســـطينيون، لم يكن الحال وكأن شعباً فلسطينياً في فلسطين يعتبر نفسه كشـــعب فلسطيني، ثم جئنا وطردناهم وأخذنا بلدهم منهم، إنه لم يكن لهم وجود" [٣]. كما تتجلى الصورة بشكل درامي أكثر، حينما تعلن جولدا بأنها فلسطينية[٤].

غـــير أن مـــا يفرق بين الحركتين في مجال طرد السكان الأصليين، أن الصليبين عـــادوا وسمحوا للمسلمين بالعودة إلى مدنهم وقراهم باستثناء مدينة القدس[٥]، في حين لا يـــزال يصر الصهاينة على إنكار حق العودة لجميع الفلسطينيين سواء ما اصطلح عليهم بالنازحين أو اللاجئين[٦].

ومـــثلما أصدرت مملكة بيت المقدس عدة قوانين خاصة تتعلق بحق الملكية، كذلك أصـــدرت الســـلطات الصـــهيونية عدة قوانين لنهب الأرض الفلسطينية، وتشجيع الهجرة

---

(١) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧.

(٣) نوفل، المصدر السابق، ص ١٣٢.

(٤) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص ٧.

(٥) براور، المصدر السابق، ص ١٢٣.

(٦) يخشـــى الكيان الصهيوني من تطبيق قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ الذي ينادي بحق العودة للاجئيـــن الفلسطينيين، خشية من رجحان كفة الخارطة الديمغرافية لصالح العرب الفلسطينيين، إذ يبلغ عدد فلسطيني الشتات (٥,٢٤٨,١٨٦) نسمة موزعين في بلدان مختلفة، أما إحصائيات وكالة الغوث فتشير إلى أن عددهم ٣,٧ مليون نسمة، أنظر: صحيفة الرأي الأردنية، العدد ١١١١٤، ١٢ شباط ٢٠٠١م، ص ١٧.

الصـــهيونية للاستيطان في المناطق المحتلة، كان أبرزها "قانون العودة"، و "قانون ملكية الغائبين"، وغيرها من القوانين الأخرى التي ساعدت على مصادرة الأراضي العربية[1].

ويمكن القول أن البعد الديمغرافي كان ولا يزال أحد أهم أبعاد الصراع الإسلامي- الصليبي، والعربي- الصهيوني في فلسطين عامة والقدس خاصة.

فكمـــا عمل الصليبيون على منع المسلمين من العودة إلى المدينة المقدسة حتى لا (يلـــوث) وجودهـــم قداستها حسب ادعائهم، فإن معركة تهويد القدس كانت وما تزال الهمّ الصـــهيوني الأكـــبر. فمنذ الاحتلال الصهيوني للمدينة المقدسة في حزيران ١٩٦٧م، لم تـــتوقف ســـلطات الاحتلال عن اتخاذ كافة التدابير والإجراءات الممكنة وهي بلا حصر، بغية تعزيز السيطرة الصهيونية على المدينة المقدسة وخاصة البلدة القديمة منها، ومحاولة تهويدها وتفريغها من سكانها الأصليين[2].

ولكـــي يتحاشـــى الصهاينة ما وقع به الصليبيون، فقد سعوا إلى الاستيطان على رؤوس الجبال في يهودا والسامرة والجليل، حيث تنتشر مئات المستوطنات فيها حالياً[3]. وقـــراءة فـــي تقرير الصحافي الصهيوني عوديد ينون [4]، توضح مدى استراتيجية الفكر الصـــهيوني التطبيقـــي لمفهـــوم الاستيطان عندما يقول: "وبحل مشكلة السكان التي تتسم بالأهمية الكبرى، سننتقل للتوزع المدروس على قمم الجبال في يهودا والسامرة والجليل، لأننا إذا لم نشكل الأكثرية خصوصاً على القمم العالية فإننا سنكون كالصليبين تماماً، الذين خســـروا وجودهم على هذه الأرض التي لا تعود اليهم أصلاً، والتي بقوا فيها غرباء، إلى أن خرجوا" [5].

---

(١) قامـــت الســـلطات الصهيونية ببيع أملاك المقدسيين العرب في القدس الغربية وهي تقدر بعشرة آلاف عقار وتشـــكل مســـاحة ٤٠% مـــن إجمالـــي مساحة بلدية القدس أيام الانتداب البريطاني، أنظر: صحيفة الرأي الأردنية، العدد ١٠٢٣٤ تاريخ ١٥/أيلول/١٩٩٨م، ص ١٥، وأيضاً: العدد ١٠٢٢٧، ٨/أيلول/١٩٩٨م، ص ١٠، وانظر أيضاً: نوفل، المصدر السابق، ص ٣٣٤.

(٢) لمـــزيد من التفاصيل عن تهويد المدينة المقدسة، أنظر: صحيفة الرأي الأردنية، العدد ١٠٢٢٥، ٦/أيلول/ ١٩٩٨م، ص ١٠، والعدد ١٠٢٢٧، ٨/أيلول/١٩٩٨م، ص ١٠، والعدد ١٠٢٢٩، ١٠/أيلول/١٩٩٨م، ص ٣٤، والعدد ١٠٢٣٤، ١٥/أيلول/١٩٩٨م، ص ١٥، والعدد ١٠٢٣٩، ٢٠/أيلول/١٩٩٨م، ص ١٠.

(٣) نوفل، المصدر السابق، ص ٣٣٠.

(٤) قام عوديد ينون وهو موظف سابق في وزارة الخارجية الصهيونية بوضع دراسة حول تصوره لتفتيت العالم العربي ونشرها في أوائل عام ١٩٨٢م في مجلة "نظرية" التي تصدر عن المنظمة الصهيونية في القدس.

(٥) نوفل، المصدر السابق، ص ٣٣١.

ومـــثلما عبـــث الصليبيون بمقدسات المسلمين خصوصاً المسجد الأقصى المبارك وقـــبة الصـــخرة المشرفة، والمحاولة الشريرة التي قام بها أرناط في محاولته غزو مكة المكـــرمة والمدينة المنورة، لطعن العالم الإسلامي في قلبه وطعن المسلمين في قبلتهم(١)، كذلك عبث الصهاينة في مقدسات المسلمين وحولوا مساجد كثيرة في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م إلـــى مقاهٍ وصالات رقص، كما تعرض القسم الآخر إما إلى الهدم أو التدمير، أو تحول إلى كنس يهودية(٢).

كما قام الصهاينة بعد احتلالهم للضفة الغربية وقطاع غزة بعد حرب عام ١٩٦٧م، بمـــئات الاعتداءات على المسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي(٣). ولعل في حرق المسجد الأقصـــى صـــباح يـــوم ٢١/آب/١٩٦٩م لأكـــبر دليل على عدم حرمتهم للأماكن الدينية الإسلامية والمسيحية على حد سواء(٤).

كما وقامت السلطات الصهيونية بعمل حفريات واسعة تحت المسجد الأقصى مهددة بذلـــك ســـلامة قواعده وبنيانه(٥)، كما عملت على الاستيلاء على حائط البراق (المبكى)

---

(١) ابـــن الأثـــير، الكامل، ج١١، ص ٤٩٠؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٥، مؤسســـة جمّـــال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٢٩٩، أنظر أيضاً: الغامدي، صلاح الدين والصليبيون، ص ١٦٧-١٦٨.

(٢) عرضت قناة الجزيرة الفضائية من قطر في برنامجها "مآذن في وجه الدمار"، ١٦/آب/٢٠٠١" فيلماً وثائقياً عما آلت إليه المساجد في فلسطين المحتلة قبل عام ١٩٤٨م، وما لحق بها من تهويد وأضرار.

(٣) كشف الصليبيون سنة ١١١٩م عن قبر سيدنا إبراهيم وقبري اسحق ويعقوب عليهم السلام، كما قام الصهاينة بفـــتح نفـــق تحـــت الغـــار في ١/تشرين أول/١٩٨١م، بالإضافة إلى مئات الانتهاكات للحرم الإبراهيمي، أنظـــر: صلاح موسى أبو رميله التميمي وآخرون، المسجد الإبراهيمي، قسم إحياء التراث الإسلامي- بيت المقدس، ١٩٨٥م، ص ٢٢٧ وما بعدها.

(٤) عـــن حرق المسجد الأقصى والعبث بالأماكن المقدسة المسيحية، أنظر: نجيب الأحمد، تهويد القدس، منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الإعلام والتوجيه القومي، د.ت، ص ٩٥- ٩٧، ١٠٨، ١١٦-١١٩.

(٥) هـــناك مخططـــات صـــهيونية لهدم المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان مكانه. وتتبنى حركات صهيونية متطرفة كحركة أمناء جبل الهيكل، ودوريات جبل البيت وغيرها من الحركات محاولة نسف المسجد الأقصى وقـــبة الصـــخرة، أنظر: المصدر نفسه، ص ٥٢، وانظر أيضاً: نواف الزرو، القدس بين مخططات التهويد الصـــهيونية ومسيرة النضال والتصدي الفلسطينية، دار الخواجا للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٩١م، ص ٤٦-٤٩.

وقامـــت بـــتجريف الساحات التي أمامه بحجة أنه أثر ديني يهودي مع العلم أن هذا وقف إسلامي لا شبهة فيه.

وكما أخل الصليبيون بالعهود والمواثيق التي قطعوها على أنفسهم، والهدنات التي عقدوهـــا مع المسلمين أو مع أبناء جلدتهم كالإمبراطور البيزنطي إليكسيوس وعمانويل، فإن سجل الصهاينة مليء بمئات الوقائع التي تثبت غدرهم ونكثهم للعهود والمواثيق. ففي حـــرب عـــام ١٩٤٨م، نقــض الصهاينة شروط الهدنة الأولى، ثم عادوا ونقضوا شروط الهدنـــة الثانـــية، وهاجموا الجيوش العربية التي حافظت عليها، تحت سمع وبصر مجلس الأمـــن الـــذي لم يفعل إزاء ذلك شيئاً. كما أنها خالفت اتفاقيات الهدنة عندما احتلت ميناء إيلات (أم الرشراش) في ١٠ آذار ١٩٤٩م[١].

كمـــا أن هـــناك عشرات القرارات الصادرة عن الأمم المتحدة كقرار رقم ١٨١، ورقـــم ٢٤٢، ورقـــم ٣٣٨[٢]، وغـــيرها من القرارات، قد ضرب بها الكيان الصهيوني عرض الحائط ولم ينفذ منها قراراً واحداً.

ويصـــرح "بن غوريون" في هذا المجال في معرض حديثه عن قرار التقسيم رقم (١٨١) بقوله: "ترى دولة (إسرائيل) في قرار الأمم المتحدة الصادر في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧م، أنه باطل وكأنه لم يكن" [٣].

ومـــن اللافـــت للانتـــباه أن الكيان الصهيوني كما الكيان الصليبي استخدم أسلوب المـــراوغة والغمـــوض والكلمات الفضفاضة التي تحتمل معاني كثيرة في مفاوضاته مع الجانـــب العربي في مفاوضات السلام التي جرت معه وخصوصاً مع الجانب الفلسطيني،

---

(١) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص ٨١-٨٢، ٨٥.

(٢) عن مجمل هذه القرارات، أنظر: أحمد عبد الرحيم سالم الخلايلة، الاستراتيجية الأردنية وارتباطها بالقضية الفلسطينية (جذورها- حاضرها- مستقبلها)، المطابع العسكرية الأردنية، عمان، ط١، ١٩٩٨م، ص ٧٠٧-٧٠٨، ٧١٣، ٧١٤). وعـــن نـــص قـــرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢، أنظر: المصدر نفسه، ملحق٤، ص ٧٣٠.

(٣) جارودي، المصدر السابق، ص ١٥٧.

وكـــان هدف الصهاينة دائماً إسقاط المرجعيات العربية والدولية، وإسقاط الثوابت العربية والفلسطينية من الصراع العربي- الصهيوني(١).

وقــد أجــاد المفاوض الصهيوني لعبة المتاهة جيداً من خلال المماطلة والتسويف والتفكيك والمراحل والانتقال من الجوهري إلى الهامشي ومن الأساسي إلى الإجرائي(٢). ولعــل في لعبة النسب المئوية للأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة التي مــنحها الكيان الصهيوني للسلطة الوطنية الفلسطينية وتصنيفها إلى مناطق أ، ب، ج، ما يجعل أمر التسوية أكثر تعقيداً، ويدخل المفاوض الفلسطيني في لعبة الخرائط(٣).

ومــن الجديــر بالذكر أن السياسة الثابتة التي سارت عليها الحكومات الصهيونية المتعاقبة منذ نشأة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين قامت على أساس عدم التفاوض مع الفلسطينيين(٤).

وحقــيقة الأمــر أن سياسة عدم التفاوض مع الفلسطينيين كانت أحد الثوابت التي قــام علــيها الفكر الصهيوني وسار عليها جميع الزعماء الصهاينة وعلى رأسهم هرتزل نفســه، لأن الــتفاوض مع الفلسطينيين يعني الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني، ويعني التسليم بأن مقولة "شعب بلا أرض لأرض بلا شعب" هي مقولة غير صحيحة وتعمل على هدم الفكرة الصهيونية من أساسها(٥).

وأمــا المفاوضــات مع الجانب العربي وخاصة مع مصر فقد كان الهدف منه هو إلغــاء الدور وإلغاء اتصال هذا الدور بالمستقبل العربي، وكانت خشية القيادة الصهيونية مــن إجراء أي تفاوض مع العرب، سوف يؤدي إلى رسم الحدود مع الكيان الصهيوني،

---

(١) صحيفة الرأي الأردنية، العدد ١١٠٨، ٦/شباط /٢٠٠١م، ص ٤٨، مقالة بقلم: أسعد عبد الرحمن، ونواف الزرو، الانتفاضة الفلسطينية الكبرى – العام ٢٠٠٠م.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٨.

(٣) محمــد عــبده حــتاملة، الاعتداءات الإفرنجية (الصليبية) على ديار العرب في الأندلس والمشرق (حرب متواصلة على الإسلام)، الجامعة الأردنية، عمان، ط١، ٢٠٠١م، ص ٦٦-٦٧.

(٤) محمد حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، الكتاب الثاني: عواصف الحرب وعواصف السلام، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م، ص ١٩.

(٥) المصدر نفسه: ص ١٩.

فـيما هـو الآن مشروع قابل للتوسع بلا قيود[١]. وكانت نصيحة أبا إيبان وزير خارجية الكـيان الصـهيوني الأسـبق لـ "بن غوريون" هي: "لا داعي لأن نتفاوض مع العرب لسنوات. إذا تفاوضنا الآن فسوف تكون لهم طلبات في حقوق الأرض وحقوق الناس وهي طلبات ليس في وسع إسرائيل أن تتقبلها" [٢].

أمـا الكيان الصليبي فقد استخدم هو الآخر أساليب المراوغة والدهاء في تفاوضه مـع المسـلمين عـندما وصل به الأمر إلى عرض ريتشارد قلب الأسد إلى تزويج أخته الأمـيرة جوانـا أرملة وليم الثاني ملك صقلية من الملك العادل أخ صلاح الدين على أن يتشـارك الاثنان حكم فلسطين، بما فيها بيت المقدس والمدن الساحلية. على أن أغرب ما في الموضوع أن صلاح الدين نفسه قبل الفكرة وأعلن ترحيبه بها بكل صراحة، غير أن هذا المشروع فشل بسبب رفض الأميرة جوانا الزواج من مسلم[٣].

كمـا اقـترح ريتشارد على صلاح الدين أن يحكم هنري دي شامبني مملكة بيت المقـدس ولكـن تحت حماية المسلمين، فيكون هو وجيشه تحت إمرة صلاح الدين وفي طاعته "ولو استدعيتهم إلى الشرق سمعوا وأطاعوا"[٤].

وقـد أعجب القاضي ابن شداد بأسلوب الصليبيين التفاوضي فقال في ذلك: "أنظر إلى هذه الصناعة في استخلاص الفرص باللين تارة، والخشونة أخرى" [٥].

وعلـى الـرغم من أن الصليبيين عقدوا عدة معاهدات صلح مع المسلمين[٦] كان أشهرها صلح الرملة الذي عقد بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد في الثاني من أيلول

---

(١) هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الثاني، ص ١٩، ٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٣) ابـن شـداد، بهاء الدين يوسف بن رافع، النوارد السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط. القاهـرة، ١٩٦٤م، ص ٢٩٢-٢٩٣؛ ابـن واصـل، مفرج الكروب، ج٢، ص ٣٧٢-٣٧٣؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص ٦٩٣- ٦٩٤.

(٤) ابن شداد، المصدر السابق، ص ٣٢٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٢٨.

(٦) لمعـرفة المزيد من التفاصيل عن معاهدات الصلح بين الفرنجة والمسلمين أنظر: غوانمة، المصدر السابق، ص ٢٨-٤٥، ٥٧-٥٨، ٦٣-٧٤، ٧٧-٨٩، ١١٠-١٣٣.

عـــام ١١٩٢م وحـــدد بمـــدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر[١]، إلا أن هذه المعاهدات كانت معـــاهدات صلح وليس معاهدات سلام، على الرغم من أنها شملت حرية التجارة، وحركة الـــنقل الـــبرية والـــبحرية، وحرية العبادة وزيارة الأماكن المقدسة، والمناصفات، وعدم الاعـــتداء، والـــتعاون في مجال الجريمة، واقتسام المياه، وغير ذلك من القضايا التي تهم الطرفيـــن[٢]. وقـــد حددت مدتها بالسنوات والشهور، ولم تكن مطلقة، إلا أنه كان يسمح بتجديدها إن رغب الطرفان. وكان من أهم نصوصها عدم التأويل فيها أو في شيء منها، وعـــدم الاستفتاء فيها[٣]. كما أن هذه المعاهدات لم تنص على ما يسمى (بالتطبيع الثقافي) فـــي معاهدات العرب والصهاينة لأن هذا الأمر لم يكن ليعني المسلمين الذين كانوا أكثر حضارة ومدنية[٤].

أما الكيان الصهيوني فعلى الرغم من عقده اتفاقيتي سلام مع مصر والأردن وهما: كامـــب ديفيد ووادي عربة[٥]، إلا أن السلام الدائم والشامل والعادل للقضية الفلسطينية لم يـــتم بعد، رغم ترويجيه الدائم لدعاوى السلام. فالأطماع الصهيونية في الأرض العربية لا تزال مقدمة لدى الزعامات الصهيونية على الرغبة في السلام.

والسياسة الثابتة لدى الكيان الصهيوني منذ نشأته بما يخص السلام هي[٦]:

١- سوف يظل يطلب الاعتراف والتفاوض بقصد السلام.

٢- لكنه إذا تم له ذلك فسوف يضع شروطاً تجعل السلام مستحيلاً.

٣- وهو الآن ليس في حاجة إلى خريطة للحدود، لأنه لم يصل إلى خريطته المأمولة بعد.

---

(١) المقريـــزي، تقـــي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ج١، ق١، ط. القاهرة، ١٩٥٦م، ص ١١٠.

(٢) انظر نصوص الهدنات في: غوانمة، المصدر السابق، الملاحق، ص ١٣٧-١٨٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣١.

(٥) عقدت معاهدة السلام المصرية مع الكيان الصهيوني في ٢١/آذار/١٩٧٩م على أثر اتفاقيات "كامب ديفيد"، في حين عقدت معاهدة السلام الأردنية مع الكيان الصهيوني في ٢٦/تشرين أول/١٩٩٤م.

(٦) هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الثاني، ص ٢٣.

وقـد تعلـم الزعماء الصهاينة الأسلوب النازي في تصوير الكيان الصهيوني بأنه دولـة ضعيفة ومسالمة تهددها الدول المجاورة المعتدية ونجح في ذلك إلى حد بعيد. غير أن الحقـيقة أنـه كلمـا قام الجانب العربي بمبادرة ترمي إلى إحلال السلام، كلما وضع المسؤولون الصهاينة شروطاً تعجيزية، بتأييد من الولايات المتحدة الأميركية، لتقويض أية فرصة لتحقيق السلام، لا تحقق بشكل رئيسي المطالب الصهيونية(١).

وقد أصر الكيان الصهيوني على المفاوضات المباشرة مع العرب، كما كان يضع شـرطين مسـبقين، لأية مفاوضات، وهما رفض مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية في عملية السلام، ورفض فكرة الدولة الفلسطينية(٢).

والكـيان الصهيوني لا يؤمن بالسلام على الرغم من تصريحات زعمائه المتكررة بطلـب السـلام. فاليهودي العضوي المنبوذ لا يبحث قط عن السلام، وكما قال الحاخام يعقـوب أريـيل "فـإن اليهودي المتدين يعترض على السلام، فهو يحتفظ بوعي تاريخي متطور لا يدعه ينسى أحداث الماضي ويولد فيه موقفاً حذراً تجاه العالم الخارجي"(٣).

وفـي الحقيقة فإن كل دعوة للسلام أو الصلح أو التفاهم مع العرب هي، بطبيعتها، دعـوة مناقضة للتركيب السياسي للكيان الصهيوني، إذ إنه ليس بين الأحزاب الصهيونية كلهـا حـزب واحد يؤمن حقيقة بسلام دائم مع العرب إلا بالشروط التي يستطيع الكيان الصهيوني فرضها على العرب وعلى حسابهم(٤).

علـى أن أشد ما يخشاه الصهاينة اليوم هو قيام وحدة عربية أو إسلامية تحيط بهم وتنهـي وجودهـم، تماماً كما خشي الصليبيون في العصور الوسطى من قبلهم واستماتوا لعـدم تحقـيق مثل هذا النوع من الوحدة، وقاوموا أي اتجاه وحدوي بين مدن بلاد الشام بعضها ببعض، وبين المسلمين في مصر أو إقليم الجزيرة والعراق وبين إخوانهم المسلمين في الشام، أو بين المسلمين في الشام وإخوانهم في آسيا الصغرى(٥).

---

(١) غلوب، المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٨.

(٣) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ص ٣٣.

(٤) القاسم، التحدي الإسرائيلي، ص ٥٣.

(٥) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ١٠.

وعــندما تمكــن نور الدين محمود من إقامة وحدة امتدت من الفرات إلى دمشق، خشــي الصليبيون من استكمال الدائرة عليهم بضم مصر إلى هذه الوحدة، فحاولوا منعها بشــتى الطرق، وكان أول عمل قام به بلدوين الأول أول ملوك بيت المقدس هو السيطرة علــى الأردن ووادي عــربة، وشيد حصن الشوبك (مونتريال) سنة ١١١٥م لقطع طرق المواصلات بين مصر والجزيرة العربية والشام والعراق[١].

والواقــع أن العالم الإسلامي شهد في عصر الحروب الصليبية مؤامرات ودسائس كثــيرة من الخارج والداخل: من الغرب المسيحي في أوروبا، ومن الصليبيين من داخل إمــاراتهم فــي بلاد الشام، ثم مؤامرات من بعض حكام المسلمين[٢]، وبعض الجماعات والفرق كالباطنية والموارنة والأرمن وغيرهم[٣].

ولقد أدرك هرتزل منذ البداية أهمية انقسام الوطن العربي وتفتيته إلى قبائل وشيع وطوائف، الأمر الذي يخدم مصالح الغرب بلا شك: "إن تحسن وضع اليهود سيساعد على تحســن وضــع مسيحيي الشرق"، بل إنه من الممكن تحويل اليهود الذين سيبقون خارج فلسطين إلى عملاء يعملون لصالح الدولة التي سترعى المشروع الصهيوني[٤].

والعمل على إرباك الشعب العربي في المشكلات الداخلية وإغراقه في الصراعات القطــرية، لــتعلو فوق الصراع العربي الصهيوني وخاصة في الأقطار العربية المحيطة بالكــيان الصــهيوني، ومحاولة منع قيام الوحدة فيما بين أقطاره، لهو الشيء البديهي في سياسة هذا الكيان الثابتة[٥].

---

(١) براور، المصدر السابق، ص ٦٦؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٠ .

(٢) انظر سياسات التحالف مع الصليبيين من قبل معين الدين أنر وسيف الدين غازي بن مودود أتابك الموصل، وكمشــتكين حــاكم حلب، والصالح إسماعيل الأيوبي صاحب دمشق، ويقال أيضاً عن ضرغام وشاور، من وزراء الخلافــة الفاطمية، وغيرهم، أنظر: عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ج١، ص٩-١١، و ج٢، ص ٦١٠،٥٨٧.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ١٠.

(٤) Herzl, the complete Diaries, Iv, p. 1367.

(٥) إبراهيم بكر، فلسطين بين الدولة الصليبية والدولة الصهيونية- محاضرة عن فلسطين في جامعة اليرموك- اربد، ١٩٧٧م، ص ٢٩.

ويقـول نـاحوم جولدمـان، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية العالمية في هذا الشأن: "إذا أردنا (لإسرائيل) البقاء والاستقرار في الشرق الأوسط، فعلينا أن نفسخ الشعوب المحيطة بها إلى أقليات متنافرة تلعب (إسرائيل) من خلالها دوراً طليعياً وذلـك بتشجيع قيام دويلة علوية في سورية، ودويلة مارونية في لبنان، ودويلة كردية في شمال العراق"[١].

وقد استغل الكيان الصهيوني واقع التمزق العربي في تفريخ المزيد من التمزق، ثم استغله في تيئيس الإنسان العربي من قيام وحدة عربية أو عمل عربي موحد، كما استغله في تعميق مفهوم دول العالم بأن التعامل مع قوة سياسية موحدة ومؤثرة كالكيان الصهيوني أجـدى لها ولمصلحتها من التعامل مع عدد كبير من القوى السياسية العربية ذات الميول المختلفة[٢].

وقـد عمـل الكـيان الصهيوني منذ قيامه على إثارة النعرات الطائفية، وتشجيع الحـركات الانفصـالية فـي بعض الأقطار العربية، ويمكن أن نذكر، على سبيل المثال، الحـركة الانفصالية في جنوب السودان، والحركات الانفصالية الكردية في شمال العراق، إلا أنهم حققوا أكبر إنجازاتهم في لبنان باندلاع الحرب الأهلية هناك عام ١٩٧٥م [٣].

وقـد أثبتت الأحداث أن أهداف الكيان الصهيوني من غزو لبنان عام ١٩٨٢م هو تقسـيم ذلك البلد على أسس طائفية وإقامة أنظمة عميلة له. وكان خلق دولة مسيحية من الموارنة هو دائماً إحدى المهام المركزية للسياسة الخارجية الصهيونية[٤].

وأمـا المخطط الاستراتيجي لسياسة الكيان الصهيوني في الثمانينات كما أوضحها جـارودي نقـلاً عـن مجلة "كيفونيم" الصهيونية فيتخلص في تفكيك مصر وتشكيل دولة قبطية، وتقسيم لبنان إلى خمس محافظات، وتفكيك سوريا والعراق إلى مناطق محددة على أساس معايير عرقية أو دينية[٥].

---

(١) نوفل، المصدر السابق، ص ٨٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٦.

-(٣) غلوب، المصدر السابق، ص ١٥٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥٣.

(٥) جارودي، المصدر السابق، ص ١٨١.

فالهــياكل العرقية في سوريا تعرضها للتفكك الذي قد يؤدي إلى إنشاء دولة شيعية علـــى طول الساحل، ودولة سنيّة في منطقة حلب، وأخرى في دمشق، وكيان درزي ربما ينشأ في هضبة الجولان[1].

أمـــا العـــراق، الغني بالبترول، فهو خط التسديد الصهيوني، وتفكيكه يشكل أهمية أكبر من تفكيك سوريا، "لأنه يشكل على المدى القصير أخطر تهديد لإسرائيل"[2] .

وقد ظلت إقامة منطقة عازلة أمنية بين الكيان الصهيوني وحدوده الشمالية لحماية مســتوطناته مــن أي هجمــات فدائــية فلســطينية أو عربية أحد ثوابت السياسة للكيان الصــهيوني. وقد تسنى له ذلك عندما تمت إقامة الشريط الحدودي فيما عرف بـــ "جيش لبــنان الجنوبــي" ، بقيادة الرائد سعد حداد ثمّ خليفته الجنرال ميشيل عون، الذي انفصل بجــنوب لبنان واستقل به[3]، إلى أن طرد منه ومعه القوات الصهيونية على يد المقاومة اللبنانية الوطنية (حزب الله) في العشرين من أيار عام ٢٠٠٠م.

كذلك حاول الصليبيون إقامة إمارات مسلمة في بصرى الشام وصلخد إلى الشرق من نهر اليرموك لتعمل كمنطقة عازلة (Buffer Zone) بينها وبين إمارة دمشق، غير أن هــذا المشــروع باء بالفشل، ثم قامت بمحاولات أخرى للسيطرة على المنطقة نفسها عن طــريق تأســيس رؤوس جســور في المواقع الاستراتيجية، إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل أيضاً[4].

علـــى أن نظرية تنمية العلاقات مع العناصر الهامشية في منطقة المشرق العربي (مــثل الأكــراد أو الــدروز أو المارونيين أو الباطنية) ظلت سياسة صهيونية كما كانت سياسة صليبية دائمة[5].

---

(١) جارودي، المصدر السابق، ص ١٨٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٢.

(٣) غلوب، المصدر السابق، ص ١٥٣-١٥٤.

(٤)prawer , the latin kingdom of jerusalem, p. 283.

(٥) شريت، المصدر السابق، ص ٣٨، وانظر أيضاً:

prawer, op.cit , pp. 48-55.

وقد جرب الكيان الصهيوني عام ١٩٨٢م تجنيد عملاء له في فلسطين، ونظم هؤلاء العملاء في تنظيمات أطلق عليها اسم "روابط القرى"، ومنحهم امتيازات كبيرة ليتعاونوا معه ضد شعبهم، وصورهم على أنهم قادرون لأن يكونوا ممثلين فلسطينيين بديلاً عن منظمة التحرير الفلسطينية، غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل الذريع، إذ سرعان ما ساءت سمعة هذه الروابط، وجاءت الانتفاضة الفلسطينية الأولى في أواخر عام ١٩٨٧م، لتوجه الضربة القاضية اليها، وانتهى بذلك فصل ما سمي بروابط القرى[١].

وكما تفتقت ذهنية الصليبيين في فرض حصار اقتصادي براً وبحراً على مصر والشام، كذلك قامت القيادة الصهيونية خلال فترة الانتداب البريطاني في فلسطين بعمليات تدمير للبنية الاقتصادية الفلسطينية عن طريق إغلاق المتاجر، ومقاطعة العمالة العربية، ومنع وصول المواد إلى المصانع الفلسطينية، وشل طرق المواصلات والتجارة، ونسف الجسور، بهدف تفريغ فلسطين من سكانها الأصليين[٢]. وقد أوكل "دافيد بن غوريون" تدمير البنية الاقتصادية هذه إلى "موشيه شريت" قائد عصابات البالماخ. كما دعا "إلياهوساسون" مستشار الشؤون العربية في الوكالة اليهودية إلى تدمير الاقتصاد الفلسطيني، حتى لو أدى ذلك إلى تخريب الاقتصاد الصهيوني، إذ يقول: "نحن نستطيع تحمل الخراب الاقتصادي وإعادته، أما الفلسطينيون فلا"[٣].

وكما جرت محاولات صليبية لتحويل مجرى النيل عن مصر بهدف تجويعها، كذلك قام الكيان الصهيوني بتحويل مياه نهر الأردن وجر مياهه إلى النقب لري الأراضي الصحراوية فيه، حسب إدعائهم، وقبل أن تأخذ الأراضي العربية في حوض الأردن حاجتها منه. وقد استغرق العمل في هذا المشروع عشر سنوات، وبدأ الضخ منه في شهر آب عام ١٩٦٤م[٤].

---

(١) غلوب، المصدر السابق، ص ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٣٠.

(٢) أبو زهرة، المصدر السابق، ص ٥٤؛ غلوب، المصدر السابق، ص ١٢٧.

(٣) أبو زهرة، المصدر السابق، ص ٥٤، ويلاحظ أن ما يقوم به الكيان الصهيوني في هذه الأيام من إغلاق تام للمدن والقرى الفلسطينية لإجهاض الانتفاضة الفلسطينية لا يخرج عن هذه الدائرة.

(٤) هداوي، المصدر السابق، ص ٤٠٢-٤٠٣، ولمزيد من المعلومات عن المشاريع الصهيونية لتحويل مجرى نهر الأردن، أنظر: الموسوعة الفلسطينية، قسم٢، مجلد١، ص ٢٤٦-٢٥٦.

ولـم يـتوقف الأمـر عـند هذا الحد، بل أخذ الكيان الصهيوني بسرقة مياه نهر الـيرموك وضخها إلى بحيرة طبريا، وكذلك سرقة مياه الضفة الغربية المحتلة والاستيلاء على مصادر المياه فيها(١).

ومـثلما حـاول الصـليبيون الاندمـاج في منطقة الشرق الأوسط، بحيث تنتسب الدويـلات الصـليبية إلـيه وتصبح شريكة للعالم العربي – الإسلامي فيه(٢)، فإن الكيان الصهيوني سعى منذ البداية لأن يكون عضواً فاعلاً وأساسياً في المنطقة بحيث يتم التركيز على الرابطة الجغرافية – الشرق أوسطية بدلاً من الروابط القومية والدينية التي تتسم بها شعوب المنطقة ودولها(٣).

ومـثلما اصـطدمت فكرة الاندماج الصليبي بالمنطقة العربية– الإسلامية بالواقع الديمغرافي على الأرض، فإن فكرة الاندماج الصهيوني اصطدمت بالواقع نفسه أيضاً. فقد كـان علـى الصليبيين إما القيام بتشكيل مجتمع لاتيني مسيحي صرف، أو تشكيل مجتمع مخـتلط (لاتينـي غربـي– شـرقي مسيحي)، أو تشكيل مجتمع أوروبي– شرقي (مسلم ومسيحي) (٤).

---

(١) غلـوب، المصدر السابق، ص ١٤٥، كما ذكر المفكر والفيلسوف الفلسطيني البروفيسور إدوارد سعيد في نـدوة حول اتفاقية أوسلو، برنامج بلا حدود، تاريخ ٢٩ تشرين الثاني ٢٠٠٠م، على قناة الجزيرة الفضائية، بأن الكيان الصهيوني يقوم بسرقة ما نسبته ٨٠% من مياه الضفة الغربية لصالح السكان الصهاينة.

(٢) prawer, the latin kingdom of jerusalem, p. 504,

وانظر أيضاً:

Avnery, Israel without zionism, p.86.

(٣) شـفيق، المصـدر السـابق، ص ٢٦، أنظـر أيضاً: ناظم عبد الواحد الجاسور، المشروع القومي العربي والمشاريع الغربية– الصهيونية المضادة، مجلة آفاق استراتيجية، العدد الأول، أيلول ٢٠٠٠م، ص ٦٥-٧٠. وتجـدر الإشـارة هـنا إلى أنه يجري حالياً ترويج مشروع النظام (الشرق أوسطي) بصياغته الصهيونية– الأميركـية تحت دعاوى تنمية المنطقة وتطويرها وفتح الحدود أمام التجارة ورؤوس الأموال ورفع الحماية والجمـارك، وبـناء البنـية التحتـية المشتركة لدول المنطقة، وربطها بشبكات المواصلات البرية والجوية والبحرية، أنظر حول ذلك:

بـيريس، شمعون، الشرق الأوسط الجديد، ترجمة محمد حلمي عبد الحافظ، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٩٤م، ص ١٠٥-١١٥، ١٣١.

(٤) prawer, op.cit , p.504.

أمـا الخـيار الأول فيعني طرد السكان الوطنيين من بلادهم، وإحلال المهاجرين الأوروبيين محلهم، في حين أن الخيارين الآخرين يعنيان الإبقاء على السكان وإخضاعهم بالقوة لأنظمة وقوانين الحكم الصليبي، فكان الخيار الثالث هو الأنسب للكيان الصليبي(١).

ومـن الجدير بالذكر أن المفارقات بين الحركتين الصليبية والصهيونية تكمن في أسـاليب الابـتزاز والإسـتغلال بأشـكاله كافـةً، السياسي والوظيفي والمهني، للأفراد والحكومـات، الـذي تمـيز به اليهود بين الأمم على طول فترات التاريخ، بالإضافة إلى أسـاليب الغمـوض والتحايل والدهاء والتلاعب، واستخدام الخاصية الاسفنجية وخاصية الصمت التي برع بها اليهود كذلك(٢).

فقـد خاطبـت الحركة الصهيونية خلال الحرب العالمية الأولى الولايات المتحدة الأمريكية ودول العالم الغربي الكبرى كل حسب مصالحه(٣). فقالت لفرنسا: "ستضم البلاد التـي نعـتزم احتلالها مصر السفلى والأقسام الجنوبية في سوريا ولبنان... وسيمكننا هذا الوضـع من أن نصبح سادة التجارة من الهند والجزيرة العربية وشرق أفريقيا وجنوبها، ولا يمكـن لفرنسا إلا أن ترغب في رؤية الطريق إلى الهند والصين محتلة بشعب يسير وراءها إلى الموت" (٤).

وللحكومـة الألمانـية عرضـت "نحن نريد أن نقيم على الشواطئ الشرقية للبحر الأبـيض المتوسـط حضـارة عصـرية ومركزاً تجارياً يكونان دعامة للسيادة الألمانية مباشرة أو لا مباشرة" (٥).

وفـي الولايـات المـتحدة الأميركية وبريطانيا، قالت: "إن فلسطين اليهودية التي تخلقهـا بريطانـيا العظمـى وتسـاندها أمريكا تعني ضربة مميتة للسيطرة الإسلامية- البروسية- الطورانية على الشرق" (٦).

---

(١) prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem , p. 504-505.

(٢) الخلايلة، استراتيجية هرتزل، مجلة آفاق استراتيجية، العدد الأول، أيلول ٢٠٠٠م، ص ١٠٩-١١٦.

(٣) عن ارتباط المصالح الغربية مع المصلحة الصهيونية أنظر: نوفل، المصدر السابق، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٤) القاسم، التحدي الإسرائيلي، ص ٣٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٠.

كما اعتمدت الحركة الصهيونية في اتصالاتها قاعدة الأخذ والعطاء. فهي لا تطلب التأييد والمناصرة مجاناً، وإنما تعرض خدماتها في مقابل ذلك. فقد عرض هرتزل الرشوة علـــى السلطان إلى جانب المساعدة على بناء الاقتصاد العثماني المتهاوي مقابل حصوله على فلسطين[1].

كمـــا عـــرض هرتزل "توجيه هجرة اليهود الفائضة نحو طرابلس الغرب ضمن قوانيـــن إيطالـــيا وأنظمتها"[2]، وكان ذلك قبل احتلال إيطاليا لليبيا في محاولة منه لكسب تأييد ملك إيطاليا وإثارة اهتمامه.

وقـــد ســـاومت الحـــركة الصهيونية ألمانيا النازية حول هجرة اليهود الألمان إلى فلســـطين، كما ساومت بريطانيا أيضاً حول الهدف نفسه، حيث التقت مصالح هذه القوى الثلاث في تهجير اليهود الأوروبيين إلى فلسطين. غير أن مصالح هذه القوى سرعان ما تناقضـــت فـــي الحرب العالمية الثانية، مما دفع بالحركة الصهيونية إلى إنهاء تحالفها مع النازية بعد أن أدركت أن ألمانيا النازية ستكون الخاسرة في الحرب[3].

وقـــد يكـــون فـــي اســـتخدام اللاسامية والهولوكوست من أكثر وسائل الاستغلال والابتزاز الصهيوني السياسي ضد من يقف في طريقهم. فقد جعلت الدعاية الصهيونية من الجريمة التي ارتكبت ضد اليهود من قبل النازيين في الحرب العالمية الثانية حدثاً استثنائياً لا مثـــيل له ولا يمكن مقارنته مع باقي الضحايا الآخرين للنازية، ولا بأي جريمة أخرى من جرائم التاريخ، مع إضفاء طابع القدسية على هذه الحادثة[4].

---

(١) القاسم، التحدي الإسرائيلي، ص ٣١.

(٢) هرتزل، يوميات هرتزل، ص ٣٢٢.

(٣) حققـــت اتفاقـــية الهعفرا التي عقدت في ٢١ حزيران ١٩٣٣م بين الحركة الصهيونية والنازية التي تم فيها كســـر الحصار على هتلر نجاحاً باهراً من وجهة نظر الطرفين، إذ نجح النازيون في تصديع أسس المقاطعة الـــيهودية لألمانيا دون أن يضطروا لإجراء أي تعديل على سياستهم تجاه اليهود، أما الصهاينة فقد تم تهجير نحو ٥٢,٣٠٠ يهودي يشكلون نحو ٢٥% من مجموع المهاجرين اليهود إلى فلسطين خلال المدة الواقعة بين عامـــي ١٩٣٣م و ١٩٤١م، أنظـــر: المســـيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص ٨٩-١٠٥؛ غلوب، المصدر السابق، ص ١٧.

(٤) خلّفـــت الحـــرب العالمـــية الثانية نحو (٥٠) مليوناً من القتلى من مختلف دول العالم، منهم ١٧ مليوناً من السوفييت و٩ ملايين من الألمان، ولم يزد العدد الحقيقي للضحايا اليهود على مليون وربع على أكثر تقدير، أنظر: جارودي، المصدر السابق، ص ١٤١، ١٤٣، ١٤٨ .

أمـــا العداء للسامية، فقد استغلت الحركة الصهيونية هذا الزعم لإسكات أي جهة معارضـــة للصهيونية أو لسياسة الكيان الصهيوني، كما استخدم لمنع اليهود من الاندماج في حياة شعوب الأقطار التي يقطنونها[١].

ولعــل فـــي محاولـــة إخفاء الحركة الصهيونية لأهدافها الحقيقية في إقامة الدولة، والتركـــيز علـــى نقـــل المهاجرين إلى فلسطين والتوسع في الاستيلاء على الأرض، مع تقلـــيل الكلام ومزيد من السكوت عن الحدود أو الأقاليم التي تبتغيها الصهيونية، والرضا مؤقتاً بالقليل الممكن أفضل من الكثير المستحيل، لهو من أكثر الأساليب الصهيونية دهاءً وخبثاً وتمويهاً لتحقيق مكاسب أكبر بتكاليف أقل[٢].

وقـــد يكون في تزوير التاريخ وإدعاء أن هناك عرقاً يهودياً، ما يشير إلى تناقض نـــاجم عـــن طبـــيعة الحـــركة الصهيونية وعن تاريخ اليهود في أوروبا. فدعوة الحركة الصهيونية اليهود الذين يعود أصل غالبيتهم إلى شعب الخزر، للعودة إلى أرض أجدادهم، إن هـــي إلا دعـــوة باطل. لأن فلسطين لم تكن، أبداً، في أي مرحلة من مراحل التاريخ، أرض الخزر[٣].

أما محاولة سرقة التاريخ والتراث العربي، وانتحال دور إيجابي لليهود أثناء فترة الحـــروب الصـــليبية، ومحاولة اختلاق وجود تاريخي لهم على الأرض العربية، وامتداد أيديهم لسرقة التراث والفن والآثار والعادات والتقاليد العربية وتنسيبها إلى الصهاينة، لأمر يثير الدهشة والاستغراب لهذه الأساليب المضللة والملتوية لحقائق التاريخ والجغرافيا[٤].

فقد حاول المؤرخون الصهاينة القول بأن اليهود قد تصدوا للعدوان الصليبي على فلسطين وخصوصاً بيت المقدس دفاعاً عن مدنهم وقراهم، متناسين حقيقة انهم عاشوا في رحـــاب الحكم العربي الإسلامي كأقلية دينية كفل الجيش الإسلامي حمايتها بوصفها أهل

(١) هداوي، المصدر السابق، ص ٦٥.

(٢) رياض، المصدر السابق، ص ٨٧، ٨٨.

(٣) غلوب، المصدر السابق، ص ١١٩-١٢١، انظر أيضاً: سوسة، المصدر السابق، ص ٦٠٣-٦٠٦.

(٤) قاسم، رؤية إسرائيلية، ص٣٩.

ذمـــة، بالإضافة إلى عدم وجود كيان سياسي مستقل لهم آنذاك، كما لم يكونوا أهل حرب، ولم يكن لهم أي دور في استرداد فلسطين من أيدي الصليبيين كذلك[١].

وبعــد احتلال الصهاينة لفلسطين عام ١٩٤٨م، أخذ الصهاينة يشيرون إلى وجود أدب عــبري، وشعب اسمه الشعب "الإسرائيلي"، وان لهذا الشعب تراثاً شعبياً وفولكلوراً "إســرائيلياً"، وعــادات وتقالــيد يهودية، بل أنهم أخذوا يطرحون في الأسواق الأميركية والأوروبية الملابس، والحلي والمجوهرات، والمشغولات العربية، على أنها تراث يهودي و"إسرائيلي" [٢].

---

(١) قاسم، رؤية إسرائيلية، ص ٣٥-٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٩-٤١.

الموقف الإسلامي والعربي من الحركة الصليبية

استغرقت الحركة الصليبية نحو قرنين من الزمان حدثت فيها تغييرات سياسية، ووقعت تطورات عديدة، ودارت فيها أحداث كثيرة شكلت في مجموعها تاريخ المواجهة مع العدوان الصليبي. وقد يكون من الممكن تقسيم هذه الفترة، من وجهة نظر الجبهة الإسلامية، إلى مراحل ثلاث[١]. المرحلة الأولى تبدأ مع بداية الحركة الصليبية عام ١٠٩٥م[٢]، وتنتهي سنة ١١٧١م، وهي السنة التي سقطت فيها الخلافة الفاطمية في مصر[٣]. وفي هذه المرحلة كانت الجبهة الإسلامية بصورة عامة ضعيفة وممزقة، نظراً إلى الإنقسامات الحادة التي حكمت العلاقات بين القوى الإسلامية المتعددة[٤]. غير أن هذا الضعف لم يكن على وتيرة واحدة، فقد كان هناك اختلاف في هذه المرحلة في مستوى القوة بين بدايتها ونهايتها؛ تدرجت فيها الجبهة الإسلامية إلى أن وصلت من القوة ما مكنها من إسقاط إمارة الرها الصليبية على يد عماد الدين زنكي عام ١١٤٤م[٥].

أما المرحلة الثانية فإنها تبدأ من العام ١١٧١م، تاريخ تأسيس الحكم الأيوبي في مصر، وتنتهي سنة ١٢٥٠م، وهي السنة التي انتهى بها العهد الأيوبي، وبدأ فيها عهد المماليك[٦]. وقد سجلت هذه المرحلة في بدايتها تغيراً واضحاً لصالح الجبهة الإسلامية، برز في الوحدة بين مصر وبلاد الشام تحت قيادة صلاح الدين الأيوبي، وتوجت بتحرير بيت المقدس وتخليصه من الحكم الصليبي[٧]. غير أن موازين القوى في نهاية هذه المرحلة تغيرت لصالح الصليبيين، بفعل الإنقسامات التي جرت بين خلفاء صلاح الدين،

---

(١) أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، المقدمة، ص٣.

(٢) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٦٩.

(٤) أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٤-١٦؛ جوني، المصدر السابق، ص٣٠-٥٨.

(٥) ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص٦٩؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص٤٦٧، أنظر أيضاً:

Wise, The wars of the crusades, p.21.

(٦) Ibid, p. 28 .

وأنظر أيضاً:

Prawer, the latin kingdom of Jerusalem, p. 32.

(٧) أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص٥، أنظر أيضاً:

Wise, Op. cit, p. 23.

وكــان مــن نــتائجها اخــتفاء الوحدة التي ظهرت بها الجبهة الإسلامية في عهد صلاح الدين[1].

أمــا المرحلة الثالثة، فهي التي تبدأ من سنة ١٢٥٠م بداية عهد المماليك، وتنتهي بطــرد الصــليبيين كلــياً من بلاد الشام عام ١٢٩١م. وقد سجلت هذه المرحلة تغيراً في موازيــن القــوى لصــالح الجبهة الإسلامية بصورة حاسمة، ظهر جلياً من خلال هزيمة المغول في معركة عين جالوت عام ١٢٦٠م[2]، والتصدي للوجود الصليبي في بلاد الشام ثم القضاء عليه نهائياً[3].

وجديــر بالقول أن الجبهة الإسلامية كان يمكن لها أن تحيل الموقف لصالحها لو أنهــا اتحــدت وتمكنــت مــن القضاء على عوامل الفرقة والتجزئة والخلافات السياسية والمذهبية التي كانت تكبل قدراتها، والتي مكنت الصليبيين في البداية من تأسيس إماراتهم، ثم مكنتهم من القيام بعمليات التوسع اللاحقة على حساب الإمارات الإسلامية، ومكنتهم في النهاية من فرض وجودهم بأبعاده الجغرافية على المشرق العربي الإسلامي برمته[4].

غــير أن هذا لا يعني أن القوى الإسلامية وقفت متفرجة منذ بداية الغزو الصليبي إلا في بعض الحالات. إذ إن الواقع يقول إن حركة العدوان الصليبي في مراحله كافة قد جوبه بمقاومة من جانب المسلمين تفاوتت درجاتها من مكان لآخر وكان أبرزها المقاومة الإســلامية الباسلة التي أبدتها مدن أنطاكية [5] والقدس[6]، وفي مراحل لاحقة طرابلس[7]

---

(١) أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص٥.

(٢) المقريزي، السلوك، ج١، ص٥١٦-٥١٧؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٩٠١.

(٣) أبــو الفــدا، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود، المختصر في أخبار البشر، ج٣، المطبعة الحسينية المصــرية، ط١، د.ت، حوادث سنة ٦٩٠هــ، ولمزيد من التفاصيل عن الحرب الشاملة التي شنها المماليك ضد الصليبيين، أنظر: عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٩٠٨-٩٣٦.

(٤) أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٢٤، ١٧٠-١٧١، ٢١٤.

(٥) عن سير الأحداث في أنطاكية، أنظر: عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٥٠-١٧٥؛ أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٣٢-١٤٤.

(٦) عن سير الأحداث في بيت المقدس، أنظر: عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٨٧-١٨٩.

(٧) عن سير الأحداث في طرابلس، أنظر: أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٦٠-١٦٢.

وعكا[١]، وكذلك حركة الجهاد الإسلامي التي قادها كل من عماد الدين زنكي وخليفته نور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي، والظاهر بيبرس.

ويمكن القول إن المسلمين في مراحل المقاومة الأولى قد قاتلوا فرادى[٢]، واتسمت حركة الجهاد ضد الصليبيين بالجهود المتفرقة، على الرغم مما أبدته بعض المقاومة من بسالة وشجاعة وقوة وبأس، لدرجة أن سقط بعض رموز قادة الحرب الصليبية الأولى وزعماؤها، أمثال بوهيموند الأول، وبلدوين، وجوسلين، أسرى في أيدي المسلمين[٣].

على أن افتقار المسلمين إلى الوحدة، وتغلب المصالح الشخصية والأسرية والعنصرية، فضلاً عن الحاجة إلى زعيم قوي يقود الأمة الإسلامية ويوحدها، كل ذلك أطال أجل الإمارات الصليبية[٤]. كما أن نظر أمراء سوريا إلى القوات المرسلة لنجدتهم كخطر كبير يهدد مصالحهم واستقلال كياناتهم، قد دفع بعضهم إلى عقد تحالفات مع الصليبيين أو مع البعض منهم ضد البعض الآخر[٥].

كما أن بعض القوى المحلية كالموارنة والدروز والأرمن وفرق الباطنية[٦] وإمارة بني مزيد وعلى رأسها أميرها دبيس بن صدقة[٧]، كان لهم دور بارز في التحالف مع الصليبيين وتقديم العون والمساعدة لهم والتآمر على المسلمين.

---

(١) عن سير الأحداث في مدينة عكا، أنظر: عاشور ، الحركة الصليبية، ج٢، ص٦٧٠-٦٨٣.

(٢) قلعجي، المصدر السابق، ص٨٥.

(٣) رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص٧.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٧.

(٥) كاهن، المصدر السابق، ص١١٩.

(٦) أطلق المؤرخون على هذه الفرقة عدة أسماء منها: النزارية، نسبة إلى نزار بن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، ومنها: الحشاشون، نسبة إلى مادة الحشيش المخدرة. وقد تركز عمل هذه الطائفة على مناهضة الخلافة العباسية، وعلى القيام بعمليات اغتيال واسعة لأكابر القادة والشخصيات الإسلامية، أنظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٠١؛ أبو شامة، الروضتين، ج١، ص٥٧؛ حامد غانم زيان، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٨٧-٩٧.

(٧) عن دور دبيس بن صدقة في تحالفه مع الصليبيين، أنظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص٢٢٢، وأنظر أيضاً: مسفر بن سالم الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر (٤٩١-٥٦٩هـ/١٠٩٧- ١١٧٣م)، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ١٩٨٦، ص٧٧-٨٠.

ومـــع أن عقــد التحالفات مع الصليبيين لم يقتصر على حقبة معينة أو فئة معينة طــوال فــترة الوجود الصليبي في المشرق العربي الإسلامي، فإن الحرب لم تتوقف ضد الصـــليبيين منذ أن وطئت أقدامهم الأرض العربية. وكان أول اصطدام لهم بالمسلمين مع ســلاجقة الـــروم في الأناضول التي تعتبر المعبر البري المباشر نحو بلاد الشام، فكانت هـــناك معـــركة كبيرة في سهل ضوريليوم في الأول من تموز سنة ١٠٩٧م(١)، هزم فيها الأتراك، وكانت بمثابة إعلان للعالم بظهور قوة جديدة على مسرح الشرق الأدنى هي قوة الصـــليبيين الذيـــن أثبـــتوا تفوقهـــم على قوة الأتراك التي طالما عجزت أمامها الجيوش البيزنطية(٢).

ومع أن السلاجقة قاموا في محاولة أخيرة لهم لصد الصليبيين عند هرقلة، غير أن محاولتهم باءت بالفشل(٣)، وبذلك يكون نفوذ السلاجقة قد تحطم في الجزء الأعظم من بلاد الأناضول، نتيجة الهزائم التي لحقت بهم. غير أن سلاجقة الروم لم يكونوا على أية حال القـــوة الرئيسية في الجبهة الإسلامية، كما أن الإنتصارات الصليبية فيها، لم تؤد إلى قيام إمارات صليبية(٤)، وإنما آلت المناطق التي انتزعوها من سلاجقة الروم إلى الإمبراطورية البيزنطية(٥).

وبعـــد احتلال الصليبيين لمدينة مرعش، زحفوا منها في أواخر عام ١٠٩٧م نحو مديـــنة أنطاكـــية الحصـــينة، وكـــان ذلك بداية للمعركة القادمة بين الجبهتين الإسلامية والصـــليبية والتـــي ســـوف تسفر عن نتائج مصيرية سيتوقف عندها مواصلة الصليبيين لـــزحفهم جنوباً إلى حيث هدفهم النهائي في بيت المقدس، أو أنهم سيجرون أذيال الهزيمة والفشل.

---

(١) Wise, The wars of the crusades, P. 18.

(٢) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٣٠-١٣١.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص١٣١.

(٤) أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٣١.

(٥) هـــي مـــناطق نيقية وقونية وقليقية، وقيصرية، ومرعش، أنظر: الشارتري، المصدر السابق، ص٤٦-٥٠، وانظر أيضاً: عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٣٢.

ولمـا كـان صـاحب أنطاكية "ياغي سيان" لا يستطيع مواجهة الحشود الصليبية بإمكاناتـه الذاتـية، فقد طلب العون والمساعدة من الإمارات المجاورة[١] وقام هو بعمل الإسـتعدادات اللازمة لمواجهة الصليبيين. وعندما وصل الصليبيون إلى المدينة فرضوا علـيها حصـاراً دام سـبعة أشهر- من ٢١ تشرين أول سنة ١٠٩٧م حتى ٣ حزيران ١٠٩٨م[٢]- سـقطت بعدهـا مدينة أنطاكية بيد الصليبيين بعد قتال عنيف مع حاميتها، وبسـبب خـيانة أحد الأرمن فيها. وعندما وصلت القوات الإسلامية بقيادة كربوغا لنجدة المديـنة[٣]، كانت أنطاكية قد سقطت بأيدي الصليبيين، فما كان من كربوغا إلا أن فرض حصاراً محكماً على الصليبيين بداخلها، دفع بقادتهم إلى أن يطلبوا منه الأمان الذي رفضه أيضاً، فأضاع بذلك الفرصة التي كانت ستغير مسار الحملة الصليبية الأولى[٤].

ومهمـا يكـن مـن أمر، فقد كان على الصليبيين أن يخوضوا القتال للخروج من المـأزق الذي كانوا فيه، فهاجموا المسلمين الذين كانوا يعانون الكثير من عوامل الضعف والـتفكك والشك فيما بينهم[٥]، فانهزموا أمام الصليبيين دون قتال. وقد أمّن هذا الإنتصار للصـليبيين علـى القوات الإسلامية السيطرة على أنطاكية وشمال سورية، وحررهم مدة عشـر سنوات من التعرض لأي هجوم عسكري على المستوى الذي قاده كربوقا[٦]، كما أمّـن لهم هذا الإنتصار ثانية الإمارات الصليبية، على أنقاض الحكم الإسلامي. ومن جهة

---

(١) طلـب ياغـي سيان المساعدة من دقاق ملك دمشق، وجناح الدولة، أمير حمص، وكربوغا أتابك الموصل، وسلطان السلاجقة والخليفة العباسي، أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٤؛ أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٣٣.

(٢) حدد ابن الأثير مدة الحصار بتسعة شهور، أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج١٠، حوادث سنة ٤٩١هـ.

(٣) كانـت القوات الإسلامية مكونة من قوات كربوقا حاكم الموصل، ودقاق حاكم دمشق ومعه طغتكين أتابك، وجـناح الدولـة صـاحب حمـص، وأرسلان تاش صاحب سنجار، وسليمان بن أرتق، ووثاب بن محمود المرادسي وغيرهم، أنظر: المصدر نفسه، ج١٠، ص٢٧٦.

(٤) المصدر نفسه، ج١٠، ص٢٧٦؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٦.

(٥) لـم يسـهم رضـوان حـاكم حلب بقواته في مساندة ياغي سيان، لانحياز الأخير إلى جانب أخيه دقاق في الصـراع الـذي كان دائراً بينهما. كما ساور دقاق الشك في محاولات كربوقا جلب رضوان إلى جانبه في القـتال، فشعر بالخوف على دمشق. وكان أمير حمص، جناح الدولة يتوجس خيفة من انتقام يوسف بن أبق، أمـير الرحبة ومنبج، حليف رضوان، كما سيطرت العنصرية على القوات الإسلامية بين العرب والأتراك، أنظر: عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٦٤.

(٦) سميل، المصدر السابق، ص٥٨.

ثانـــية يمكن القول إن محاولة كربوغا منع أنطاكية من السقوط بيد الصليبيين كانت أيضاً نقطة البداية في بعث فكرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين.

ومع سقوط أنطاكية، أصبحت الطريق سالكة أمام الصليبيين صوب بيت المقدس، حيـــث فـــرض الصـــليبيون علـــيها حصاراً دام نحو خمسة أسابيع، أبدت خلاله حاميتها وأهالي المدينة مقاومة عنيفة، ما لبث أن سقطت بعده المدينة في الخامس عشر من تموز ١٠٩٩م[١] بـــيد الصـــليبيين الذيـــن لم يصطدموا بأي جيش مسلم في الجوار سواء خلال مسيرتهم نحو المدينة المقدسة أو في أثناء حصارها[٢].

أمـــا الخلافـــة العباســـية فـــي بغداد فقد كانت خاضعة لنفوذ السلاجقة قبل قدوم الصليبيين إلى بلاد الشام، وبسبب تجريد الخليفة من أي قوة عسكرية يستطيع بها الوقوف فـــي وجـــه خصومه، لم تستطع الخلافة العباسية القيام بأي دور فعال في الدفاع عن مدن الشام والجزيرة التي أخذت تنهار واحدة تلو الأخرى تحت ضربات الصليبيين[٣]. على أن هـــذا لا يعني بقاء الخلافة العباسية في موقع المتفرج من الأحداث التي كانت تجري، بل أنهـــا قامـــت بإحالة طلبات الاستغاثة التي كانت تجيئها نتيجة استنجاد المسلمين بها ضد الصليبيين إلى السلطان السلجوقي[٤].

غير أن هؤلاء السلاطين كانوا مشغولين عن التصدي للصليبيين بأمور النزاعات الداخلية بينهم، وكل ما كانوا يفعلونه هو أن يعهدوا لأحد أتباعهم الذين كانوا يحكمون في منطقة الجزيرة ليقوم بمهمة قتال الصليبيين[٥].

---

(١) مولر، المصدر السابق، ص١٤.

(٢) سميل، المصدر السابق، ص٥٨.

(٣) الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين، ص١٠٥، ١٠٦.

(٤) خـــرج أهـــل الشـــام وبيت المقدس إلى بغداد على أثر استيلاء الصليبيين على بيت المقدس لشرح الموقف للخلـــيفة العباســـي المســـتظهر بالله، فعرض الامر على السلطان بركياروق ابن ملكشاه، فلم يعمل على دفع الخطـــر ولا حتى إرسال نجدة إلى الشام، أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٤، كذلك الحال عند طلب فخـــر الملك بن عمار صاحب طرابلس، النجدة ضد الصليبيين الذين كانوا يحاصرون طرابلس، فلم يجد من الخلـــيفة المستظهر بالله والسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه سوى معسول الكلام. أنظر: المصدر نفسه، ج ١٠، ص٤٥٢، ٤٨٣.

(٥) المصدر نفسه، ج١٠، ص٤٨٣؛ أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص٢٣٥، ٢٣٦– ٢٣٧.

أمـا الخلافة الفاطمية في مصر التي كانت تعيش في ظروف سياسية واقتصادية صـعبة للغاية، فلم تقم هي الأخرى بدور حاسم في مواجهة الصليبيين الذين انتزعوا منها بيـت المقدس وطرابلس. ليس هذا فحسب، بل أنهم أخذوا يوسعون نطاق سلطانهم، وذلك بالسـيطرة على المدن الساحلية التي كانت آنذاك خاضعة للنفوذ الفاطمي، حتى أنه لم يبق تحت سيطرتهم سوى مدينة عسقلان[١].

ويـبدو أن الوزير الفاطمي الأفضل والذي كانت بيده مقاليد الأمور في مصر، لم يـدرك حقيقة الحركة الصليبية في بادئ الأمر، بدليل عدم محاولته الإنضمام إلى القوات الإسـلامية التي تزعمها كربوغا التي جاءت لنجدة أنطاكية ومنع سقوطها بيد الصليبيين، بل أنه وقف والخليفة الفاطمي المستعلي بالله موقف المتفرج بعيداً عن النزاع مع قدرتهما علـى الرجال والمال والسلاح[٢]. على أن الأفضل لم يقف عند هذا الحد من التقاعس بل استغل انشغال السلاجقة بمشكلاتهم الداخلية، وفي مواجهتهم للصليبيين، فسار سنة ١٠٩٨م علـى رأس جيش كبير واستولى على مدينة القدس التي كانت خاضعة لنفوذ السلاجقة[٣]. كمـا حـاول الأفضل بذل كل جهد ممكن لعقد تحالف مع الصليبيين ضد العدو المشترك للطرفين وهم السلاجقة، وأرسل لهم رسله عارضاً عليهم تقسيم بلاد الشام فيما بينهم[٤].

غير أن الأفضل ما أن سمع بمسيرة الصليبيين نحو بيت المقدس حتى خرج على رأس قـوات كبـيرة بقصد منعهم من دخول المدينة، إلا أنه لم يستطع الوصول إلى بيت المقـدس، إذ فاجـأه الصليبيون بعسقلان وأنزلوا به هزيمة ساحقة[٥]. وقد كان لانتصار الصـليبيين في هذه المعركة على الفاطميين أثره البالغ في القضاء على هيبة الفاطميين، بفلسطين، وأصبحت يد الصليبيين طليقة فيها بعد انتصارهم في عسقلان.

---

(١) الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين، ص٩٠، ١٣٢-١٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٩؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٤٧.

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٥؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٥٦.

(٤) عـرض الأفضـل على الصليبيين بعد القضاء على السلاجقة، أن يكون القسم الشمالي (سوريا) للصليبيين، والقسم الجنوبي (فلسطين) للفاطميين، أنظر:

- Setton, A history of the crusades, vol.1, p.315-316.

(٥) دارت المعركة بين الطرفين في ١٢ آب ١٠٩٩، قتل فيها نحو عشرة آلاف نسمة، ونهب المعسكر، أنظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٧؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٢٠٢، ٢٠٣.

على أن الأفضل بالرغم من هذه الهزيمة، لم يتوقف عن إرسال الجيوش من مصر إلى الشام كل عام تقريباً، ولم يبخل بكل امكاناته، ولم يضنّ حتى بأولاده في الخروج إلى الشـــام للجهـــاد[1]. ولعل في الحملة العسكرية الرابعة التي شارك فيها الجند الشامية التي أرســـلها طغتكين صاحب دمشق لنجدة سنان الملك بن الأفضل الذي كان على رأس هذه الحملة، أول عملية مشتركة بين المسلمين في مصر والشام ضد الصليبيين[2]، وكانت هذه آخـــر محاولـــة كـــبرى قـــام بها الأفضل ضد الصليبيين، ترتب على نتيجتها تغيير في الاســـتراتيجية الفاطمية التي تحولت من الهجوم إلى الدفاع عما تبقى من معاقل الفاطميين بـــبلاد الشـــام، واقتصرت عملياتهم على شن الإغارات على بعض المراكز الصليبية من مدينة عسقلان[3].

وقـــد قوبل هذا الأسلوب بأسلوب مضاد من الصليبيين، الذين عمدوا بقيادة بلدوين الأول، ملك بيت المقدس، بالإغارة على مصر في العام ١١١٨م، فعبر الصحراء من غزة إلـــى العـــريش حـــتى وصل إلى الفرما واستولى عليها[4]، وكان من نتيجة ذلك أن غير الفاطمـــيون اســـتراتيجيتهم الجديدة، فبعد أن كانت تستهدف زعزعة الوجود الصليبي من خلال الإغارات، أصبحت ترمي إلى حماية مصر ضد الخطر الصليبي. وقد اقتضت هذه الإســـتراتيجية مـــن الفاطميـــن أن يدعموا وجودهم في مدينة عسقلان إلى أقصى درجة ممكنة، لتتمكن من الوقوف في وجه أي محاولة للزحف الصليبي على مصر [5].

ويمكـــن القول إن الفاطميين على الرغم من موقفهم المتدهور تجاه الصليبيين، فقد ظلـــوا في مواجهتهم للصليبيين بعيدين عن الإلتقاء مع القوى الإسلامية الأخرى، كما أن

---

(١) خرجت خمس حملات مصرية في الأعوام ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٥، ١١٢٣م، كان على رأس الحملة الثانية ابن الأفضل شرف المعالي، كما كان ابنه سناء الملك على رأس الحملة الرابعة في العام ١١٠٥م، وقد انهزم الجـيش المصـــري في جميع هذه المعارك باستثناء الحملة الثانية، وقد شارك طغتكين في قواته مع الحملة الرابعة، أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦٤، ٣٦٥، ٣٩٤، ٣٩٥؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٤١، ١٤٨؛ الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين، ص١٢٣-١٢٧.

(٢) ابـــن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٨-١٤٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٩٤؛ الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين، ص١٢٦.

(٣) أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص٢٢٢.

(٤) أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٧١؛ رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص١٦١-١٦٢.

(٥) أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص٢٢٣.

الميدان الجنوبي الذي عمل فيه الفاطميون ضد الوجود الصليبي لم يؤد إلى نتيجة بالنسبة للجبهة الإسلامية، بل على العكس من ذلك استطاع الصليبيون فرض سيطرتهم على المنطقة الساحلية، وانتزاع آخر معقل فاطمي وهو مدينة عسقلان سنة ١١٥٣م، وبذلك أصبحت مصر نفسها واقعة تحت رحمة الصليبيين.

أما عن مراكز المقاومة الإسلامية في بلاد الشام وما كان يمكن أن تقوم به في سبيل حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين[١]، فقد كان النزاع القائم بين الفاطميين والسلاجقة قبيل الحملة الصليبية الأولى أكبر عقبة أمام توحيد الجبهة الإسلامية هناك. يضاف إلى ذلك ما قام من نزاع بين الأخوين دقاق ورضوان ابني تتش اللذين اتخذا من دمشق وحلب مركزين لإثارة الفتن والشقاق بينهما في بلاد الشام[٢].

وعلى الرغم من هذا الإنقسام والتفكك، فقد وقفت أتابكية دمشق موقفاً مضاداً للصليبيين منذ وصولهم إلى أرض الشام. فقد شارك دقاق وأتابكة ظهير الدين طغتكين في فك الحصار عن أنطاكية[٣]، كما كان طغتكين يقدم العون والمساعدة إلى جميع المدن القريبة منه لإنقاذها من الخطر الصليبي[٤]، كما أنه لم يبخل عن تقديمها للفاطميين أنفسهم عندما طُلب منه ذلك. غير أن خطر الصليبيين كان يهدد دمشق نفسها وما يحيط بها، فكانت منطقة السواد وحوران والجولان من أكثر المناطق عرضة للإغارات والغزوات الصليبية، وكان نتيجة ذلك أن قام بين الطرفين العديد من الهُدن والإتفاقات، وكانت أول اتفاقية هدنة وسلام بين الطرفين عام ١١٠٨م أمدها أربع سنوات[٥].

وعلى الرغم من انضمام طغتكين إلى حلف مع قوات مودود صاحب الموصل في العام ١١١٢م، إلا أن مقتل مودود بدمشق سنة ١١١٣م، الذي اتهم طغتكين في تدبيره،

---

(١) الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين، ص١٣٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٦.

(٣) الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين، ص٤٢-٥٥؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص١٢٥-١٢٦.

(٤) قدمت دمشق في عام ١١٠٢م، معونة عسكرية إلى صاحب طرابلس فخر الملك بن عمار، كما سارع العسكر الدمشقي لنجدة صيدا عندما حاصرها بلدوين الأول سنة ١١٠٨م، كما هبت دمشق لنجدة حلب عندما هاجمها الصليبيون سنة ١١١٧م، أنظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٠، ٢٢٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣٤٤؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص١٨١.

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٤؛ جوني، المصدر السابق، ص١٢٧.

أثــار علــيه السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه، مما اضطره إلى التحالف مع الصليبين للوقوف في وجه القوات التي أرسلها السلطان، الأمر الذي يؤخذ فيه عليه[1]. ومن هنا لا يمكننــا الحديــث عــن سياسة إسلامية شامية واحدة، إذ ارتبطت هذه السياسة بالمصالح الآنــية لأتابكــية دمشق، فتارة تأخذ بسياسة معاداة الصليبيين، وتارة أخرى تأخذ بسياسة السلم والمهادنات واقتسام دُخل البلاد الواقعة بين الطرفين[2].

أمــا حلــب، فقد وقف أميرها رضوان من الصليبيين في أثناء حصارهم لأنطاكية موقفاً سلبياً، ولم يسهم بقواته في مساندة ياغي سيان. على أن سياسة التوسع الصليبي التي تبنــتها إمــارة الرها الصليبية في بعض المناطق المحيطة بها في الجزيرة وشمال الشام، وكذلــك سياسة التوسع العدواني لأمارة أنطاكية الصليبية ضد إمارة حلب، جعلت من كل من مدينتي الموصل وحلب مركزاً من مراكز المقاومة الإسلامية[3].

ويمكــن القول إن حلب كانت في كثير من الأحيان أضعف من القوات الصليبية، وإن الإنتصارات القليلة التي أحرزتها كانت مرتبطة بمساندة بعض القوى الإسلامية لها، وخاصة في الجزيرة. ولكن، وعلى الرغم من هذا ظلت إمارة حلب بصمودها في مواجهة الضــغوط الصــليبية عليها، تشكل موقعاً متقدماً من الجبهة الإسلامية كانت له فوائده في مراحل لاحقة[4].

أمــا الإمــارات العربــية التــي كانت تزخر بها بلاد الشام في أثناء مقدم الحملة الصــليبية الأولى كإمارة بني عمار في طرابلس وبني منقذ في شيزر، فقد حرصت على بقائهــا أكــثر من حرصها على الإنضمام لأي من القوى الإسلامية التي تصدت للخطر الصليبي[5]، فعمدت إلى الإتصال بالصليبيين، وعرضت عليهم المسالمة والموادعة[6]، كما

---

(١) تحــالف طغتكيــن مــع الصليبيين واستطاعوا هزيمة القوات المسلمة بقيادة البرسق بن برسق الذي أرسله السلطان محمد إلى أرض شيزر سنة ١١١٥م، أنظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص١٧٥.

(٢) جوني، المصدر السابق، ص١٢٩، ١٤٥.

(٣) أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٨٢، ١٨٣.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص١٩١.

(٥) الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين، ص١٣٦.

(٦) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٧٩.

قدمت إليهم الدلالة والميرة والأموال[١]. وهكذا نجد أن موقف الإمارات العربية كان سلبياً تجاه الصليبيين بعكس الأتراك الذين عملوا على قتالهم منذ البداية.

أمـــا موقف إمارة الموصل، فعلى الرغم من أن الفشل السياسي في توحيد الجهود الإســـلامية تجاه الخطر الصليبي كان يؤدي أيضاً إلى مزيد من الإخفاقات العسكرية، فإن الـــرأي العام الإسلامي بدأ يضغط بقوة على الحكام. فحين فشلت المقاومة الإسلامية على محـــوري القاهرة ودمشق في التصدي للعدوان الصليبي الذي وصل إلى أقصى اتساع له خلال جيلين، بدأت الجماهير الإسلامية وخاصة بعد تدفق اللاجئين إلى سائر مناطق بلاد الشـــام في أعقاب الغزو الصليبي، يثير مشاعر الإستياء ضد القيادات الإسلامية. وقد عبّر الناس عن مشاعرهم في البداية من فوق منابر المساجد، ثم سرعان ما تحولت إلى حركة شعبية ضاغطة تدعو إلى الجهاد وتحرير الأقصى، بحيث لم يعد في مقدور الحكام تجاهل هذه النداءات[٢].

وفـــي ظل هذا البعث الفكري للجهاد، ظهر عماد الدين زنكي ليقود حركة الجهاد ضـــد الغزاة الصليبيين ولكن هذه المرة على محور جديد هو محور الموصل- حلب، بدلاً مـــن محور- القاهرة- دمشق[٣]. وقد رأى زنكي ما لإمارة الرها من أهمية بسبب موقعها الإســـتراتيجي، وما تشكله من أخطار جسيمة على المسلمين في الجزيرة وشمال العراق، فشن هجوماً ناجحاً عليها واستولى عليها عام ١١٤٤م.

وعندما توفي عماد الدين سنة ١١٤٦م خلفه ابنه ووريثه نور الدين محمود، الذي تملك دمشق في العام ١١٥٤م، وبذلك تم توحيد الجبهة الإسلامية في الشام والجزيرة على يد رجل قوي واحد[٤]، كما تم حشد الموارد البشرية والاقتصادية والثقافية كافة لدعم هذه الجـــبهة. وبســـبب تماسك هذه الجبهة وصلابتها، اتجه الصليبيون جنوباً إلى مصر حيث كانت الظروف مواتية لتحركهم.

---

(١) Wise, The wars of the crusades, P. 19.

(٢) براور، المصدر السابق، ص٦٨، ٦٩.

(٣) قاسم، رؤية إسرائيلية، ص١٨.

(٤) سميل، المصدر السابق، ص٦٥، أنظر أيضاً: Prawer, The latin kingdom of Jerusalem, p. 24, 25.

ولما كانت مصر بمواردها الهائلة كفيلة بترجيح كفة من يستولي عليها، أو يضمها إلـــيه، فقـــد هاجم الصليبيون غزة سنة ١١٥٠م في إشارة واضحة لاتجاههم نحو مصر. وحينما هاجم الصليبيون العريش سنة ١١٦١م، كان ذلك تعبيراً عن اختلال موازين القوى علـــى الجـــبهة الجنوبية لصالح الصليبيين[١]. وأخيراً حانت الفرصة للتدخل الصليبي سنة ١١٦٣م عـــندما لجأ أحد الوزيرين المتنافسين على السلطة في مصر وهو "ضرغام" إلى الملـــك عموري الأول، ملك بيت المقدس طالباً مساعدته، في حين لجأ الآخر "شاور" إلى نـــور الديـــن محمود، وقد كان ذلك مدعاة لغزو الصليبيين مصر خمس مرات في خلال السنوات الست التالية [٢].

وفـــي الحقيقة، إذا كان الصليبيون قد طمعوا في ضم مصر أو تحييدها، فإن نور الديـــن محمـــود قد أدرك أن لا سبيل لتحقيق النصر على الصليبيين بدون مصر. ونتيجة لذلـــك، فقد دار القتال بين المسلمين والصليبين على أرض مصر، مما دفع بالأخيرين إلى الإنســـحاب على أثر ذلك. وقد أدت هذه الحملات الفاشلة للصليبيين إلى تقليص مواردهم البشـــرية والماديـــة، إضـــافة إلـــى تغيير الخريطة السياسية في مصر. إذ تولى الوزارة المصـــرية أســـد الديـــن شيركوه قائد القوات السورية التي قدمت لنجدتها[٣]. وبعد موت شيركوه سنة ١١٦٩م، خلفه ابن أخيه صلاح الدين الذي قضى على الخلافة الفاطمية نهائياً عام ١١٧١م، وتولى مقاليد الحكم في مصر[٤] منذ ذلك الحين.

ولكن توحيد الجبهة الإسلامية لم يتحقق سوى بعد وفاة نور الدين محمود وسيطرة صـــلاح الدين على الشام والعراق، وكانت آخر مرحلة من مراحل بناء الجبهة الإسلامية هـــي الإستيلاء على حلب سنة ١١٨٣م[٥]، وبعدها بدأ صلاح الدين استعداداته للمواجهة

---

(١) براور، المصدر السابق، ص٧٢.

(٢) تم غزو مصر من قبل الحملة الصليبية الخامسة والسابعة، أنظر: عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٢٣، كما غزاها الملك أميرليك أربع مرات(١١٦١-١١٦٨م)، أنظر: المصدر نفسه، ج٢، ص٧٦١.

(٣) لمـــزيد مـــن التفاصيل عن استيلاء نور الدين محمود على مصر، أنظر: الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين، ص٢٩٥-٣١١.

(٤) ابـــن الأثير، الكامل، ج١١، ص٣٤٢-٣٤٣؛ أبو شامة، الروضتين، ج١، ق٢، ص٤٣٦؛ عاشور، الحركة الصليبية ، ج٢، ص٥٦٩.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٦١٣، أنظر أيضاً:
Wise, The wars of the crusades, P. 23.

الشـــاملة مع الصليبيين، حيث كانت قمة انتصاراته في معركة حطين في ٢٥ ربيع الآخر ٥٨٣هـــ/ ٤ تموز ١١٨٧م[١]. وكانت هذه المعركة فاصلة في تاريخ الحروب الصليبية بين الجبهة الإسلامية والغزاة الصليبيين، ترتب عليها استعادة بيت المقدس في ٢٧ رجب ٥٨٣/ ٢ تشرين أول ١١٨٧م بعد احتلال دام ثمانية وثمانين عاماً[٢].

وجاء رد الفعل الأوروبي بسقوط القدس بقدوم الحملة الصليبية الثالثة التي لم تنجح ســوى باســترداد عكــا بعد معارك عنيفة، وانتهت بعقد صلح الرملة بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد في ٢ أيلول سنة ١١٩٢م[٣]. وبعد الهدنة بثلاث سنوات توفي صلاح الديــن في ٤ آذار ١١٩٣م وتفسخت دولته من بعده بين ورثته من أبناء البيت الأيوبي[٤]. ولم تلبث أخبار هذه الإنقسامات والنزاعات أن وصلت إلى الغرب الأوروبي، مما أغراهم بالقــيام بحملة صليبية جديدة هي الرابعة، التي خيبت آمال الصليبيين في المشرق العربي باتجاهها إلى القسطنطينية بدلاً من فلسطين[٥].

ومــع فشــل الحمــلات الصليبية السابقة، أدرك الصليبيون أن مصر هي مركز المقاومــة الإســلامية، وأن مفاتــيح بيــت المقــدس توجد في القاهرة[٦]، فجاءت الحملة الصــليبية المعــروفة بالخامسة بهدف الإستيلاء على مصر تحذوها الرغبة الجامحة من جانــب المــدن الإيطالية التجارية في السيطرة على السوق التجارية الرئيسة في حوض الــبحر المتوسط، وضرب المنافسة المصرية القوية لها. كما رأى الصليبيون في القضاء

---

(١)Finucane, soldiers of the faith, p.93.

وأنظر أيضاً: مولر، المصدر السابق، ص٢٢.

(٢) براور، المصدر السابق، ص٧٥.

(٣) عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٧٠٦.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن أحوال الدولة الأيوبية عند وفاة صلاح الدين، أنظر: المصدر نفسه، ج٢، ص٧١٨-٧٢٢، ٧٢٨-٧٢٩.

(٥) Setton, A history of the crusades, vol. 11, p. 117, 118, 169.

وأنظر أيضاً: عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٧٢٣.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٧٥٩.

علـــى مصر، أو تحييدها على الأقل، ضماناً للوجود الإستيطاني الصليبي[1]، غير أن هذه الحملة انتهت هي الاخرى بالفشل الذريع[2].

وممـــا يســـترعي الإنتباه هنا أن الملك الكامل عرض على الصليبيين إعادة مملكة بيـــت المقـــدس إلـــى مـــا كانت عليه في فلسطين قبل حطين سنة ١١٨٧م، مقابل جلاء الصليبيين عن مصر[3]، غير أن الصليبيين رفضوا هذا العرض. علاوة على ذلك، فقد قام الملك الكامل كما تورد المصادر التاريخية باستدعاء الإمبراطور فردريك الثاني لمساعدته علـــى مواجهـــة الأخطـــار الداخلـــية والخارجـــية التـــي تهدده وألـــحّ عليه بالحضور، واعـــداً إيـــاه بإعطائه بيت المقدس. فما كان من الإمبراطور المحروم من الكنيسة إلا أن حضـــر ونجـــح فـــي عقـــد اتفاقـــية مـــع هـــذا السلطان كان من أبرز شروطها عودة القـــدس إلـــى الصـــليبيين وذلك في ١٨ شباط سنة ١٢٢٩م[4]. غير أن السلطان الصالح نجـــم الديـــن أيوب الذي آل إليه حكم مصر استطاع بمساعدة الخوارزمية استردادها عام ١٢٤٤م[5].

وكانـــت آخـــر حملة صليبية كبرى هي التي قادها لويس التاسع ملك فرنسا ضد مصر سنة ١٢٤٨م، وانتهت بكارثة راح ضحيتها الجيش الصليبي برمته، وتم أسر الملك لويـــس نفسه[6]. ومنذ ذلك الحين أصمت أوروبا آذانها أمام كل النداءات التي جاءتها من الصليبين في الشرق طلباً للمساعدة.

---

(١) براور، المصدر السابق، ص٨٣.

(٢) عـــن تفاصيل الحملة الصليبية الخامسة وغزوها لمصر، أنظر: عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٧٥٩-٧٧٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٧٦٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ٧٩٩.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٣٣٧؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨٢٦.

(٦) قـــدر المؤرخـــون عدد القتلى الصليبيين في هذه المعركة بثلاثين ألفاً، غير الأسرى. أنظر: أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٢٤؛ عاشور ، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨٤٨.

وفي تلك الأثناء ولدت سلطنة المماليك في مصر والشام[1] الذي قدر لها أن تكون علـــى يـــد الظاهر بيبرس القوة الضاربة المدافعة عن العالم الإسلامي والتي تمكنت من هزيمة المغول في معركة عين جالوت الحاسمة.

وبعـــد القضـــاء علـــى الخطـــر المغولي في بلاد الشام، أحاط المصريون ببقايا المستوطنات الصليبية من كل اتجاه، وأخذ الوجود الصليبي يتلاشى شيئاً فشيئاً تحت وطأة الضـــربات الإســـلامية، فتم الإستيلاء على أنطاكية سنة ١٢٨٦م، وطرابلس ١٢٨٩م، ثم ســـقطت عكـــا آخر المعاقل الصليبية في بلاد الشام سنة ١٢٩١م[2]، وكان ذلك هو نهاية الوجود الصليبي في المشرق العربي الإسلامي الذي دام نحو القرنين من الزمان.

---

(١) عـــن ظروف نشأة دولة سلاطين المماليك وطبيعتها العسكرية، أنظر: قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصـــر الإجتماعـــي، عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، ١٩٧٩م، ص٩-٣١؛ محمود نديم فهيم، الفن الحربـــي للجـــيش المصـــري في العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م، ص١٢-٢٣، ٩٣- ١٢٦.

(٢) عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٩٠٨- ٩٣٦.

الموقف الإسلامي والعربي من الحركة الصهيونية

استمر الحكم العثماني للمناطق العربية في مشرقها ومغربها نحو أربعة قرون (١٥١٦-١٩١٨م) لم يُعرف فيها العرب من خلال كيانات سياسية ثابتة بل كانوا يُعرفون من خلال الإدارات الإقليمية (الولايات)(١). وما أن نشبت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م)، حتى خرجت الدولة العثمانية من الحرب، وقد خسرت جميع الأقاليم العربية(٢)التي كانت بحوزتها.

وعندما ركبت الحركة الصهيونية الموجة الإستعمارية الكبرى في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وتبنى الإستعمار زرع الكيان الصهيوني في جسد الأمة العربية لفصل مشرقه عن مغربه، كان الوطن العربي بمعظم أجزائه قد وقع في قبضة الإستعمار الأوروبي بأكمله، ولم يُستثن منه أي جزء من أجزائه (٣).

ونظرة إلى الصراع العربي- الصهيوني، نجده من أكثر الصراعات المعاصرة تعقيداً، ومن أطولها مدىً زمنياً، وذلك بسبب العوامل المركبة التي كونته وأسهمت في تطويره. فقد بدأ صراعاً بين الشعب الفلسطيني والغزاة الصهاينة، ثم تطور ليصبح عربياً- صهيونياً. كما اتسم هذا الصراع بالإستمرارية وبالإمتدادات الزمانية والمكانية(٤). ويعود السبب في ذلك إلى جوهر الصراع القائم بين الحق العربي من جهة وبين طبيعة المشروع الصهيوني القائم على التوسع من جهة أخرى، وإلى العامل التاريخي الذي يغذي الصراع بعناصر الإستمرار، إضافة إلى الإمتداد المكاني المرشح بالاتساع بانتساب

---

(١) الجميل، المصدر السابق، ص١٧٨.

(٢) انفصلت بعد الحرب العالمية الأولى، أبرز ثماني ولايات عربية عن الدولة العثمانية وهي: الموصل، بغداد، البصرة، الحجاز، حلب، دمشق، بيروت، اليمن. في حين وقعت معظم الولايات في المغرب العربي تحت حكم الإستعمار الفرنسي أو الإيطالي، أنظر: المصدر نفسه، ص٨٩-٩١، ١٧٩.

(٣) أنظر عن وقوع الوطن العربي تحت الإستعمار الأوروبي في: جريس، المصدر السابق، ج١، ص٤٤-٤٤٥؛ الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص٤٩-٥٠.

(٤) بدأ الصراع من عام ١٩١٧-١٩٤٨م بالمقاومة الشعبية الفلسطينية للمشروع الصهيوني بمشاركة شعبية عربية بشكل ما، تم تحول إلى صراع بين دول. وفي حرب ١٩٦٧م تطور الصراع المسلح ليصبح مركباً، إذ احتل الصهاينة بعض أراض لدول عربية أخرى، ولا يزال الصراع مرشحاً لانتساب عناصر جديدة اليه.

عناصـــر جديــدة إليه، ليس من السهل تعيينها وتحديد زمان اشتراكها[1]. كما أنه مرشح أيضـــاً للـــتطور بتأثير المتغيرات التي ستطرأ عليه في كل مرحلة من مراحل الصراع، والتـــي قـــد تأتيه من مصدرين رئيسين متضادين في الطبيعة والمفاهيم والأهداف، وهما: الأمن القومي العربي[2]، والأمن الصهيوني.

ولا شــك أن الأمـــن القومـــي العربي قد تعرض لمخاطر متنوعة من مصدرين: خارجـــي وداخلـــي. وتتمثل المصادر الخارجية في: الصهيونية، والتحالف الإستراتيجي بيـــن الولايـــات المتحدة والكيان الصهيوني، والنفوذ والهيمنة الأجنبية وخاصة من الدول الكبرى، فضلاً عن مطامع الدول المجاورة كتركيا وإيران مثلاً. أما المصادر الداخلية فقد يكـــون علـــى رأسها معضلة التنمية الإقتصادية والإجتماعية، ومشكلات الأقليات العرقية والدينية واللغوية [3]. ولا ريب في أن الأمن القومي العربي يشكل المعضلة الأساسية في حـــياة الأمـــة العربـــية، وإلى ضعفه أو غيابه تعود في معظم الأحيان جميع الإنتكاسات العربية.

على أن من الإنصاف القول أن ميزان القوى في الفترة (١٨٩٧-١٩٤٥م)، وبأي معـــيار لمـــيزان القـــوى، لا يمكـــن إلا أن ينتهـــي بـــتلك النتيجة التي آلت إليه القضية الفلســـطينية[4]. فقـــد تكاثفـــت القوى الأميركية والأووربية، بمختلف أنواعها ومفاهيمها وسياســـاتها وممارساتها الإستعمارية على مظاهرة المشروع الصهيوني، منذ بدء تنفيذه، ولغاية المشاركة في هزم العرب في بعض مراحله. إذ التقت مصالح أعظم قوتين وهما: الولايـــات المـــتحدة والاتحـــاد الســـوفيتي (سابقاً)، على الرغم مما بينهما من تباين في الأيدولوجيات والإستراتيجيات والسياسات، في تنفيذ المرحلة الأخيرة من وعد بلفور، وفي إلحاق الهزيمة بالجيوش العربية، وفي إحباط السياسات العربية في المجال الدولي[5]. على

---

(١) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ج١، ص٥٦٤.

(٢) الأمـــن القومـــي حســـبما أوردته دائرة المعارف البريطانية هو: "حماية الأمة من خطر القهر على يد قوة خارجية، أو هو دفع العدوان عن دولة معينة والمحافظة على كيانها، وضمان استقلالها والعمل على استقرار أحوالها الداخلية. ويعرفه هنري كيسنجر وزير الخارجية الأميركي السابق بأنه: "أي تصرفات يسعى المجتمع عن طريقها إلى تحقيق حقه في البقاء". أنظر: أحمد، المصدر السابق، ص٣٩.

(٣) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ج١، ص٥٦٥.

(٤) عن موازين القوى، أنظر: المصدر نفسه، ج١، ص٦٧-٧٦.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص١٥، ٦٦.

أن للسلبيات التي طُبعت بها بعض مواقف الدولة العثمانية والأقطار العربية وبعض الأطراف الفلسطينية ما ساعد على قيام الكيان الصهيوني، كما كان للفرقة والإنقسام والتناقضات العربية ما أسهم في بقاء هذا الكيان واستمراره.

موقف الدولة العثمانية

أصبحت فلسطين- كباقي بلاد الدولة العثمانية- ملجأً لليهود الهاربين من الإضطهاد في البلاد المسيحية في أواسط وشرق أوروبا وكذلك في روسيا أيضاً. وقد قُدر عددهم في فلسطين في القرن السادس عشر بعشرة آلاف نسمة حيث استقروا في مدينة صفد(١). غير أن هذه الأعداد بدأت بالتزايد بعد المذابح التي تعرض لها اليهود في روسيا على أثر اغتيال قيصرها سنة ١٨٨١م(٢).

ولئن كانت فلسطين تعتبر في نظر اليهود أرض الميعاد، فقد أصبحت أيضاً أرض الخلاص التي ينتظرون إقامة دولتهم فيها، كي تحميهم من الإضطهادات الدينية والعرقية وتعيد إليهم أمجادهم الغابرة. وكان على الدولة العثمانية صاحبة السيادة على فلسطين آنذاك، أن تخوض دفاعاً عنها صراعاً سياسياً مريراً ضد القوى الصهيونية والدول الأوروبية المناصرة لها.

ولما كانت الدولة العثمانية تمر بفترات عصيبة سببتها لها المشكلات العالقة كالديون الكبيرة لدول وبنوك أوروبا، والفتن العرقية والطائفية في أنحاء مختلفة من الدولة العثمانية، والإمتيازات الكثيرة التي كانت ممنوحة للدول الإستعمارية والتي جعلتها تتدخل في شؤونها الداخلية علاوة على تدخلها في سياستها الخارجية(٣)، كل ذلك أغرى الصهاينة على اختيار التوقيت المناسب لحركتهم، بحيث لم يعد بمقدور الدولة العثمانية الصمود طويلاً أمام ضغوطات الحركة الصهيونية والدول الأوروبية، فعملت في حدود إمكاناتها على الحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

---

(١) عبد العزيز محمد عوض، مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ص٤١.

(٢) عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية، ج٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٩٧٤.

(٣) عوض، المصدر السابق، ص١٥-١٦.

علـــى أن الســـلطان العثمانـــي عبد الحميد الثاني عندما لمس تدفق أفواج الهجرة الأولـــى ١٨٧٦-١٨٨١م علـــى فلســـطين، أصدر فرماناً ضد يهود الروس جاء فيه أن الحكومة العثمانية تبلغ جميع اليهود الراغبين في زيارة فلسطين بأنه من غير المسموح لهم الإستقرار فيها. ولكنهم يستطيعون الإنتقال إلى أقاليم أخرى في الدولة العثمانية شريطة أن يكونـــوا في أعداد قليلة، وأن يتجنسوا بالجنسية العثمانية، وأن يصبحوا من رعاياها، وأن يلـــتزموا قوانينها(١). كما أصدرت الحكومة العثمانية إلى متصرف القدس تعليمات تقضي بعـــدم الســـماح للـــيهود من جنسيات روسية وورومانية وبلغارية من الدخول إلى مناطق متصرفيته إلا للحج أو الزيارة فقط(٢).

وأمام ضغوط الدول الأوروبية المتزايدة أصدر الباب العالي سنة ١٨٨٤م تعليمات جديـــدة بـــالإذن بدخول اليهود إلى فلسطين من أجل زيارة الأماكن المقدسة شريطة أن لا تطـــول مدة إقامتهم عن ثلاثين يوماً(٣). على أن العواصم الأوروبية المتعاطفة مع اليهود ظلـــت تضـــغط على الباب العالي للتخفيف من هذا الشرط، فما كان من الباب العالي إلا إطالة المدة سنة ١٨٨٧م إلى ثلاثة أشهر بدلاً من شهر واحد(٤). وهذا يشير بوضوح إلى أن الحكومة العثمانية ظلت عند رأيها وهو منع الهجرة اليهودية إلى فلسطين أو الحد منها تحت ذرائع الأغراض الدينية. وفي السنة نفسها اتخذت الحكومة قراراً مكملاً للقرار الأول وهو تغيير الوضع الإداري لبيت المقدس برفعها سنة ١٨٨٧م إلى "متصرفية" خاصة تتبع الباب العالي مباشرة، وكان هدف الحكومة من هذا القرار هو إحكام المراقبة على الحد من هجرة اليهود إلى فلسطين(٥).

علـــى أن فساد الإدارة العثمانية، وتأثير نظام الضرائب المعمول به في الأراضي الفلسطينية، والرشاوي التي يقدمها المال الصهيوني للحكام الإداريين المحليين، علاوة على اســـتثمار الصـــهاينة اليهود لنظام الإمتيازات الممنوحة للدول الأجنبية في حماية رعاياها

---

(١) الشناوي، المصدر السابق، ج٢، ص٩٧٥.

(٢) كـــان هـــذا بالاتفـــاق مع الحكومة الروسية التي خشيت من اختلال التوازن نتيجة الهجرة الهيودية للأماكن المقدسة، أنظر: عوض، المصدر السابق، ص٤٩.

(٣) الشناوي، المصدر السابق، ج٢، ص٩٧٦.

(٤) المصدر نفسه، ص٩٧٧.

(٥) الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، المجلد الأول، ص١٢١-١٢٤.

ومنهم اليهود تحديداً، جعلت أمر التحايل على هذه التعليمات سهلاً، وحالت دون فعالية هذه القـيود[1]. فدخل فلسطين عدد كبير من اليهود، حتى بلغ عددهم في القدس سنة ١٨٩٠م عشـرين ألفـاً[2]. وقـد أثـارت كثرة أعداد المهاجرين اليهود وازدياد عمليات شرائهم الأراضـي حفـيظة وجهاء القدس، فرفعوا عريضة احتجاج إلى السلطات العثمانية سنة ١٨٩١م، حيث استجاب الباب العالي لهذا النداء وجدد القيود المفروضة على زيارة اليهود إلـى فلسطين في ٢٦ تموز ١٨٩١م، ثم أصدر في ٣٠ كانون الأول ١٨٩٢م قانوناً يحرم فيه بيع أراضي الحكومة إلى اليهود بكافة جنسياتهم حتى لو كانوا رعايا عثمانيين[3].

وبعد أن انعقد المؤتمر الصهيوني الاول عام ١٨٩٧م، كان على السلطان العثماني عـبد الحميد الثاني حتى نهاية حكمه عام ١٩٠٩م أن يواجه المؤامرات الصهيونية لتهويد فلسطين كخطوة أولى لإقامة الكيان الصهيوني فيها. فقد حاول هرتزل من خلال مساعيه الدبلوماسية المنظمة والمكثفة الحصول على البراءة الشرعية لإقامة الدولة الصهيونية في فلسـطين. وفـي سـبيل ذلك عرض على السلطان مبالغ مالية كبيرة وخاصة أن الدولة العثمانـية كانـت تعاني من مشكلات مالية هائلة[4]، غير أن السلطان رفض هذا العرض وقال قولته المشهورة: "لا أستطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي المقدسة، لأنها ليست ملكي، بل هي ملك شعبي، وقد قاتل أسلافي من أجل هذه الأرض ورووها بدمائهم، فليحتفظ اليهود بملايينهم"[5].

غير أن نطاق الحركة الصهيونية اتسع في خلال سنة واحدة بعد انعقاد مؤتمر بال، ولمـا شـعر السلطان عبد الحميد بتزايد أفواج المهاجرين اليهود إلى فلسطين، أصدر في

---

(١) أحمـد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، بغداد، ١٩٩٠م، ص٧٩، ٩١، ٩٤، ٩٥.

(٢) أبو عليان، المصدر السابق، ص٢٢٨.

(٣) الشناوي، المصدر السابق، ج٢، ص٩٨٠.

(٤) كتـب هرتـزل بتاريخ ١٥ حزيران ١٨٩٦ في مذكراته: "سوف نقدم للسلطان (٢٠) مليون جنيه استرليني لإصـلاح الأوضـاع الماليـة المتدهورة في تركيا، منها مليونان ثمناً لفلسطين، والباقي يمكن استخدامه في تحرير تركيا من الحماية الأوروبية وشراء سندات ديونها"، أنظر: هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٦٩.

(٥) النعيمـي، المصـدر السـابق، ص١٣٢، أنظر أيضاً: رفيق شاكر النتشة، السلطان عبد الحميد وفلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٣، ١٩٩١م، ص١٧٧.

تشـــرين الثاني عام ١٩٠٠ فرماناً يجدد فيه تحديد فترة الزائرين اليهود لفلسطين بمدة لا تـــتجاوز ثلاثة شهور[١]، وقد أثار هذا الإعلان حفيظة الصهيونية والدول المؤيدة لها مثل أمريكا وبريطانيا وإيطاليا. وكان رد الباب العالي أن فرمان سنة ١٩٠٠م ليس جديداً وإنما هو تجديد لفرمان سنة ١٨٨٧م.

علـــى أن أخطر المجالات التي امتد إليها النشاط الصهيوني في عام ١٩٠١م، هو قـــرار عقد أول مؤتمر صهيوني في فلسطين[٢]، وقد كان هذا المؤتمر بمثابة جس نبض لموقف الدولة العثمانية من عقد مؤتمرات صهيونية لاحقة في فلسطين، فقرر الباب العالي علـــى أثـــر ذلـــك وقف هذا النشاط، ولم ينعقد أي مؤتمر صهيوني في فلسطين بعد هذا التاريخ[٣]. على أن هرتزل عندما يئس من الحصول على فرمان من السلطان عبد الحميد الثانـــي حول الاستيطان في فلسطين، لجأ إلى أسلوب جديد أضفت عليه الصهيونية طابعاً ثقافياً هذه المرة، فقد تقدم هرتزل إلى السلطان في ٣ أيار ١٩٠٢م يطلب منه إنشاء جامعة عبرية في القدس، كان الهدف المبطن منها إنشاء مركز إشعاع سياسي ثقافي صهيوني في فلســـطين، علـــى عكـــس الدوافع النبيلة التي صورها هرتزل للسلطان، غير أن السلطان رفض هذا المشروع الصهيوني جملة وتفصيلاً[٤].

وإذا كـــان هرتزل قد أدرك استحالة تنفيذ أهدافه ما دام السلطان عبد الحميد على رأس الســـلطة، فقد نجح خلفه (حاييم وايزمن) من تنفيذ أهداف الصهيونية بواسطة حزب الإتحـــاد والترقي الذي قام بالانقلاب على السلطان ثم عزله عام ١٩٠٩م[٥]. وهكذا تعزز

---

(١) حلاق، المصدر السابق، ص١٧٦-١٧٧.

(٢) أعـــد لهذا المؤتمر الصهيوني الروسي "مناحم أوسيكين" حيث عقد في مستعمرة "زخرون يعقوب" واستهدف تنظـــيم وتوحيد صفوف اليهود في فلسطين ممن بلغوا سن الثامنة عشرة، كما قسموا فلسطين إلى ستة أقسام جغرافـــية وهـــي: بيت المقدس والخليل، مستعمرات الرملة، يافا وبتاح تكفا، الناصرة وطبرية والمستعمرات المحيطة بها، حيفا، والخضيرة وزخرون يعقوب، صفد ومستعمرات الجليل.

(٣) الشناوي، المصدر السابق، ج٢، ص٩٩٢-٩٩٣.

(٤) صـــور هرتزل للسلطان دافعين يكمنان وراء هذا المشروع. أحدهما سياسي بعدم تعريض الطلبة العثمانيين فـــي حالة دراستهم في هذه الجامعة إلى أخطار الغوايات السياسية والأراء الثورية التي قد يتعرضون لها في الجامعـــات الأوروبـــية ، أما الدافع الثاني فهو أن الطلبة العثمانيين قد يبتعدون عن التقاليد الإسلامية نتيجة الحياة الماجنة في مدن أوروبا. أنظر: المصدر نفسه، ص٩٩٤-٩٩٥.

(٥) أبو عليان، المصدر السابق، ص٢٢٩.

النفوذ الصهيوني في الدولة العثمانية في المدة الواقعة بين سنتي ١٩٠٨-١٩١٤م، وتدفق الصهاينة اليهود بأعداد هائلة إلى فلسطين ومنها القدس تحديداً. وقد وصل عدد الصهاينة سنة ١٩١٠م إلى نحو: (٤٥) ألفاً، وفي عام ١٩١٢م نحو (٤٨) ألفاً[١].

ومن الجدير بالذكر أن سكان فلسطين بلغوا عند بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م نحو (٦٨٩,٠٠٠) نسمة، منهم: (٨٤,٦٠٠) من الصهاينة أي بنسبة ١٢% من مجموع السكان[٢].

موقف الشعب الفلسطيني

بدأ الوعي بالمشروع الصهيوني يتبلور في الفكر السياسي الفلسطيني، حينما حلت في العام ١٨٨٢م أول موجة من موجات الهجرة الصهيونية في فلسطين، في حين يمكن أن يوصف العام ١٩١٧م، الذي شهد صدور وعد بلفور وبدايات الاحتلال البريطاني لفلسطين، بأنه تاريخ بدء العمل الشعبي الفلسطيني، العفوي منه والمنظم، ضد المشروع الصهيوني[٣]. على أن الوعي العربي والفلسطيني للخطر الصهيوني، سواء على صعيد الأنظمة الحاكمة، أو في الإطار الجماهيري والمنظمات السياسية الشعبية، لم يكن مماثلاً، في الوضوح والعمق والشمول والتنظيم، لوعي الصهيونية لمشروعها الاستعماري[٤].

ومع تنامي المشروع الصهيوني، وولادة مؤسساته في فلسطين، مثل: الوكالة اليهودية، والأحزاب السياسية، والنقابات العمالية، والمنظمات الإرهابية الصهيونية، أقام

---

(١) أبو عليان، المصدر السابق، ص٢٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٣٠، وانظر أيضاً: بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م، ص٥.

(٣) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص ٦٢، ٤٥٩.

(٤) المصدر نفسه، ص٥١٧، ويقول "حاييم وايزمن" في هذا المجال في خطاب ألقاه امام المؤتمر الصهيوني في لندن: "لقد سألونا (يقصد الدول الكبرى) عما نريد، فقلنا نريد خلق أوضاع في فلسطين من شأنها أن تسمح لنا عندما ينمو ذلك البلد أن نصب فيه أعداداً ضخمة من المهاجرين اليهود حتى نستطيع أن ننشئ في آخر الأمر مجتمعاً يجعل فلسطين يهودية بمقدار ما أن إنجلترا إنجليزية وأمريكا أمريكية". أنظر نص الخطاب في: منظمة التحرير الفلسطينية، وثائق فلسطين، إعداد د. محمد محمود الصياد، دائرة الثقافة، ١٩٨٧م، ص٤٤-٤٥.

الشـــعب الفلســـطيني بالمقـــابل مؤسساته، مثل: اللجنة العربية العليا، والمجلس الإسلامي الأعلى، والمؤتمر الفلسطيني، والأحزاب السياسية[١].

وهكـــذا وجد، في ظل الحكم البريطاني سلطتان غير نظاميتين، تقودان جانبين من الصــــراع، كل في الجزء الذي يسيطر عليه من أرض فلسطين. وفي حين كانت حكومة الإنـــتداب تضـــيق الخـــناق على الجانب الفلسطيني، بفرض القوانين والأنظمة التي تشل حركته، وتعتقل المناضلين وتطردهم، كانت تفتح أبواب الهجرة على مصراعيها للصهاينة القادميـــن إلـــى فلســـطين، وتضع القوانين والأنظمة التي تساعدهم على تملك الأراضي، وتحميهم[٢]، وتنفذ السياسة المرسومة لها حسب صك الإنتداب ووعد بلفور[٣].

ومـــنذ أدرك الشـــعب الفلسطيني خطورة المشروع الصهيوني، وهو يتحمل عبء الكفـــاح الشـــعبي المسلح، وقد أسهمت معه قوى شعبية تطوعية عربية حيناً، وانفرد هو بمعظمها حيناً آخر. وقد مر الكفاح الفلسطيني المسلح بمراحل عدة، واتخذ أشكالاً مختلفة، ونما وتطور وتنوع مع نمو المشروع الصهيوني نفسه، على أن العمل المسلح الفلسطيني، لم يستطع في نموه وتطوره، أن يبلغ المرتبة التي بلغها "المشروع الصهيوني، وذلك تبعاً للموارد المتاحة للطرفين. ففي حين كانت الصهيونية توجه إلى فلسطين الرجال والأموال والطاقـــات، وتبنـــي القـــوات العســـكرية المدربـــة والمســـلحة، مدعومـــة بكل وسائل الدعـــم الإســـتعماري، لـــم يتمكن عرب فلسطين من بناء كيان سياسي وعسكري موحد قـــادر علـــى مواجهـــة الغزوة الصهيونية، كما لم يقدم له العرب الآخرون ما يعينه على ذلك[٤].

---

(١) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص٦٢؛ هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص١٣٠.

(٢) عـــن دور بريطانيا في دعم المشروع الصهيوني، أنظر: النتشة، المصدر السابق، ص٣٤٧-٣٥٢، ٣٥٦-٣٦٢.

(٣) أنظر نص وعد "بلفور" في: جامعة الدول العربية، الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين، المجموعة الأولى، وثيقة رقم (٢٤)، ص٨٧، وانظر النص الإنجليزي للوعد في:
Ben Halpern, The Idea of the Jewish state, P.170.

(٤) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص٦٣، ٤٥٩، ٥٢١.

وعلى أثر صدور مقررات مؤتمر "سان ريمو" عام ١٩٢٠م[١] الذي عقده المجلس الأعلى للحلفاء، تصاعدت المقاومة الفلسطينية للمشروع الصهيوني، ولسياسات بريطانيا المؤيدة له والمنفذة لوعد بلفور، وأخذت المقاومة الفلسطينية تلجأ إلى العنف رداً على العنف المسلح الصهيوني، فنشبت ثورات وانتفاضات متعددة من أبرزها: ثورة ١٩٢٠م و ١٩٢١م و ١٩٢٩م[٢].

وإلى جانب هذه الثورات، شهدت فلسطين نشاطاً سياسياً تمثل في تكوين الأحزاب وعقد المؤتمرات[٣]، وتقديم مذكرات الإحتجاج والاستنكار، والدفاع عن الحقوق والمطالب الفلسطينية في المؤتمرات العربية والإسلامية والدولية، وأمام اللجان البريطانية والدولية التي زارت فلسطين[٤].

وفي الواقع فإن ما كان يجري في فلسطين تلك الأيام كان نموذجاً تقليدياً للصراع بين عقليتين، عقلية الغرب المنظم والمصمم، وعقلية الشرق القدري والمستضعف. فكانت عرائض الإسترحام هي الأسلوب الذي طرح نفسه في ذلك الوقت موجهة إلى عصبة الأمم، أو إلى الحكومة البريطانية، أو إلى الحاكم العام البريطاني[٥].

---

(١) عقد مؤتمر سان ريمو (١٩-٢٥ نيسان ١٩٢٠م)، وأقر فيه معاهدة سيفر التي صاغها الحلفاء في مؤتمر لندن في ١٢ شباط ١٩٢٠م، والتي تضمنت وعد بلفور وإنشاء (الوطن القومي) لليهود في فلسطين، كما تم القرار فيه على وضع سوريا ولبنان تحت الإنتداب الفرنسي، والعراق وفلسطين تحت الإنتداب البريطاني. أنظر: الموسوعة الفلسطينية، القسم١، مجلد ٢، ص٥٣١.

(٢) عن الثورات الفلسطينية أنظر: سعد الدجاني، فلسطين والتحديات التوراتية الصليبية، د. ن، عمان، ١٩٩٣م، ص١٨٧-١٩٠، ٢٠٤-٢٤٠، ٣٠٩-٣١٣.

(٣) عقد بين عامي ١٩١٩ و ١٩٢٨ سبع مؤتمرات أكد المؤتمرون في الرابع والخامس منها حق تقرير المصير والإستقلال والوحدة العربية. أنظر: عبد الوهاب الكيالي، وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية (١٩١٨- ١٩٣٩)، سلسلة الوثائق العامة - ١، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط١، ١٩٦٨، الوثيقة ٢٠ و ٢٣، ص٤٦، ٥٣.

(٤) للاطلاع على بعض مذكرات الاحتجاج والاستنكار والدفاع عن الحقوق والمطالب الفلسطينية، أنظر: المصدر نفسه، الوثيقة ٤١، ٤٢، ٥٣، ٥٤، ٦٠، ٦٤، ٧٢، ٨٣، ٢٠٨، ص٩٣، ٩٥، ١٣٢، ١٣٣، ١٥٠، ١٥٧، ١٦٨، ١٩١، ٦٠٣.

(٥) هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص١٢٩، ولمعرفة المزيد من التفاصيل عن مذكرات وعرائض الإحتجاج العربية، أنظر: أكرم زعيتر، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٨- ١٩٣٩م)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط١، ص١-٤٧٦.

ويمكن القول إن الفترة بين بدء الإحتلال البريطاني والنصف الأول من الثلاثينات، تمــيزت بتراكم الأحداث وبعض المواجهات بين الجماهير الفلسطينية والقوى الصهيونية والبريطانــية. وكانت المصادمات تنطلق عفوياً وفق أحداث آنية، ولذا يمكن وصف هذه الفــترة مــن النضال الفلسطيني بالإرتجال والعفوية[1]، إلا أنها كانت النواة لمفهوم العمل المسلح في المراحل اللاحقة.

ففــي العــام ١٩٣٥م انطلقت ثورة عز الدين القسام[2]، إذ دفعت عوامل مختلفة، المــنظمة إلى البدء بالعمل المسلح، منها: غزارة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، واستشراء تســرب الأراضــي الفلسطينية إلى اليهود، وظهور المنظمات الإرهابية الصهيونية. وقد بــدأت هذه المنظمة أعمالها بأسلوب "حرب العصابات"، بالإضافة إلى بعض المصادمات العنيفة مع اليهود والبريطانيين[3]. غير أن البريطانيين تمكنوا من إخماد الثورة بعد مقتل زعيمها في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٣٥م.

وفي العام ١٩٣٦م اشتعلت نيران الثورة الفلسطينية، إذ بدأت بالإضراب العام، ثم اتخــذت شــكلاً مسلحاً مع مطلع أيار، حينما أعلن جيش الجهاد المقدس الثورة، وخرجت فصــائله إلى الجبال والريف في لواء القدس، ثم امتدت الثورة إلى سائر أنحاء فلسطين. وفــي ١٣ تشــرين الأول ١٩٣٦م، توقــف الإضراب العام تلبية لنداء الملوك والرؤساء العرب بعد أن استمر ١٧٦ يوماً[4].

اســتأنفت الــثورة نشــاطها حيث اتسمت هذه الفترة التي استمرت حتى شهر آب ١٩٣٧م، بــالعمل السياسي والدبلوماسي والإعلامي، وفيها نشرت الحكومة البريطانية في ٧ تمــوز ١٩٣٧م تقريــر "لجــنة بيل" الملكية التي أوصت بتقسيم فلسطين، وهو ما دفع

---

(١) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص٤٦٢.

(٢) الشــيخ عز الدين القسام من بلدة جبلة على الساحل السوري، اشترك في ثورة العلويين بقيادة الشيخ صالح العلــي ضــد الإحــتلال الفرنسي ١٩٢٠م، وحكم عليه بالإعدام. لجأ إلى حيفا في ٥ شباط ١٩٢٢م، وعمل مدرســاً فــي المدرسة الإسلامية فيها، ثم أصبح إماماً وخطيباً لجامع الإستقلال فيها، ثم عمل رئيساً لجمعية الشــبان المســلمين في حيفا، قاد الثورة ضد الصهاينة والبريطانيين إلى أن استشهد في العشرين من تشرين الثاني ١٩٣٥م.

(٣) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص٤٦٣.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٦٥، ٤٦٦.

وإذا كانــت الثورة قد أنتجت قادة ميدانيين، وخاصة من الفلاحين[1]، فإنها لم تفلح فــي إنــتاج قادة على المستوى الإستراتيجي، وبذلك بقيت القيادة العليا التقليدية تشغل هذا الحــيز[2]. وهــو ما ولد فراغاً استراتيجياً نشأ من عدة عوامل منها: عدم وضوح الهدف الإســتراتيجي للحــركة الوطنية، وإحجام القيادة السياسية الفلسطينية عن تعبئة واستخدام الموارد المتاحة ومنها وسيلة الكفاح المسلح، وضعف الإدراك الإستراتيجي العام لدى هذه القيادة، واحتواء القيادة السياسية الفلسطينية التقليدية أية قيادة وطنية أخرى تحاول التجديد أو الإبــداع[3]. علــى أن من الإنصاف القول إن قيادة الثورة السياسية كانت ذات قدرات وإمكانــات مناســبة علــى أساليب الكفاح السلبي (السياسية والدبلوماسية، والاحتجاجات والمظاهرات ... الخ).

وثمة ظاهرة أخرى عانتها القوات الفلسطينية، وهي أنها في الوقت الذي خبرت فيه أســاليب "حرب العصابات" في ثورات ١٩٣٥م، ١٩٣٦-١٩٣٩م، إلا أن متطلبات ثورة ١٩٤٧-١٩٤٩م، ضد القوات والمستعمرات الصهيونية، كانت مختلفة سواء في التكتيك، أو الأساليب، أو الوسائل، التي لم تأخذها قيادة الثورة بالإعتبار.

ومن الطبيعي في ضوء ذلك، أن تأتي عمليات المجاهدين الفلسطينيين على قدر ما كانــت عليه من قدرات وإمكانات في الرجال والعتاد والتدريب والقيادة، بحيث لم تتمكن

---

(١) أظهرت دراسات تناولت ٢٨٢ قائداً عسكرياً في الثورة الفلسطينية أن ٦٥% منهم كانوا من الفلاحين، و٢٢ % مــن ســكان المــدن، و ٣% فلاحين متمدنين، و ٨% من البدو، و ٢% من باقي الدول العربية، أنظر: الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، مجلد١، ص٦٣٢.

(٢) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١١، ١٩٩٩م، ص٣١٢.

(٣) الكيلانــي، الإستراتيجيات العسكرية، ص٢٢٥-٢٢٧، وعن القيادة السياسية الفلسطينية التقليدية وأساليبها، أنظــر: المصــدر نفسه، ص١٩٠-١٩١، ٢٤٠، ٢٦٩، ٢٧٥، ٢٧٨، وانظر أيضاً: ناجي علوش، المقاومة العربــية فــي فلسطين (١٩١٧-١٩٤٨م)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٦٧م، ص١٢١-١٢٣.

عملياتها في النهاية من تحقيق الأهداف الموكلة بها[١]، على الرغم من التضحيات الكبيرة والتي بلغت في ثورة ١٩٣٦م نحو خمسة آلاف شهيد، ونحو (١٥) ألف جريح [٢].

موقف الأقطار العربية

ترك تطور الأحداث في فلسطين، وتصاعد الهجمة الصهيونية الهادفة إلى احتلال فلسـطين وطـرد شـعبها مـنها وإبادتـه، أثرهما في الأقطار العربية، فتنادت إلى عقد الإجـتماعات المتتالية، السياسية منها والعسكرية، في إطار الجامعة العربية، كما سطرت مذكـرات الإحتجاج إلى الأمم المتحدة وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الـدول. كما شهدت الأقطار العربية المظاهرات المؤيدة للشعب الفلسطيني معلنة التضامن معه، وقد انتقلت هذه المظاهرات إلى العالم الإسلامي أيضاً [٣].

ومثلما كان نضال الشعب العربي في فلسطين وسائر الأقطار العربية الأخرى غير مـنظم تنظيماً شاملاً، وغير كاف لمواجهة التحدي الصهيوني على أرض فلسطين، وغير محيط بحقيقة الخطط التي ترسم للمنطقة ومخاطرها، كانت الحكومات العربية أكثر عجزاً، وأشـد قصوراً. فالأقطار العربية المستقلة[٤]التي أسست الجامعة ثم دخلت فلسطين مقاتلة، لـم تكـن تمـتلك مـن عناصر القوة السياسية والعسكرية ما يمكنها من مواجهة الخطر الصـهيوني، إضـافة إلى أنها كانت متناحرة ومتنافرة ولديها اجتهادات متباعدة محكومة بظروفها المحلية[٥]، وعهدها بالاستراتيجية والعسكرية[٦] قد بعد به الزمن، فهذه هي المرة الأولى التي يفكر فيها العرب على المستوى الإستراتيجي لمنطقة بأكملها[٧].

---

(١) عن تقييم عمليات القوات العربية غير النظامية وخصوصاً الفلسطينية منها، أنظر: الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص٥١٧-٥٤٠.

(٢) تقديـر مبنـي على المصادر والوثائق البريطانية، أنظر: وزارة الدفاع الوطني، الجيش اللبناني- الأركان العامـة، القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط١، ١٩٧٣م، ص ٢٤٠.

(٣) الدجانـي، فلسطين والتحديات التوراتية الصليبية، ص٢٨٩-٣٠٩، أنظر أيضاً: هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص١٢٩.

(٤) الأقطار العربية المستقلة هي: مصر، وسوريا، ولبنان، وشرق الأردن، والسعودية، والعراق، واليمن.

(٥) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص٥١، ٦٣، ٧١، ١٥١.

(٦) عن الاستراتيجية العسكرية العربية، انظر: المصدر نفسه، ص١٠٣- ١١٧.

(٧) هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٢٢٤.

وقـد وصف حاييم وايزمن الوضع العربي بقوله: "أما عن العرب فليس هناك داع مـن أي نـوع للخوف منهم، فهم ضعفاء بطريقة بائسة "[1]. أما رئيس الولايات المتحدة الأمريكية "هاري ترومان" فقد وصف العرب بقوله: "إن العرب ليس لديهم أي شيء أكثر من حجج قانونية"[2].

وفي حين كانت الصهيونية تزيد من ثقلها في فلسطين، وتنشئ مؤسساتها وقياداتها، لتسـتطيع مـنها إدارة النشاطات السياسية والعسكرية، ظهر ضعف القيادات الفلسطينية، وزاد ارتـباطها بالأقطار العربية، وتراجعت استقلاليتها وفاعليتها، حتى أصبحت الحاجة ماسـة إلـى تدخـل الأقطار العربية في قضية فلسطين لدرجة أنه يمكن القول أن إدارة القضية الفلسطينية قد انتقلت إلى خارجها [3].

علـى أن الجامعـة العربية حينما ولدت في ٢٢ آذار ١٩٤٥م، أهملت في ميثاقها الشـؤون العسـكرية والدفاعية[4]. ولم يطل الزمن بالجامعة حتى اضطرت إلى مواجهة قضـية فلسـطين بمخـتلف أوجهها، وخاصة العسكرية منها، فخاضت الحرب بشكليها: النظامي وغير النظامي.

...

---

(١) أظهر "وايزمن" استيائه من تردد الولايات المتحدة إزاء ما يحصل في فلسطين مشيراً إلى أن على الولايات المـتحدة أن لا تخشى شيئاً من العرب، أنظر ذلك في نص الوثيقة رقم ١٥٤٨-٤/ فلسطين ب ب ٥٠١ في: هيكل المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٢٤١-٢٤٢.

(٢) انظـر نص الوثيقة رقم ٤٤٨-٢/ ج٧١١٠٩٠ تاريخ ٤ شباط ١٩٤٨ م التي تشير لحوار جرى بين السفير الأمريكي في العراق (وادسورث) مع الرئيس الأميركي (ترومان) في: المصدر نفسه، ص٢٣٨-٢٣٩.

(٣) الكيلانـي، الاستراتيجيات العسكرية، ص٦٣، ومما يجدر ذكره إن أول مؤتمر قمة عربي عُقد في أنشاص/ مصر في ٢٨ أيار ١٩٤٦م، شارك فيه ملوك ورؤساء الدول العربية السبع، واتخذوا فيه قراراً باتخاذ جميع الوسائل الممكنة للدفاع عن فلسطين، أنظر: هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٢١٣-٢١٤، ٢٢٣-٢٢٤.

(٤) ربمـا كـان أحد المبررات لإهمال الجانب العسكري في الميثاق، هو عدم سماح الظروف التي نشأت فيها الجامعـة، لـبلورة مفهـوم موحـد وواضح للأمن القومي العربي، وذلك بسبب حداثة بعض دول الجامعة بالاسـتقلال، أو لارتـباط بعضها بالدول الأجنبية. فقد كانت مصر والعراق مرتبطتين بمعاهدة مع بريطانيا، والجيش الأردني بريطاني القيادة، ولم تجل القوات الفرنسية عن سوريا ولبنان بعد، ولم يكن للسعودية واليمن قـوات كافية. أنظر: علي محافظة وآخرون، جامعة الدول العربية الواقع والطموح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٣٠.

وقبل أن تنخرط الجامعة في النزاع المسلح، مّر قرار الحرب فيها بمراحل متتالية، كان لتصاعد وتيرة العمليات الذي شهدته الساحة الفلسطينية، الأثر الأكبر في تشكيله، وخاصة خلال الفترة من صدور قرار التقسيم حتى دخول الجيوش العربية.

ولما بدا للأمين العام لجامعة الدول العربية آنذاك "عبد الرحمن عزام" أن الصهاينة سوف يضعون العرب والعالم أمام الأمر الواقع بإقامة كيانهم في الأراضي المخصصة لهم بقرار التقسيم ثم لا يتوقفون عند ذلك الحد(١)، علاوة على ضغط الشعب العربي الهائل على حكوماته، ثم تردد الجامعة العربية فيما يجب اتخاذه من اجراءات عملية لمواجهة قرار التقسيم(٢) نتيجة اختلاف وجهات نظر الحكومات العربية الأعضاء فيها(٣)، جاء قرار الجامعة بتشكيل "جيش الإنقاذ"(٤) بقيادة فوزي القاوقجي، وقوامه المتطوعة العرب من مختلف الأقطار العربية، بحيث تتولى الجامعة تسليحه والإنفاق عليه، وخُصصت منطقة عملياته في المنطقة الوسطى والشمالية من فلسطين. وقد أعُطي هذا الجيش مهمة فضفاضة لا تتلاءم وإمكاناته المادية والبشرية وهي "معاونة أهل فلسطين في الدفاع عن أنفسهم وكيانهم"(٥).

وبهذا نجد أن تشكيل جيش الإنقاذ لم يأت وليد حاجة استراتيجية، أو هدف استراتيجي، وانما كان مبعثة ظروفاً خاصة بالأقطار العربية التي تبنته، في محاولة منها لامتصاص الرغبة الشعبية العارمة في الإسهام في انقاذ فلسطين، فكان بذلك أول

---

(١) هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٢٤٨.

(٢) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص٥٣١.

(٣) اختلفت وجهات نظر الدول العربية حول أسلوب التدخل في فلسطين، فمنهم من نادى بضرورة حل القضية الفلسطينية عن طريق الكفاح الشعبي المسلح مع دعمهم بالمتطوعين العرب، ورأى فريق آخر ضرورة التدخل العسكري بالقوات النظامية العربية، في حين دعى فريق ثالث إلى التدخل العسكري النظامي المحدود.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن جيش الإنقاذ، أنظر: الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص٦٧-٦٩، ٤٦٩-٤٧١، ٥٣١-٥٣٦.

(٥) المصدر نفسه، ص٥٣٣.

مشـروع رسمي عربي شارك في القتال مع بقية القوات الشعبية العربية الأخرى[1] ضد القوات الصهيونية.

ومـن الجدير بالذكر أن جيش الإنقاذ كان بالطريقة التي شُكّل ونُظّم وسُلّح ودُرب بها، فاقداً قوام الجيش أو التشكيلة العسكرية. فلم يكن لديه هيئة أركان في جميع مستوياته القـيادية، كمـا عانى من ضعف التسلسل القيادي، ومن ضعف التدريب، وقلة الأسلحة، وعـدم انصـهار أفـراده الذين جاؤوا من أقطار عربية مختلفة في تشكيله مقاتلة واحدة متجانسة. فما كان من هذا الجيش إلا أن فشل في تحقيق المهام التي كُلفَ بها[2].

وعلـى أثـر تصاعد أعمال العنف، واستمرار الإرهاب الصهيوني، وحينما بدأت ملامـح تقسيم فلسطين وإنشاء الكيان الصهيوني تظهر بوضوح، عقد مجلس الجامعة عدة دورات متتالـية، واتخذ عدة قرارات[3]، كان من أبرزها القرار الذي اتخذته الجامعة في اجتماعها في عاليه- لبنان (٧-١٥ تشرين الأول ١٩٤٧م)، والذي ينص على "أن الحالة تستلزم من جانب دول الجامعة العربية اتخاذ احتياطات عسكرية على حدود فلسطين"[4].

وعندما أعلنت الحكومة البريطانية في أواخر عام ١٩٤٧م عزمها على الانسحاب من فلسطين تنفيذاً لقرار التقسيم، أعطى المسؤولون العرب تأكيدات بأنهم سوف يتجنبون القـيام بأي عمل من شأنه أن يؤدي إلى الإحتكاك مع القوات البريطانية في الفترة السابقة

---

(١) تألفـت القـوات الشـعبية العربية خلال الفترة الواقعة بين إعلان قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧) وإعلان قيام الكيان الصهيوني (١٥ أيار ١٩٤٨) من أربعة تشكيلات هي: جيش الإنقاذ، مجموعة المتطوعين المصريين، جيش الجهاد المقدس، القوات المحلية.

(٢) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص٥٣٢-٥٣٣.

(٣) عقـدت الجامعة بعد مؤتمر أنشاص عدة دورات منها: دورة استثنائية في بلودان- سوريا، ٨-١٢ حزيران ١٩٤٦م، وقـد اتخذ فيها عدة مقررات سرية، ثم عقدت الدورة الخامسة من ٣٠ تشرين الأول- ١٢ كانون الأول ١٩٤٦م، كمـا عقـدت دورة في صوفر- لبنان، ١٦ أيلول ١٩٤٧م، وتلا ذلك دورة عاليه في لبنان ١٩٤٧م.

(٤) انظـر نص القرار (ق١٨١/ د٧/ ج٣ - ٩/تشرين أول/١٩٤٧م في: جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، قرارات مجلس جامعة الدولة العربية، ص٦٠.

للإنسحاب[١]. وفي ضوء ذلك كان قرار دخول الجيوش العربية فلسطين في الخامس عشر من أيار ١٩٤٨م، حتى لا يشكل ذلك اعتداءً على الدولة المنتدبة[٢].

وبعد سقوط العديد من المواقع الفلسطينية بأيدي العدو، ونظراً لعجز القوات الشعبية الفلسطينية وقوات جيش الإنقاذ، اجتمع مجلس الجامعة العربية في ١٢ نيسان ١٩٤٨م، وقرر زحف الجيوش العربية على فلسطين[٣]. وعلى الرغم من أن التقديرات العسكرية للتغلب على القوات الصهيونية كانت تتطلب حشد ست فرق كاملة التنظيم والتسليح، مدعومة بستة أسراب من الطائرات المقاتلة والقاذفة، وعلى أن تكون هذه القوات خاضعة لقيادة موحدة[٤]، فقد رأت الجامعة أن تشرع الجيوش العربية، بما لديها من قوات، مهما كان حجمها وتسليحها، بالعمل في فلسطين، معتقدة بأن هذا من شأنه أن يدخل الرعب في قلوب الصهاينة، ويجبر الدول الكبرى على التدخل لإرغامهم على قبول المطالب العربية[٥].

ويفسر أحد الباحثين الأميركيين دخول الجيوش العربية فلسطين بقوله: "ذهب كل حاكم إلى الحرب ضد إسرائيل في العام ١٩٤٨م، وكان أحد أسباب ذلك خوفه من أن يكون موضع شك في نظر العرب جميعاً إذا ما تقاعس، بينما يفتح الآخرون أرض فلسطين"[٦].

---

(١) أنظر حول ذلك: الوثيقة رقم ٤٧/-/٢ حـ تاريخ ٥ يناير ١٩٤٨م المتضمنة مذكرة من السفارة البريطانية في واشنطن إلى وزارة الخارجية الأميركية في: هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٢٣٥-٢٣٦.

(٢) أحمد، المصدر السابق، ص٢٥.

(٣) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص ١١٣.

(٤) عارف العارف، النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود، ١٩٤٧-١٩٥٢م، ج١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، ١٩٥٦م، ص٢٨٣-٢٨٤.

(٥) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص١١٤.

(٦) المصدر نفسه، ص١٢٦، نقلاً عن:
Michael Mandelbaum, Israel's security Dilemma, orbis, vol. 32, no.3.

وهكذا دخلت تشكيلات من الجيوش العربية فلسطين[1]بقوة تقدر بنحو(٢١,٠٠٠) [2] جـندي عربي مقابل (٦٧,٠٠٠) جندي صهيوني[3]، في المرحلة الأولى من القتال (١٥ أيار – ١٠ حزيران ١٩٤٨)، وكان الواضح أن الأقطار العربية كلها تقتصر عملياتها على الأجـزاء العربية من فلسطين، لكي تؤمنها وتحميها من إغارة القوات الصهيونية عليها. وكان معنى ذلك واقعياً، أن الأقطار العربية قررت العمل في حدود قرار التقسيم[4].

ويمكن القول إن الأقطار العربية السبع، الأعضاء في الجامعة، قررت الدخول في الحـرب، دون اتخـاذ أية تدابير تدل على أنها مقدمة على حرب أو على صراع مسلح، لدرجـة أن السـفير الأميركـي فـي مصر قد ذكر أن إسهام مصر سوف يقتصر على المسـاعدات المالية حتى يتضح الموقف بعد انتهاء الإنتداب يوم ١٥ أيار[5]. إضافة إلى ذلـك فقـد ذكر القائد العام للقوات المصرية أن رئيس الوزراء أصدر إليه الأمر بدخول الحـرب فـي ١٤ أيار، أي قبل المعركة بيوم واحد[6]. وقد كان رأي عدم دخول القوات العربـية الحرب في فلسطين والإكتفاء بإرسال المتطوعين إليها، هو حال كل من رؤساء أركان الجيوش المصرية، والسورية، واللبنانية[7].

---

(١) إن قسـماً مـن الجيوش العربية اشترك في القتال فقط، وليس دقيقاً القول أن الجيوش العربية اشتركت في الحرب، وهذه الجيوش هي: الجيش المصري، والسوري، والعراقي، والأردني، واللبناني.

(٢) لـم تجمـع المصـادر على حجم القوات التي اشتركت في حرب عام ١٩٤٨م، بل تباينت في الكثير منها لأسـباب موضـوعية وغير موضوعية، أنظر: هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٢٧٨؛ جون باغوت غلوب، جندي بين العرب، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٥٨م، ص٧٢؛ موسى، أيام لا تنسى، ص٧١.

(٣) عن حجم القوات الصهيونية وتأليفها، أنظر: رئاسة أركان الجيش الإسرائيلي، فرع التاريخ، حرب فلسطين (١٩٤٧-١٩٤٨م) الرواية الإسرائيلية الرسمية، ترجمة أحمد خليفة وآخرون، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، نيقوسـيا، ط١، ١٩٨٤م، ص٨٧، ١٦٤-١٦٥، ١٧٨، ٣٣٠ أنظـر أيضـاً: الكيلانـي، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص٦٣-٨٥.

(٤) هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٢٤٩.

(٥) أنظـر نـص الوثـيقة رقم ٢٨٤٨-٤/١.ن ٨٦٧ المرسلة من السفير الأمريكي في مصر "بنكتي تاك" إلى وزير خارجيته بتاريخ ١٩٤٨/٤/٢٨م في: هيكل، المصدر نفسه، الكتاب الأول، ص٢٤٥-٢٤٦.

(٦) حسـن الـبدري، الحرب في أرض السلام، الجولة العربية الإسرائيلية الأولى، ١٩٤٧-١٩٤٩، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة، ١٩٧٦م، ص٤٠-٤١.

(٧) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص١٢٧، ١٢٨.

ومثلما لم تتخذ الحكومات العربية التدابير اللازمة لخوض القتال، كانت الجيوش العربية ضعيفة التسليح والعدة، وتفتقر إلى التدريب وفنون القتال[1]، ولم يكن لديها خطة استراتيجية عامة[2]. والأهم من ذلك أن هذه الجيوش قاتلت بدون تحديد غاية رئيسة لها[3]، فضلاً عن أنه لم يكن لدى القائد العام (تم تنصيب ملك الأردن عبد الله بن الحسين قائداً عاماً للقوات العربية التي ستدخل فلسطين في ١٠/٥/١٩٤٨م) هيئة أركان موحدة أو مشتركة، كما لم يكن مقر قيادته في عمان مزوداً بوسائل القيادة والاتصالات اللازمة لهذا الغرض، مما جعل قيادته إسمية فقط[4].

وعلى الرغم من هذه الأوضاع، فقد قاتلت هذه القوات وكانت المبادرة بيدها، كما كانت متفوقة في المرحلة التمهيدية على العدو الصهيوني بقوة النار[5]. ولم يكد يمضي على بدء القتال سوى أسبوعين ، حتى أصدر مجلس الأمن في ٢٩ أيار ١٩٤٨م قراراً بوقف العمليات العسكرية مدة أربعة أسابيع. وما أن استؤنف القتال في ٩ تموز حتى توقف ثانية في ١٧ منه بقرار من مجلس الأمن لفرض الهدنة الثانية، وأخيراً انتهى الامر بهزيمة الجيوش العربية، وعقد اتفاقات الهدنة الدائمة.

وهكذا يمكن القول أن الجيوش العربية قاتلت العدو فرادى، ولم تقاتله كقوى متحالفة وعاملة تحت قيادة واحدة. وقد شهدت حرب ١٩٤٨م تدخلات ووساطات دولية كثيرة، كما كانت هذه الحرب نقطة البداية لكل ما تلاها من حروب ومعارك في ساحة الصراع العربي- الصهيوني. على أن من الإنصاف القول، إن هذه الجيوش استطاعت وقف مد الإحتلال الصهيوني إلى فلسطين بأكملها.

---

(١) انظر حال الجيوش العربية في: الكيلاني، الاستراتجيات العسكرية، ص١٢٢-١٢٥.

(٢) غلوب، المصدر السابق، ص٧٠.

(٣) كان ينبغي تحديد مهمة رئيسة للقوات العربية مثل: تدمير قوات العدو، أو تحرير فلسطين كلها أو جزء منها، أو كليهما معاً، في حين أن الهدف المعلن من دخول الجيوش العربية فلسطين والذي أوضحته جامعة الدول العربية في مذكرتها المرسلة للأمم المتحدة في ١٦/أيار/١٩٤٨م، هو: وضع حد للفوضى، وإعلان استقلال فلسطين ومنحها حق تقرير المصير، أنظر: ممدوح الروسان، العراق وقضايا الشرق العربي القومية ١٩٤١-١٩٥٨م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٩م، ص٢٦٣.

(٤) هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٢٤٩-٢٥٠.

(٥) الدجاني، فلسطين والتحديات التوراتية الصليبية، ص٣٢٨.

التوافق التاريخي بين الموقف الإسلامي والعربي

من الحركتين الصليبية والصهيونية

عـــاش المشـــرق العربـــي الإســـلامي قبيل الحروب الصليبية سلسلة متصلة من الـــتمزق السياســـي والمذهبي والطائفي أسهمت إلى حد كبير في تسهيل مهمة الصليبيين وتحقيق أهدافهم. فقد بددت الصراعات الداخلية والحروب والفتن، القوى والجهود لمحاربة الصـــليبيين، كمـــا زادت الأوضـــاع الاقتصـــادية والاجتماعية السيئة من عمق المشكلة، وأضحت ظروف القوتين الكبريين في الجبهة الإسلامية وهما: الخلافة الفاطمية والخلافة العباسية، تبعاً لذلك، في وضع لا يسمح لهما بالتصدي للخطر الصليبي [١].

وإذا مـــا استعرضـــنا الأوضـــاع والظـــروف في المشرق العربي الإسلامي قبيل الغزو الصهيوني لفلسطين، في أواخر القرن التاسع عشر حتى قيام الكيان الصهيوني، نجد أنهـــا لـــم تكن أفضل حالاً منها قبل الغزو الصليبي للمنطقة نفسها[٢]. فبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، تم اقتسام الممتلكات الشرقية للخلافة العثمانية في اتفاقية سايكس- بيكو[٣] الشـــهيرة والتـــي كـــان من نتائجها قيام عدة حكومات عربية في العراق وبلاد الشام بعد تحـــررها مـــن الســـيطرة العثمانـــية، لكنها وقعت في المقابل تحت السيطرة البريطانية والفرنسية[٤].

وكانـــت الأقطـــار العربـــية في مجملها سواء في مشرقها أو مغربها لا تملك من زمـــام نفسها إلا الشيء القليل، في حين كان الشعب العربي يعيش بدايات الوعي القومي

---

(١) عن الأوضاع في المشرق العربي والإسلامي قبيل الغزو الصليبي، أنظر: الفصل الأول، ص٤٨، هامش ٣.

(٢) عن الأوضاع والظروف في المشرق العربي الإسلامي في بداية القرن العشرين، أنظر: الفصل الأول، ص ٤٨، هـــامش٤، وانظر أيضاً: نجيب صالح، تاريخ العرب السياسي (١٨٥٦م-١٩٥٦م)، دار اقرأ، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص٨٥-١٢٧، ١٣٩-٢٠٩.

(٣) عن الإتفاقية أنظر:
"Laqueur, The Israel- Arab Reader, Document 5, pp.12-15.

(٤) جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، إدارة فلسطين، الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين، المجموعة الأولى ١٩١٥-١٩٤٦م، الوثيقة ٢٣، ص٨٤.

العربي[1]، كما كانت المنطقة العربية برمتها تعاني سوء الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية بسبب إهمال وفساد الإدارة العثمانية للولايات العربية لفترة زمنية طويلة[2].

أمــا مصر التي وقعت تحت الإحتلال البريطاني منذ عام ١٨٨٢م، فقد كانت إلى حــد ما بعيدة عن إطار الخلافة العثمانية، وإن كانت قد أصبحت موئلاً ومعقلاً لكثير من ثــوار الشــام ومفكريه المسلمين والمسيحيين على حد سواء[3]. وكانت القاهرة تمثل أحد مراكــز إدارة المســتعمرات البريطانية، ومقراً لرسم السياسة البريطانية في منطقة البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر[4].

أمــا بقية الأقطار العربية والتي كانت واقعة في معظمها تحت الإحتلال الفرنسي وخاصة بلاد المغرب العربي، فقد شغلها الإحتلال الأجنبي عن الإسهام في التصدي للغزو الصــهيوني، ولم تكن القضية الفلسطينية واضحة في أدبيات صراعها وقتذاك، ربما لغلبة الإعتبارات الداخلية الخاصة على ما سواها[5].

وفــي الوقــت نفســه، كانت الجزيرة العربية عام ١٩٢٦م تعيش حالة قيام الدولة الســعودية فــي معظم أجزائها، في حين ظلت السواحل الجنوبية والشرقية منها والخليج العربــي تحت السيطرة البريطانية المباشرة. أما اليمن فقد ظلت تعاني التخلف والإنغلاق تحت حكم أسرة حميد الدين[6].

وإذا كــان كــل قطــر عربي يعاني نوعاً من أنواع الإحتلال، وشكلاً من أشكال الإستعمار، فإن فلسطين كانت تعيش ظروفاً أشد وأقسى من كل ما عانته الأقطار العربية الأخــرى. فثمة استعمار استيطاني صهيوني يغزو البلاد، وثمة قوة انتداب بريطاني التزم

---

(١) هكيل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٢٠٧-٢١٣.

(٢) الجمــيل، المصدر السابق، ص١٨٧؛ محمد المعروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م، ص٧٦.

(٣) هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٩٣.

(٤) المصدر نفسه، ص٨١، ٨٢.

(٥) أحمد، المصدر السابق، ص١٧.

(٦) الحــوت، المصدر السابق، ص٥٣١-٥٣٢؛ سليمان موسى، الحركة العربية (سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨-١٩٢٤)، دار النهار للنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م، ص٦١٢-٦١٧.

بتمكيـــن الغـــزاة الصهاينة من أرض وشعب فلسطين بقرار من عصبة الأمم المتحدة عام ١٩٢٢م[١].

وعندما نشبت الحرب العربية- الصهيونية الاولى عام ١٩٤٨م، لم يتصد للعدوان ســوى بعــض تشــكيلات من جيوش خمس دول عربية هي: مصر، وسوريا، والأردن، والعــراق، ولبنان، التي كان بعضها إما خارجاً لتوه من الاستعمار مثل سوريا ولبنان، أو أنـــه لا يزال مرتبطاً بتحالفات مع الإستعمار وتحت السيطرة غير المباشرة له مثل مصر والعراق والأردن[٢].

وإذا كانـــت القوى التي تحرك الصراع في المشرق العربي الإسلامي وتتحكم فيه عشـــية الحـــروب الصـــليبية هي ثلاث قوى؛ الفاطميون من ناحية، والسلاجقة من ناحية أخرى، واخيراً الزعماء المحليون[٣]، فإن الصراع في الوطن العربي مع العدو الصهيوني تحكمت فيه قوى عربية متعددة تمثلت بدول الطوق العربي وهي؛ مصر وسوريا والأردن والعــراق ولبـــنان، والقـــوى الفلســـطينية مـــن داخل فلسطين، ثم دول المساندة العربية الأخرى[٤].

وكمـــا خلق الصراع بين القوى الإسلامية- كظاهرة مشتركة فرضت نفسها على التاريخ السياسي لبلاد الشام- ما يمكن أن يطلق عليه فراغاً سياسياً، نشأ عن افتقار الجبهة الإســـلامية إلى سلطة مركزية قوية في الأراضي التي توجهت إليها الأطماع الصليبية[٥]، فقـــد خلـــق انحسار السلطة المركزية العثمانية عن الأقاليم العربية في بداية القرن التاسع عشـــر فـــراغاً سياســـياً أيضـــاً، وجد العرب فيه أنفسهم في مواجهة الأطماع الأوروبية الإســـتعمارية والهجمـــة الإستيطانية الصهيونية[٦]. وعند هذا الوضع الخطير من التاريخ

---

(١) الروسان، العراق وقضايا الشرق العربي القومية، ص٩٩، ٢٠٣.

(٢) أحمد، المصدر السابق، ص١٦-١٧؛ الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص١٠٥.

(٣) أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص٨٠.

(٤) تشمل دول المساندة بقية الدول العربية الأخرى في المشرق والمغرب العربيين والتي ليست بتماس مع العدو الصهيوني.

(٥) أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٦، ٨١.

(٦) الجميل، المصدر السابق، ص١٧٨-١٧٩، ٢٠٠-٢٠١؛ هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٥٧.

العربـــي الحديث لم يكن العرب يتفاوضون أو يتحاورون مع العالم بوصفهم قوة لها رأي ولها دور في مستقبل المنطقة التي يعيشون فيها[١].

وفـــي حيـــن أن الصراع الذي دار في المشرق العربي الإسلامي زمن الحروب الصليبية قامت بالدور الرئيس فيه عناصر غير عربية[٢]، فإن الصراع الذي دار ولا يزال يدور في بلاد الشام عامة وفلسطين خاصة قامت به عناصر عربية فقط.

ومـــع أن الصـــراعات الداخلية التي دارت في كل أنحاء بلاد الشام، والتي كانت تمليها هذه العناصر غير العربية قد دفعت بالسكان الوطنيين إلى الإنزواء السياسي وحتى العســكري أيضـــاً، وجعلتها تتخذ موقفاً سلبياً إلى حد ما من التطورات التي كانت تجري علـــى أوطانها وأهمها الغزو الصليبي[٣]، كذلك، فإن الحكم العثماني للولايات العربية وما ســـاده من ظلم واستبداد وتعسف، وما فيه من تباين صيغ الإرتباط بين الطرفين: العرب كفـــئة اجتماعية محكومة، مغيّبه في الأجهزة الإدارية والمؤسسات السياسية ونظام الحكم، والأتراك العثمانيين كسلطة سياسية عسكرية إدارية[٤]، قد دفع هو أيضاً برعاياهم العرب إلى النزوع نحو الاستقلال والسيادة الوطنية، ونحو ظهور القومية العربية لتحل كعقيدة في الوجدان العربي بدل الإيمان المطلق بالخلافة العثمانية [٥].

ورغـــم التشـــابه الكبـــير في طبيعة الصراعين الإسلامي- الصليبي، والعربي- الصـــهيوني مـــن حيـــث الإمـــتداد الزماني والمكاني والتعقيد فيهما، بسبب تكاثف القوى الأوروبـــية على مظاهرة المشروعين الصليبي والصهيوني، بدءاً بدعمه بالسلاح والمال والـــرجال، إلا أن لكل منهما خصوصيته التي أثرت في الجوهر الأساسي للصراع، كما أثرت في التطورات النوعية والكمية لمختلف مراحل مسيرة هذا الصراع[٦].

---

(١)Huebener, This is Israel, P. 67.

أنظر أيضاً: هيكل المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص١٠٧.

(٢) كاهن، المصدر السابق، ص٢٦، ٣١.

(٣) أبو سعيد، المصدر السابق، ص٨١.

(٤) الجميل، المصدر السابق، ص١٩٠، ١٩٢، ٢٠٥، ٢٤٢-٢٤٣.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٠١، ٢٢٣.

(٦) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص١٥، ٥٦٣؛ أحمد، المصدر السابق، ص٥٤.

فالصـــراع الإســـلامي- الصليبي بدأ صداماً بين إرادة القوى الإسلامية المختلفة وإرادة القـــوى الصـــليبية، في حين أن الصراع العربي- الصهيوني بدأ صداماً بين إرادة الشعب العربي الفلسطيني وإرادة الغزو الصهيوني، ثم تطور ليصبح عربياً- صهيونياً[١].

كما أن ساحة الصراع بين القوى الإسلامية والقوى الصليبية شملت الجزيرة وبلاد الشـــام بادئ الأمر، ثم امتد الصراع ليشمل مصر أيضاً في مراحل لاحقة، غير أنه تركز فـــي فلسطين بشكل رئيس، في حين كانت فلسطين منذ البداية ساحة الصراع الرئيسة بين القـــوى العربـــية والصهيونية، ثم امتد الصراع ليشمل الأردن، وسوريا، ولبنان، ومصر، والعراق إلى حد ما، في مراحل لاحقة[٢].

وفـــي حيـــن اقتصرت الحروب الصليبية على العنصر الأوروبي المسيحي، الذي أســـهم إســـهاماً مباشـــراً فـــي القـــتال فـــي مختلف مراحل الحرب فيها، كانت الحروب الصـــهيونية تجري بعناصر يهودية في مختلف مراحلها، مع مشاركة أوروبية في بعض مراحل تنفيذ المشروع الصهيوني، وبدعم أوروبي وأمريكي مكثف[٣].

وكما أن الحروب الصليبية تعد من أهم خصائص القرون الوسطى، وشغلت دوراً رئيســـاً من أدوار الصراع بين الشرق والغرب، فإن الحروب العربية- الصهيونية تعتبر مـــن أهـــم خصائص القرن العشرين، وشغلت دوراً رئيساً من أدوار الصراع بين الشرق والغرب أيضاً [٤].

---

(١) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص١٥.

(٢) عماد الدين خليل، المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي، عصر ولاة السلاجقة في الموصل ١٠٩٥-١١٢٧م، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٩٨١م، ص٢٢؛ الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص٢٨، ٢٩.

(٣) أسهمت بريطانيا وفرنسا بشكل مباشر مع القوات الصهيونية في عدوانها الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م، أنظـــر حـــول ذلك: محمد حسنين هيكل، قصة السويس آخر المعارك في عصر العمالقة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

(٤) وقـــف الغـــرب الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية مع المشروع الصهيوني منذ بداياته حتى الآن وأمده بكـــل وســـائل القـــوة والإستمرار والبقاء، في حين وقف ضد الوحدة العربية ومشاريعها. ولعل في الحرب الشرســـة التي شنتها دول التحالف الأمريكي- الأوروبي ضد العراق عام ١٩٩١م لأكبر دليل على الصراع المستمر بين الغرب والمشرق العربي.

وإذا ما انتقلنا إلى أوروبا منطلق الغزو الصليبي والصهيوني، والظهير الداعم لهما نجد أنه مثلما أفرزت الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية أسباب الغزو الصليبي للمشرق العربي الإسلامي في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي[1]، أفرزت الأوضاع نفسها في المنطقة ذاتها، أسباب الغزو الإستعماري الأوروبي للمشرق العربي الإسلامي عامة، والغزو الصهيوني لفلسطين خاصة مع مطلع القرنين التاسع عشر والعشرين[2].

غير أن ما يميز بين الحالتين الآنفتي الذكر، هو أن الرؤية الحديثة للدول الإستعمارية تجاه اليهود هي في أساسها امتداد لرؤية هذه الدول لهم في العصور الوسطى، حيث تنطلق كلتا النظريتين من ضرورة التخلص منهم، مع بعض التعديلات للرؤية الحديثة التي رأت نقل اليهود إلى الشرق وتوطينهم فيها لتعمل لصالح أوروبا بدلاً من ذبحهم فيها[3]. وبدلاً من قيام اليهود بالأعمال التجارية والربوية في المدن الأوروبية، فإن بإمكانهم القيام بوظائف أخرى تجارية وعسكرية[4]، وتقديم "شيئاً مختلفاً ومغايراً وثميناً: دوراً استراتيجياً يؤمن سيطرة الغرب على العالم"[5]، ولكن من خلال وجودهم في فلسطين.

ومن اللافت للانتباه شدة الترابط بين التجزئة والإنقسام للقوى الإسلامية والعربية واستمرار العدوان لكلا الغزوين: الصليبي، والأوروبي-الصهيوني للمشرق العربي الإسلامي، كما أن كلا الغزوين توجه نحو المسلمين في عقر دارهم. ويعود السبب الرئيس

---

(١) لمعرفة مزيد من المعلومات عن الأوضاع في أوروبا قبيل الحروب الصليبية، أنظر: نعيم فرح، الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٤م، ص٨-١٤، ٥٢-٧٧.

(٢) لمعرفة مزيد من المعلومات عن الأوضاع في أوروبا خلال نهاية القرن التاسع عشر، أنظر: هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٧٩-٨٥، ١٦٣-١٦٥.

(٣) دفع اليهود ثمناً باهظاً، مادياً وجسدياً، للحملات الصليبية التي كانت تجتاحهم وهي تنطلق إلى الشرق، أنظر: عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١١٣.

(٤) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص٧٥-٧٦.

(٥) وردت أقول كثيرة لكبار الزعماء ومشاهير المفكرين والكتاب الصهاينة عن الدور الاستراتيجي الذي يقدمه الكيان الصهيوني للغرب والولايات المتحدة، أنظر: المصدر نفسه، ج٣، ص٤٦-٥٢، ٥٤-٥٧؛ صالح زهر الدين، مشروع إسرائيل الكبرى بين الديموغرافيا والنفط والمياه، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص٤٠-٦١.

فـــي نجاح كلا الغزوين إلى حالة الضعف والتشتت والتمزق التي عاناها ولا يزال الوطن العربي في الماضي والحاضر[1].

علــى أن مــن الإنصاف القول أن النصر الذي حققه الصليبيون والصهاينة على المســلمين والعرب لم يكن مبعثه ضعف المسلمين والعرب وحده، إذ وجدت بجانب ذلك، عوامــل قوة في الجبهة المعادية، كظهور البابوية كقوة لها تأثيرها على العالم المسيحي، وتعاون الإنجليز الكامل مع الوكالة اليهودية، بالإضافة الى عوامل أخرى كثيرة، كان لها دورها في النتائج التي أسفرت عنها الغزوة الصليبية والصهيونية للمشرق العربي[2]. كما أدت العوامــل الدولــية أيضاً دوراً بارزاً في إقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين العربية[3].

ولعــل وحدة الإتجاه العام أو الهدف المشترك الذي التقت عنده مختلف الجماعات الصــليبية وهو الزحف على المشرق العربي الإسلامي وتوجيه ضربة قاصمة إليه بغض النظر عن الدوافع التي كانت تحرك كل من هذه الجماعات، كان من أقوى نقاط القوة في الجبهة الصليبية[4]. كذلك كان في إقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين الهدف الذي التقت عنده الرؤية الصهيونية والمصالح الأوروبية في إطار المشروع الصهيوني.

وقد يكون من أهم المصالح الأوروبية بشكل عام والبريطانية بشكل خاص علاوة على المصالح الأخرى في الشرق خلال تلك الفترة من القرن التاسع عشر هو زرع (وطن قومـــي) للـــيهود فاصـــل بيـــن مصـــر وسوريا عند نقطة الإتصال بين ضلعي الزاوية الاســـتراتيجية الكبرى في جنوب شرق البحر المتوسط، وهذه عملية تواصلت خطاها من معاهدة لندن سنة ١٨٤٠م وحتى صدور وعد بلفور سنة ١٩١٧م[5].

---

(١) أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص٣٩، ٨٠، ٩١، ٩٩.

(٢) عن عوامل القوة ، أنظر: المصدر نفسه، ج١، ص١٠٠-١٠٩، أنظر أيضاً: أحمد، المصدر السابق، ص٩٧-١٠٠.

(٣) عــن العوامــل الدولية، أنظر دور بريطانيا، وعصبة الأمم، والامم المتحدة، والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الأوروبية في: الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص٣٥-٤٣؛ النتشة، الإستعمار وفلسطين، ص١٠٨-٢٦٠.

(٤) أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٠٥.

(٥) كــان لبريطانــيا مصالح أخرى في الشرق منها: تأمين خطوط المواصلات مع الهند، والسيطرة على طرق التجارة الــبحرية، والســيطرة على البحر الأبيض والبحر الأحمر، وتأكيد مطالب لندن في مركزها المالي والتجاري الحاكم، أنظر: هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٥٥.

وبهــذا الوضع أصبح الكيان الصهيوني يشكل إسفيناً في خاصرة الأمة العربية تم دقــه كحاجــز فاصل بين مصر وبلاد الشام، يقف في وجه وحدتها ونموها وتطورها[١]، ويقــع فـــي الـــزاوية الجنوبـــية الشرقية للبحر المتوسط. وهو بذلك يشبه وضع الكيانات الصليبية من قبل التي كانت تحتل كامل الساحل الشرقي للبحر المتوسط وتشكل أسافين في خاصـــرة المشـــرق العربي الإسلامي آنذاك[٢]، وتعمل كقواعد متقدمة للغرب الأوروبي، وعائقاً يحول دون القيام بتوحيد الجبهة الإسلامية أيضاً[٣].

ومع دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى، فرضت الظروف نفسها على واقع الأحداث، وبدأت ضغوط الحوادث تضيف قوتها إلى ضغوط الإستراتيجيات، وأصبح لزاماً على بريطانيا حتى لا يتعقد مسار الحرب أن تتفق مع فرنسا على الخطوط الرئيسة لقســمة الــتركة العثمانية بين القوتين الكبريين، وأن تضع خريطة جديدة لمنطقة الوطن العربي[٤] تتضمن ما يلي:

١- أنه لا بد من فصل "الساحل" و "الداخل" في خريطة جديدة للوطن العربي، يجري فيه تقاسم النفوذ في الساحل المطل على البحر المتوسط والمنطقة المحيطة به.

٢- يمكــن ترك داخلية البلاد بكل ما فيها من صحاري وقبائل للعرب إذا ما هم ساعدوا الحلفاء على هزيمة الدولة العثمانية.

وبهــذه القسمة يكون الغرب قد قسّم الوطن العربي إلى قسمين: خط عمودي يعزل الســاحل عن الداخل، وخط أفقي يعزل مصر عن سوريا بالكيان اليهودي المزمع إنشاؤه في فلسطين[٥].

---

(١) وعــى نابليون بونابرت وكذلك محمد علي باشا واللورد بالمرستون أهمية الزاوية الإستراتيجية التي تجمع مصــر مــع سوريا، ولذلك كان زرع دولة موالية للغرب ومعادية لأهل المنطقة تضمن عدم التقاء الضلعين عربــياً وإســلامياً وتشــكل عــازلاً بيــنهما من أولى استراتيجيات كل من فرنسا وبريطانيا، أنظر: هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٣٦-٣٧، ٣٨، ٤٥.

(٢) رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص٢٣.

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٦؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص٦٤٦؛ أبو شامة، الروضتين، ج١، ص٣٦؛ جوني، المصدر السابق، ص١٦٩.

(٤) هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٩٢- ٩٣.

(٥) المصدر نفسه، ص٩٣.

ومــن الغريب في الأمر أن الأطراف العربية جميعها ظلت غير واعية لما يجري حولهــا، وقــد جاء إعلان "وعد بلفور" بعد اتفاقية "سايكس-بيكو" ضربة صاعقة لأولئك الذيــن ظنوا أن انتهاء الحرب العالمية الأولى وسقوط الدولة العثمانية سيتبعه بالضرورة قيام دولة عربية تشمل الشام والعراق والحجاز حسبما جاء في مراسلات الشريف حسين- مكماهون[1].

ومــن المفارقــات أيضاً أن الحكومة البريطانية إمعاناً في خداعها للشريف حسين أنكــرت مــا قيل عن خريطة مزعومة لتقسيم المشرق بينها وبين فرنسا وادعت أن ذلك "محــض دعايــة مغرضة قام بها البلاشفة الملاحدة في روسيا لإفساد الصداقة العربية- البريطانية"[2].

وقــد وصـــل الأمـــر بكثير من الساسة العرب وخاصة المصريين منهم إلى عدم إدراكهــم لماهية الصهيونية، بدليل اجتماع عدد من كبار الساسة المصريين ومنهم الملك فــاروق نفسه بعدد من زعماء الحركة الصهيونية ومن بينهم "وايزمن" و "بن غوريون" و "إلياهو ساسون" وغيرهم[3].

وكـــان أن وصـــل الـــتغلغل اليهودي في مصر إلى أن كبرى العائلات اليهودية المصرية مثل "قطاوي" و "موصيري" و "منشة" و "ساسون" وغيرها من العائلات قد فتحت معســكرات لــيس لإيواء اليهود الهاربين من ألمانيا الهتلرية خلال الحرب العالمية الثانية فحسب، بل أصبحت هذه المعسكرات مراكز لتأهيل اليهود وتعليمهم اللغة العبرية والتاريخ العبري، والتدريب العسكري، وتجنيدهم في كتائب، في غفلة من زعماء مصر[4].

وقــد وصلت جرأة الحاخام الأكبر في مصر "حاييم ناحوم" أنه حاول إقناع الملك فــاروق بــأن القــدس حــق لليهود بقوله: "المسيحيون تركوا القدس وذهبوا إلى روما،

---

(١) أنظــر مراســلات الحســين- مكمــاهون في: جامعة الدول العربية- الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين، المجموعة الأولى ١٩٤٥م - ١٩٤٦م، الوثائق من ١-١٠، ص٦-٢٨.

(٢) هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٩٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٢١٦-٢١٧.

(٤) المصدر نفسه، ص١٥٢-١٥٣، ١٥٧.

والمسلمون غيروا وجهتهم إليها وتحولوا إلى مكة، وأما اليهود فقد بقوا طوال العمر يبكون ضياعها"[1].

كذلـــك، ظـــل معظم المسلمين حتى دخول الصليبيين مدينة أنطاكية غير مدركين لطبـــيعة الحركة الصليبية وهدفها، بدليل أن الفاطميين في مصر فكروا في التحالف معهم ضـــد الخلافـــة العباســـية، والأتـــراك الســـلاجقة، لدرجـــة أنهم عرضوا عليهم اقتسام الإمبراطورية السلجوقية فيما بينهم[2].

وفـــي الواقـــع فإن سياسة التحالف مع الصليبيين قد سار عليها العديد من زعماء المسلمين منذ أن وطئت أقدام الصليبيين الأرض العربية. فقد هادنتهم الإمارات العربية في طـــرابلس وشـــيزر وقدمت لهم الميرة والدلالة في طريقهم لبيت المقدس[3]. كما حرصت فـــرقة الباطنـــية على التحالف معهم أيضاً، وكانت من أشد الطوائف خطراً على الإسلام والمسلمين لدرجة أنها عملت على تسليم قلعة بانياس الشهيرة لهم[4].

علـــى أن أمـــر التحالف مع الصليبيين لم يتوقف عند زعيم مسلم بعينه أو طرف مسلم بعينه، فقد ظاهر أمير دمشق معين الدين أنر الصليبيين على إخوانه المسلمين، كذلك اســـتنجد وزراء الخلافـــة الفاطمية في مصر ضرغام وشاور بالصليبيين، وكذلك الصالح إسماعيل الأيوبي صاحب دمشق، وكلهم حالفوا الصليبيين، وطلبوا معونتهم ونجدتهم ضد منافسيهم[5].

ولعل أخطر ما شهدته الحروب الصليبية على واقع الأمة الإسلامية، ذلك التهاون الكبـــير في مقايضة بيت المقدس عند أول خطر هدد المصالح الآنية ونظام الحكم لبعض

---

(١) هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص١٦١.

(٢)Wise, The wars of the crusades, P. 19.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٨؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٤، ١٦٥؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٧٨-١٧٩؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٨٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٧٧؛ الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين، ص٢٠٦.

(٥) لمزيد من المعلومات عن التحالفات مع الصليبيين، أنظر: أبو شامة، الروضتين، ج١، ص٢٣-٢٤، ٦١٤؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص٩٦٣؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٥٧٧، ٥٨٦، ٥٨٧، ٦١١، ٦٦٦، ٧١٦، ٧٦٦، ٧٧٠، ٧٩٩-٨٠١، ٨١٩، ٨٢٣.

زعمـــاء المســـلمين مـــن أبناء البيت الأيوبي. فقد عرض الملك الكامل استعداده لاستعادة الصليبيين لبيت المقدس مقابل جلائهم عن مصر[١].

على أن من أغرب الأحداث، هو ما استطاع الإمبراطور الألماني فردريك الثاني فـــي الحملة الصليبية السادسة الذي حضر بقوة صغيرة لم تتجاوز سوى خمسمائة فارس، وهـــي قـــوة صغيرة لا تستطيع منازلة المسلمين في معركة محلية محدودة، من تحقيق ما عجـــز عـــن تحقيقه ريتشارد قلب الأسد بإمكاناته الضخمة، والحصول على بيت المقدس دون معركة ودون أن يخسر رجلاً واحداً[٢].

ومـــثلما بلـــغ التهاون والتفريط في مقدسات المسلمين في فلسطين من قبل بعض الـــزعامات الإســـلامية أيام الصليبيين، حدث الشيء نفسه وإن كان بدرجة أقل من بعض الزعامات الإسلامية العثمانية والعربية بتساهلها مع المشروع الصهيوني.

فكمـــا تشير مذكرات "مونتيفيوري"[٣] إلى أنه طلب من سلطان مصر محمد علي باشا تسهيل مهمة هجرة اليهود إلى فلسطين أيام كانت تحت حكمه، فكان رد الأخير عليه: "أنـــه يـــتفهم شخصـــياً ما يسمعه منه ويتعاطف مع ما يعاني منه اليهود في أوروبا، لكن القـــرار فـــي شـــأن فتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود إليها هو أمر يتصل بسلطة الخليفة العثمانـــي نفسه"[٤]. وهذا موقف سلبي من محمد علي باشا على عكس تصرفه في مسائل كثيرة، كان يمكن أن يسجله له التاريخ كما فعل السلطان عبد الحميد الثاني.

وعلى الرغم من الموقف المشرف للسلطان عبد الحميد الثاني الذي رفض فيه بيع شبر واحد من أرض فلسطين للصهاينة اليهود، استطاع "مونتيفيوري" الحصول منه على

---

(١) المقريزي، السلوك، ج١، ص٣٥١؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص٣٣٢؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٧٦٦-٧٧٠.

(٢) المقريـــزي، الســـلوك ج١، ص٢٣٠، ٢٣١؛ ابـــن الأثير، الكامل، حوادث سنة ٦٢٦هـــ؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٧٩٢-٨٠٠.

(٣) هو حاييم موسى مونتيفيوري (١٧٨٤- ١٨٨٥م)، يهودي بريطاني ثري، سعى مع الساسة البريطانيين على إقامة دولة يهودية، وقد كان ضابطاً في قصر الملكة فيكتوريا- ملكة إنجلترا، كما أنه مصاهر لآل روتشيلد، العائلة اليهودية العريقة.

(٤) هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الاول، ص٥٧.

فـــرمان يكفـــل فيه حماية الصهاينة اليهود وحرية معتقداتهم الدينية[1]، كما تمكن في العام ١٨٥٤م من الحصول منه على قطعة أرض في القدس أقيم عليها حي يهودي يعرف لغاية الآن بحي "مونتيفيوري"[2].

ولعـــل فـــي موقـــف الإتحاديـــن – بعد توليهم السلطة في الدولة العثمانية– من المشروع الصهيوني والهجرة الصهيونية، ما جعل أعداد المهاجرين منهم إلى فلسطين في زيـــادة مضطردة، لتراخي رقابة الدولة على الحد من الهجرة الصهيونية بالنسبة لما كان عليه الحال أيام السلطان عبد الحميد الثاني[3].

وقد تحدث السلطان عبد الحميد الثاني عن دور الإتحاديين المتواطئ مع الصهيونية بقوله: "إن هؤلاء الإتحاديين قد أصروا علي بأن أصادق على تأسيس (وطن قومي) لليهود في الأرض المقدسة، ورغم إصرارهم لم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف"[4].

وأمـــا علـــى المســـتوى العربي والفلسطيني، فإنه يؤخذ عليهم أنه على الرغم من وعـــيهم المبكر للخطر الصهيوني، إلا أن هذا الوعي، بصورة عامة، سواء على الصعيد الرسمي للحكومات العربية، أو على المستوى الشعبي، لم يكن مماثلاً في الوضوح والعمق والشـــمول لوعي الصهيونية لمشروعها الإستيطاني، كما أن العرب لم يرتقوا إلى مستوى هـــذا الخطـــر، ولم تكن مقاومتهم له في حجم الغزوة الصهيونية. وقد ظهر ذلك جلياً في فلسطين نفسها وفي الإطار العربي وفي المحافل الدولية[5].

وكمـــا هـــو حـــال جمـــيع الحروب العربية – الصهيونية، فقد اعتمد المسؤولون العـــرب الخطب والشعارات الطنانة في معالجتهم للقضية الفلسطينية، ومنها الحرب، دون إيلاء هذه المسألة، الجدية التي تستحقها. ومن الأدلة على ذلك أن اللجنة السياسية المشكلة علـــى مستوى رؤساء الحكومات العربية أصدروا بياناً على أثر صدور قرار التقسيم سنة ١٩٤٧م أعلنوا فيه: "إن عرب فلسطين ... سيعلنون حرباً لا هوادة فيها"، وأن الحكومات

---

(١) أبو عليان، المصدر السابق، ص٢٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٧؛ الشناوي، المصدر السابق، ص ٩٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠٠٢.

(٤) أبو عليان، المصدر السابق، ص٢٢٩؛ النعيمي، المصدر السابق، ص٢٢٨.

(٥) الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص٥٢، ٥١٧.

العربية "ستضطر الى مباشرة كل عمل حاسم يكون من شأنه أن يدفع العدوان ويعيد الحق إلى نصابه"[١].

وقد تكون عرائض الإسترحام وتقديم الشكاوي إلى عصبة الأمم، أو إلى الحكومة البريطانية، أو إلى مجلس الامن، وحتى وقتنا الحالي أكثر من أن تُعَد أو تُحصى، متناسين أن هؤلاء جميعاً مسؤولون عن مهمة محددة وهي تنفيذ "وعد بلفور" في إقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين في المراحل السابقة[٢]، وضمان أمن وبقاء الكيان الصهيوني في المراحل اللاحقة.

وقد يكون في قبول الحكومات العربية وقف القتال (الهدنة الأولى) في ٢٩ أيار ١٩٤٨م دون مبررات عسكرية، سوى الضغوط والتهديدات السياسية الخارجية عليها، ما يدل على القصور العربي الذي أدى إلى تغيير مجرى الحرب برمته[٣].

ومن المفارقات العجيبة أن كلاً من الأردن وسوريا ومصر كانت على استعداد لقبول حل وسط لمشكلة اللاجئين في مؤتمر لوزان الذي عقد بسويسرا عام ١٩٤٩م بين العرب والكيان الصهيوني برعاية الأمم المتحدة، فقد أبدى الأردن استعداده لتوطين مائتي ألف لاجئ فلسطيني، في حين أبدت سوريا استعدادها لتوطين ثلاثمائة ألف لاجئ فلسطيني، إذا أمكن تعديل حدودها مع الكيان الصهيوني بحيث تُضَم المنطقة من الحولة إلى بحيرة طبريا لسوريا، كما أبدت مصر استعدادها لتوطين أعداد من اللاجئين فيها أيضاً[٤].

ومن الجدير بالذكر أن الأقطار العربية لم تنظر إلى بريطانيا على الرغم من الدور الذي قامت به في خدمة الصهيونية، بدءاً من اتفاقية سايكس- بيكو، ووعد بلفور، واحتلالها فلسطين، وجميع ممارساتها في تسهيل هجرة الصهاينة وشراء الأراضي الفلسطينية، كعدو مباشر للعرب، واقتصرت علاقاتها بها على المهادنة والموادعة، لا

---

(١) الكيلاني، الاستراتجيات العسكرية، ص١٤٨.

(٢) هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص١٢٩.

(٣) الكيلاني، الإستراتيجيات العسكرية، ص١٤٩؛ الروسان، العراق وقضايا الشرق العربي القومية، ص٢٦٥.

(٤) هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الثاني، ص٢٤.

بل حتى اعتبارها صديقة كما جاء في نداء الملوك والرؤساء العرب لوقف الإضراب العام في فلسطين سنة ١٩٣٦م[1].

وقد يكون مرد هذا التهاون والتراخي الإسلامي والعربي في استنقاذ فلسطين هو أولوية الإعتبارات الداخلية على الإعتبارات الخارجية، إذ شغلت الأوضاع الداخلية والإنقسامات السياسية والمذهبية الخلافتين الفاطمية والعباسية والسلطنة السلجوقية من أن تقوم بدور حاسم في مواجهة الصليبيين، كما أنهم ظنوا أنهم ببعدهم عن مسرح العمليات الشامي في منأى عن الخطر الصليبي. لذا نرى أن القوتين الكبريين في العالم الإسلامي آنذاك ظلتا بعيدتين في مواجهتهما للصليبيين عن الإلتقاء مع بعضهما البعض ومع القوى الإسلامية الأخرى[2].

وكذلك غلبت الإعتبارات الداخلية للحكومات العربية عن اتخاذ أية تدابير دفاعية لإنقاذ فلسطين من السقوط بأيدي الصهاينة اليهود. ففي الوقت الذي كانت بعض الدول العربية مثل العراق والأردن متحمسة لدخول قوات عربية إلى فلسطين عندما ينتهي الانتداب البريطاني، كانت مصر تعارض ذلك لخوفها من أن يؤثر اشتراكها في الحرب في قضيتها المطروحة على الأمم المتحدة حول جلاء القوات البريطانية عن أراضيها[3].

---

(١) جاء في نداء ملوك العرب في ٨ تشرين الأول ١٩٣٦م ما نصه: "إلى أبنائنا عرب فلسطين، "لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين، فنحن، بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب، ندعوكم للإخلاء إلى السكينة حقناً للدماء، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل. وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم، أنظر: يوسف هيكل، القضية الفلسطينية- تحليل ونقد- مطبعة الفجر، يافا، فلسطين، ١٩٣٧م، ص٢٠٥، وانظر أيضاً: زعيتر، المصدر السابق، ص٤٥٨، مخطوط عن الأصل.

(٢) أبو سعيد، المصدر السابق، ص٢٢٣- ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦؛ كاهن، المصدر السابق، ص١١٨؛ جوني، المصدر السابق، ص٣٠٢.

(٣) انظر ذلك في نص الوثيقة رقم ٢٦٤٨-٤/١.ن ٨٦٧ الصادرة من السفير الأمريكي في القاهرة (بنكين تاك) إلى وزير الخارجية الأمريكي بتاريخ ٢٦ نيسان ١٩٤٨م نقلاً عن: هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٢٤٤-٢٤٥.

كمـــا أن الـــبرلمان المصــــري كان يرى عدم زج الجيش المصري في أي عملية خـــارج الحــدود، وأن تتمثل نصرة فلسطين في الدعم بالمال والرجال والسلاح، ذلك أن مصلحة البلاد تقتضي تركيز الجهود ضد الإحتلال البريطاني[١].

ولـــيس مـــن المـــبالغة القـــول أن الحكومـــات العربية عالجت موضوع القضية الفلســطينية، ببعض الخفة وضعف المسؤولية، وإلى تغليب استعراض القوة على استخدام القـــوة، وإلـــى الاعتماد على صداقة بريطانيا ومن ثم الولايات المتحدة الأمريكية، وإلى اعتـــبار أن الحل للقضية سياسي أكثر منه عسكري، إلى أن وصل خيار السلام في وقتنا الحالـــي هو خيار استراتيجي تنشده كل الأمة العربية من المحيط إلى الخليج العربي دون أدنى اعتماد على أي خيار آخر[٢].

علـــى أن مـــن الإنصـــاف القـــول أن ما من قضية شغلت بال المسؤولين العرب والشـــعب العربـــي على وجه التحديد أكثر من قضية فلسطين، غير أن الظروف الداخلية التي كانت تعيش بها الأقطار العربية وخاصةً تلك المحيطة بالكيان الصهيوني كانت تشكل عائقاً رئيساً أمامها [٣].

وكما كانت فلسطين قبل احتلال الصليبيين لها موزعة التبعية والولاء بين الخلافة الفاطمـــية وأمراء السلاجقة[٤]، ولم يكن لها قيادة من أبنائها، مسؤولاً عن حمايتها والذود عـــنها، بالرغم من أن فلسطين مسؤولية عربية- إسلامية، كذلك كان حالها أيام الإحتلال العثمانـــي ثم البريطاني، إذ لم تكن فلسطين قبل نكبة ١٩٤٨م جزءاً من أية دولة عربية،

---

(١) الكيلاني، الإستراتيجيات العسكرية، ص١٢٦-١٢٧.

(٢) المصـــدر نفسه، ص١٤٧، وأنظر أيضاً: علوش، المصدر السابق، ص١١٨-١١٩. ومن الجدير بالذكر أن خـــيار الســـلام أصبح منذ مؤتمر مدريد الذي عقد بين العرب والكيان الصهيوني برعاية أمريكية وأوروبية الخيار الإستراتيجي الوحيد للعرب.

(٣) انظـــر بـــيان الملـــوك والرؤساء العرب حول التزامهم بالقضية الفلسطينية في : محمد عزة دروزة، حول الحركة العربية الحديثة، ج٤، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٥١م، ص٥٢-٥٣.

(٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٥.

حيـن بلــغ عدد اللاجئين المشردين عن أوطانهم نتيجة الصراعات العربية الداخلية نحو (١٤) مليون لاجئ[١].

وقــد يكون في اختيار التوقيت المناسب لكلتا الحركتين الصليبية والصهيونية، من العوامــل المهمــة التــي ساعدت على تقديم النصر للصليبين والصهاينة على المسلمين والعــرب فــي المشرق العربي الإسلامي. فقد كان توقيت الحركة الصهيونية متلائماً مع حالــة الضــعف والتراجع الذي أصاب الدولة العثمانية في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي ووصل إلى أوجه في مطلع الربع الأول من القرن العشرين، حيث تلاقت الــرؤى الصهيونية مع المصالح الإمبريالية في إطار المشروع الصهيوني[٢]. كما كانت موازين القوى بين المسلمين والعرب من جهة والصليبين أو الصهاينة من جهة أخرى في جانب أعدائهم.

ولكــن وعلــى الــرغم مــن كل مظاهر العجز والتفرقة التي مرت على الأمة، فإنهــا لــم تقــف مكــتوفة الأيــدي، بــل أنهــا قاتلــت الأعداء منذ أن وطئت أقدامهم الأرض العربــية، غــير أن قــتالها لأعدائها كان فرادى، وظلت في مواجهتها لأعدائها بعــيدة عــن جمــع شــمل ووحــدة أبنائها. فقد عجز السلاجقة عن توحيد صفوفهم في مواجهــة الصــليبيين، فقــاتل ســلاجقة الــروم الصــليبيين في الأناضول وحدهم، كما قــاتل ســلاجقة العــراق الصــليبيين وحدهــم، وقاتل الفاطميون الصليبيين وحدهم، ولم يســتطع تدهــور موقفهــم أن يتغلــب علــى مــا كــان بيــنهم وبيــن الســلاجقة من عداوات[٣].

---

(١) اســتقى الباحــث هــذه الإحصائيات عن ندوة لقناة الجزيرة الفضائية في برنامجها "الرأي والرأي الآخر"، ٣/آب/١٩٩٩م، بعــنوان: حول إدارة الصراع العربي– الصهيوني، وانظر أيضاً عن خسائر بعض الدول العربــية فــي حروبها الداخلية أو في حروبها مع الكيان الصهيوني في: هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٢٥.

(٢) أبو عليان، المصدر السابق، ص٢٢٠–٢٣٠؛ الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص٢١–٤٣.

(٣) أبــو المحاســن، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٤٦، ١٥٢، ١٧٨؛ ابو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص٧٥، ٢٢٣–٢٢٤؛ الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين، ص١١٩.

وقـد نـتج عـن عدم التقاء القوى الإسلامية أن انتصر الصليبيون في معركتين حاسـمتين على القوات المسلمة كان يمكن لهما أن تغير من مسار الحملة الصليبية وهما: معـركة أنطاكـية مع السلاجقة سنة ١٠٩٨م، والتي يمكن القول بأنها أخرجت السلاجقة مـن معـركة بلاد الشام، وأصبحت معها يد الصليبيين طليقة فيها، كما صارت الطريق أمـامهم نحو بيت المقدس سالكة. كذلك، أدى انتصار الصليبيين في موقعة عسقلان سنة ١٠٩٩م علـى الفاطميـين، إلـى القضاء على هيبتهم في فلسطين، وإلى أن اصبحت يد الصـليبين طلـيقة فـي فلسطين أيضاً[١]. وقد كانت النتيجة الحتمية لكل ذلك هو تكامل صـورة العـدوان الصـليبي، التـي تمثلت بقيام الإمارات الأربع على الأرض العربية الإسـلامية وعلى امتداده من الشمال الغربي لبلاد الجزيرة حيث إمارة الرها، إلى أقصى الجنوب لبلاد الشام حيث مملكة بيت المقدس[٢].

كذلـك، تـرك العـرب أمـر الدفاع عن فلسطين أمام الغزو الصهيوني في بداية الصـراع لأهلهـا، مـع الإستعانة بالمتطوعين العرب، على أن تقوم الحكومات العربية بدعمهـم بالمال والسلاح والخبرة العسكرية[٣]. وعندما قرر العرب دخول الحرب بعد أن اشـتد الصراع وتزايد خطر المشروع الصهيوني، فإن قسماً من الجيوش العربية اشترك فقط في حرب عام ١٩٤٨م[٤].

وبسبب عدم قيام الأقطار العربية بوضع خطة استراتيجية عامة لها للعمل بموجبها في المجالين السياسي والعسكري في الحرب، انطلق كل بلد عربي يعمل بمفرده، وقاتلت الجيوش العربية- بصورة عامة- فرادى، ولم تقاتل كقوى متحالفة، تعمل تحت إمرة قيادة واحـدة، بل عملت على أسس قيادات عسكرية قطرية، تأتمر بأوامر من قياداتها السياسية القطـرية[٥]، ويغيب عنها مفهوم التعاون العسكري العربي المشترك، مما أدى إلى فقدان

---

(١) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٢٠٣.

(٢) أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٦٩.

(٣) جـاء هـذا الطرح في تقرير اللجنة الفنية المشكلة من قبل الجامعة العربية للتعرف على احتياجات فلسطين ووسـائل الدفـاع عـنها على أثر انعقاد مجلس الجامعة في دورة صوفر، في لبنان (١٦ أيلول ١٩٤٧م). أنظر: العارف، المصدر السابق، ج١، ص١٤-١٥.

(٤) أنظر: الفصل نفسه، ص٤٠، هامش ٢.

(٥) الكيلاني، الإستراتيجيات العسكرية، ص١٣٤، ١٤٦.

مبادئ الحرب الأساسية في نطاق قتال العدو مثل: مبدأ الحشد، والإقتصاد بالقوة، والأمن، وغير ذلك [١].

وليس معنى هذا أن القوى الإسلامية أو العربية لم تلتق بتاتاً أو أنها لم تشكل أحلافاً سياسية وعسكرية في مواجهة الخطر الصليبي أو الصهيوني، بل إن الوقائع تدل على أنه جرت أحلاف فيما بين هذه القوى تمكنت من تحقيق بعض الإنتصارات [٢]، وكذلك أسر بعض ملوكهم وأمرائهم [٣].

غير أن اللافت للإنتباه أن هذا التحالف سرعان ما كان ينفصم بالسرعة نفسها التي تم بها. والحقيقة أن محنة الغزو الصليبي لم تستطع أن تنتزع من أمراء المسلمين رواسب الحقد والشك فيما بينهم، مما منعهم من تشكيل جبهة واحدة متماسكة تعمر طويلاً [٤]. ذلك أن محاولات توحيد القوى الإسلامية، مثل محاولة صلاح الدين على سبيل المثال، لم تكن لتصمد طويلاً بعد وفاة صاحبها. ولم يقدر على خلق دولة موحدة سوى السلطان بيبرس في منتصف القرن الثالث عشر، وذلك من خلال فرضه للوحدة على المشرق العربي الإسلامي [٥].

كذلك، فقد تمكن محمد علي باشا والي مصر من احتلال بلاد الشام عام ١٨٣١م ونجح بذلك في جمع ضلعي الزاوية الشرقية الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط المصري والسوري، وتأسيس دولة عصرية عربية تملك أسباب القوة والوحدة في المشرق العربي [٦]، غير أن الدول الغربية ذُعرت لذلك ولا سيما بريطانيا. ومنذ ذلك الحين أصبحت سياسة الدول الغربية عامة تقوم على أساس الحيلولة دون توحيد الأقاليم العربية كما جاء في توصيات مؤتمر لندن عام ١٩٠٧م.

---

(١) أحمد، المصدر السابق، ص٣٤، ٣٥.

(٢) عن الأحلاف بين القوى الإسلامية، أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧٤، ٣٩٤، ٤٨٥، ٤٩٥-٤٩٦، ٥٥٤-٥٥٥؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٤٧، ١٨٠، ١٩٩، ٢٠١؛ أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٣٣، ١٧٢-١٧٣، ١٧٧-١٧٨، ١٨٨، ١٩٦، ١٩٩، ٢٠٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧٤-٣٧٥؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣٢٤؛ أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٧٢-١٧٣.

(٤) براور، المصدر السابق، ص٦٧، أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٧٦.

(٥) براور، المصدر السابق، ص١٢٧.

(٦) هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٣٨.

وعندما تأسست جامعة الدول العربية، تشكلت النواة الأولى لتكتل عربي من أقطاره السبعة التي أسست الجامعة، بهدف صيانة استقلال البلدان الأعضاء وسيادتها، والمحافظة على السلام والأمن العربيين، وقمع العدوان، حسبما جاء في ميثاقها، إلا انه لم يكن للشؤون العسكرية أو الدفاعية أو الأمن القومي أي ذكر في هذا الميثاق[1].

ولعل في عوامل عدم الثقة، والتباين في النيات والأفعال، وتشكيل المحاور وأطماع الحكام، والارتباط بالقوى الأجنبية، أهم العوامل التي أثرت ولا تزال تؤثر في نوع العلاقات العربية البينية، وفي إيجاد مناخ لا يوفر الأسباب الكافية لعمل عسكري مشترك[2].

وقد جرت عدة محاولات لإيجاد صيغ وحدوية بين عدد من الأقطار العربية مثل: مشروع سوريا الكبرى، ومشروع الهلال الخصيب، ووحدة مصر وسوريا عام ١٩٥٨، والإتحاد العربي بين العراق والأردن عام ١٩٥٨م، ومجلس التعاون العربي الذي ضم مصر والأردن والعراق واليمن، والإتحاد المغاري عام ١٩٨٩م الذي ضم دول المغرب العربي الخمس، ومجلس التعاون الخليجي، غير أن جميع هذه المشاريع لاقت الفشل باستثناء مجلس التعاون الخليجي الذي لا يزال قائماً على الرغم من بعض الخلافات بين أعضائه[3].

ومجرد واقع تفرق المسلمين على إمارات مختلفة، وتفرق العرب اليوم على اثنتين وعشرين دولة عربية، فقد ظلوا يخشون من القوات المرسلة لنجدتهم كخطر يهدد

---

(١) المادة الثانية من الميثاق، وفيها تحديد أغراض الجامعة، وقد جاء فيها: "الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها"، أنظر: محافظة وآخرون، المصدر السابق، ص١٢٩.

(٢) الكيلاني، الإستراتيجيات العسكرية، ص٦٣.

(٣) تشير الوقائع إلى فشل التعاون العربي داخل نطاق الجامعة أو خارجه، فقد وقعت الدول العربية العديد من الإتفاقات الجماعية والثنائية التي لم يتعد أكثرها مرحلة التوقيع نذكر منها: معاهدة الدفاع العربي المشترك في ١٧/حزيران/١٩٥٠م، واتفاقية الدفاع المشترك بين مصر وسوريا في ٢٠/تشرين أول/١٩٥٥م، وبين مصر والسعودية في ٢٧/تشرين أول/١٩٥٥م، وبين مصر والأردن في ٦/آذار/١٩٥٦م، وبين مصر والسعودية واليمن في ٢١/نيسان/١٩٥٦م، وبين سوريا والأردن في ٣٠/آيار/١٩٥٦م، واتفاقية عسكرية بين مصر وسوريا والأردن في ٢٥/تشرين أول/١٩٥٦م.

اســتقلال كــياناتهم[1]. كما ظل أمراء سوريا تحديداً يرون في قوات بلاد ما بين النهرين قــوات أجنبــية علــى نحو ما كانت تستشعره اتجاهاتهم الإقليمية الضيقة[2]، ويرفضون غالباً التعاون معها خشيةً على سلامة إقطاعهم كما كان شأن دقاق وطغتكين[3].

ويمكن القول إن الصليبيين في النصف الأول من القرن الثاني عشر كما هو حال الصهاينة اليوم لم يكن أمامهم خصم حقيقي[4]، إذ إن المسلمين عجزوا عن تعبئة مواردهم لمــدى أكثر من مائة وخمسين عاماً، كما عجز العرب أيضاً في حرب عام ١٩٤٨م وما تلاها من حروب عن تعبئة مواردهم الضخمة[5]، مما أعطى الكيانين الصليبي والصهيوني فرصة الوجود والبقاء.

وقــد يكون في ضغط الشعب العربي- الإسلامي على حكوماته تأثيره الكبير في حمــل هــذه الحكومات على جهاد الأعداء. فقد أثار جمود الحكام في العراق إزاء الخطر الصليبي مشاعر الجماهير في مدينة حلب الذين انضم إليهم الكثيرون من مواطني بغداد، وهاجموا قصر الخلافة، وتنادوا بالجهاد، وصاح أحدهم بالخليفة قائلاً: "أما تتقي الله تعالى أن يكون ملك الروم أكثر حمية منك للإسلام، حتى قد أرسل إليك في جهادهم"[6]، فما كان مــن الخلــيفة إلا أن أرسل إلى السلطان السلجوقي محمد شاه "يأمره بالإهتمام بهذا الفتق ورتقه"[7].

---

(١) سميل، المصدر السابق، ص٦٢، ١٢٢؛ كاهن، المصدر السابق، ص١١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٨٧؛ سميل، المصدر السابق، ص١٢٠.

(٤) كاهن، المصدر السابق، ص١١٨.

(٥) عــن القصــور العربي في فلسطين، أنظر: عقيد ركن عامر حسك، من مأساة فلسطين، مطبعة المعارف، بغــداد، ١٩٦٠م، ص٩٦-٩٧؛ الروسان، العراق وقضايا الشرق العربي القومية، ص٢٦١-٢٦٢، ٢٦٤-٢٦٥، ٢٦٨، ٢٧٠، أنظــر أيضــاً: محمد فيصل عبد المنعم، أسرار حرب ١٩٤٨م، تقديم أنيس منصور، مكتــبة القاهــرة الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٢٣٥-٢٣٦؛ إبراهيم شكيب، حرب فلسطين ١٩٤٨م، رؤية مصرية ، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٣٦٣-٣٧٨؛ الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص١١٩، ١٢١، ١٢٢- ١٢٥، ١٤٦-١٤٧، ١٥٤ هامش١٠، ٥٢٥.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٨٣. وكان الإمبراطور البيزنطي قد أرسل سفارة للخليفة العباسي والسلطان الســلجوقي يحضــهما لقــتال الصليبيين، أو كما يقول ابن القلانسي، ص١٧٣ "مضمونها البعث على قصد الفرنج"، والإيقاع بهم... واستعمال الجد والإجتهاد في الفتك بهم قبل إعضال خطبهم واستفحال شرهم".

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٨٣؛ أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٧٤-١٧٥، ٢٣٥-٢٣٦.

كذلــك، كـــان ضغط الشعب العربي على حكوماته هائلاً، وكان أشد ما يكون في ســوريا ومصـــر. فقد كان الشعبان يدركان أن ضياع فلسطين لا يقتصر على أصحابها الأصـــليين فقط، وإنما يقع تأثيره على كل الأمة العربية، بمقدار تأثيره على فلسطين. وقد عـــبر عـــن هذه الحقيقة الملك فاروق ملك مصر عام ١٩٤٩م بقوله: "من المحتم علي أن أمثل إرادة شعبي .. إن شعبي يريد مواصلة الحرب في فلسطين حتى لو استغرقت الحرب عشر سنوات"[١].

ويمكـــن القول أن تشكيل جيش الإنقاذ لم يكن وليد حاجة استراتيجية، بقدر ما كان امتصاصـــاً للرغـــبة الشـــعبية العامة في الإسهام في إنقاذ فلسطين من التقسيم[٢]. كما أن دخـــول الجيوش العربية فلسطين، كان إلى حد كبير نتيجة خوف الزعماء العرب من أن يكونـــوا موضـــع شك أمام شعوبهم والعرب الآخرين، بدليل أن القوات السورية واللبنانية والمصرية والعراقية والأردنية خاضت الحرب بأوامر مباشرة من زعمائها رغم اعتراض القادة العسكريين على ذلك[٣].

ومن المفيد القول أن انطلاق القوة المعادية من داخل الجبهة الإسلامية ومن داخل فلســطين نفســها، مكنـــت الصليبين والصهاينة من تأسيس رأس جسر لهما في المنطقة العربية، كما أدتا دوراً كبيراً في تسهيل إقامة الكيانين الصليبي والصهيوني على الأرض العربية[٤]. ذلك لأن دولة الأرمن الأولى هي التي حلت محل الإمبراطورية البيزنطية في الســيطرة على مناطق الثغور[٥]، أي أن هذه المنطقة قد أصبحت هي مركز الخطر على المـــناطق الإســـلامية المجـــاورة. كمـــا أن أمير الرها الأرمني "توروس" هو الذي دعا

---

(١) تقرير عن مقابلة بين السفير الأمريكي في القاهرة "ستانتون جريفيث" والملك فاروق بتاريخ ٢ يناير ١٩٤٩م نقلاً عن: هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الثاني، ص٢٢.

(٢) الكيلاني، الإستراتيجيات العسكرية، ص٥٣١-٥٣٢.

(٣) أنظـــر حول ذلك: البدري، المصدر السابق، ص٤٧؛ شكيب، المصدر السابق، ص ١٢٣-١٢٤؛ الروسان، العراق وقضايا الشرق العربي القومية، ص٢٦٨.

(٤) أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٠٦-١٠٨.

(٥) مناطق الثغور أو العواصم كما كانت تعرف في التاريخ الإسلامي: هي مناطق الحدود بين الدولة الإسلامية والإمـــبراطورية البيزنطـــية، وهي على نوعين: منطقة الثغور الشامية، وهي التي تقع على الزاوية الشمالية الشـــرقية لســـاحل البحر الأبيض المتوسط، والثغور الجزرية، وهي الواقعة على الحدود المشتركة بين بلاد الروم وإقليم الجزيرة، وخاصة من ناحية الجنوب، أنظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص١٣٢-١٦٩.

بلدويـــن البولوني، أحد قادة الحملة الصليبية الأولى، ليساعده على حكم المدينة، مما أدى إلى تأسيس إمارة الرها الصليبية فيما بعد.

كذلــك، كان للمستعمرات الصهيونية التي أقامها المهاجرون الصهاينة في فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ولا يزالوا يقيمونها حتى اليوم، الدور الأكـــبر في قيام الكيان الصهيوني في فلسطين واستمرار بقائه. فقد بلغ عدد الصهاينة في فلسطين قبل نشوب القتال بينهم وبين العرب عام ١٩٤٨م نحو (٦٥٠) ألف نسمة أي نحو ٣٢% مـــن مجمـــوع الســـكان فـــي فلسطين، مما مكنهم من تأليف العصابات الإرهابية الصـــهيونية، ثم جيش الدفاع (الإسرائيلي) كما أصبح يطلق عليه فيما بعد. وقد قاتلت هذه القـــوات العرب من داخل الأرض الفلسطينية، وانطلقت بالتوسع إلى خارجها في المراحل اللاحقة[١].

كمـــا ســـاعد اســـتخفاف المســـلمين والعـــرب بالعدو وقواته من إلحاق الهزيمة بهـــم فـــي أكـــثر مـــن واقعـــة. فقـــد أدى اســـتهانة كـــربوقا بالصليبيين عند خروجهم مـــن أنطاكـــية فـــرادى وعـــدم مهاجمـــته لهـــم أن أنزلوا الهزيمة بالمسلمين، فأصبحت بذلـــك الطـــريق مفتوحة أمامهم إلى فلسطين[٢]، لأن أنطاكية كانت تعد آنذاك "مفتاح بلاد الشام".

كذلك، خسر العرب حربي عام ١٩٤٨م و ١٩٦٧م لاستهانتهم بعدوهم الصهيوني، وإغفـــالهم اتخاذ التدابير اللازمة للحرب، ودون خطة استراتيجية عامة لخوضها أو عقائد قتالية، وبالحد الأدنى من الإستعدادات والحشد العسكري والتعاون، معتقدين بأن المسألة لا تســـتلزم أكثر من حشد بعض القوات قرب حدود فلسطين، حتى ترتعد فرائص الصهاينة،

---

(١) تـــم اســـتعمار فلسطين كما نص عليه مؤتمر بال بواسطة إنشاء الكيبوتزات والتي تعني بالعبرية الجماعة، وقدتـــم اختـــيار مواقـــع هـــذه الكيبوتزات بعناية لضرب حصار حول المناطق العربية التي تطمح الحركة الصـــهيونية في الإستيلاء عليها مستقبلاً، كذلك راعت في إنشائها مبدأ عزل فلسطين عن الأراضي العربية المجاورة، أنظر: زهر الدين، المصدر السابق، ص١٠١-١٠٥.

(٢) أشار بعض أمراء المسلمين على كربوقا قتل الصليبيين في أثناء خروجهم أولاً بأول، غير أن كربوقا رفض ذلـــك وأصـــر على قتلهم حال تكامل خروجهم، أنظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ج٢، ص١٣٧؛ الشارتري، المصدر السابق، ص٦١-٦٣؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٦٤-١٦٥.

ثم تتدخل الدول الكبرى لحسم الموقف لصالح العرب[1]، وان الأمر لا يعدو "مجرد ظاهرة سياسية وليست عملاً حربياً"[2]. وقد بلغ حد الإستهانة في اللجنة العسكرية المنبثقة عن مجلس الجامعة العربية في ٩ تشرين الأول ١٩٤٧م قولها إثر سقوط كل مدينة فلسطينية: "لا يهم ذلك، فلتسقط حيفا، فلتسقط يافا، فلتسقط صفد، غداً تستردها الجيوش العربية"[3].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد خاضت الجيوش الإسلامية وكذلك العربية معظم حروبها مع أعدائها ليس فقط فرادى وبالحدود الدنيا من الإستعدادات، وبدرجة عالية من الإستخفاف بالعدو، بل بقيادات ضعيفة، وغير كفوءة، وتفتقر إلى ثقة قواتها بها، كما تفتقر إلى وحدة القيادة، وإلى التنسيق والتعاون فيما بين القيادتين السياسية والعسكرية، وفيما بين الأخيرة والقيادات الميدانية.

كما كانت القوات العسكرية نفسها تفتقر إلى التدريب الجيد، وإلى الأسلحة والذخائر الكافية. وقد انعكس ذلك كله إلى أن الجيوش الإسلامية والعربية كانت معرضة للهزائم المتلاحقة، وإلى فرارها من ميدان المعركة على الرغم من كثرة عديدها وتفوقها على أعدائها[4].

ومما يُذكر أيضاً أن سلاطين السلاجقة في العراق الذين عاصروا تلك الفترة الحرجة من تاريخ الجبهة الإسلامية أمثال: السلطان محمد شاه، والسلطان محمود، والسلطان مسعود، والذين كانت القوة بجانبهم آثروا سياسة الإبتعاد عن التصدي للخطر

---

(١) عن الإستهانة العربية بالعدو الصهيوني، أنظر: خيرية قاسمية، فلسطين في مذكرات فوزي القاوقجي، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، دار القدس، ١٩٧٥م، ص١٧٧؛ شكيب، المصدر السابق، ص ١٧٠؛ الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص٥٢، ٦٤، ٦٨، ١٠٦ – ١٠٨، ١١٥، ١١٩، ١٢١-١٢٤، ١٤٥ – ١٤٨، ٥٢٥، ٥٣٣.

(٢) المقتطف هو لرئيس الوزراء المصري محمد فهمي النقراشي لقائد الجيش المصري في فلسطين عام ١٩٤٨م، أنظر: المصدر نفسه، ص١٥٤، نقلاً عن الأهرام، ٢٤/شباط/١٩٥٣م.

(٣) الحوت، المصدر السابق، ص٦١١، ٦٢٢.

(٤) تعرضت القوى الإسلامية السلجوقية والفاطمية والعربية لسلسلة متلاحقة من الهزائم أمام الجيوش الصليبية منذ أن وطئت أقدامهم أرض المشرق العربي الإسلامي وحتى عام ١١٠٣م حين بدأت المقاومة الإسلامية تحرز بعض الإنتصارات على الصليبيين، أنظر: الشارتري، المصدر السابق، ص٤٥-٤٩، ٥٤، ٦١- ٦٨، ٧٤-٧٥، ١١٣-١١٩، ١٣٥- ١٤٥، ١٥٦-١٥٧، ١٩٦-٢٣٣؛ أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص ١٣١، ١٣٧، ١٤٠- ١٤٢، ١٦١، ١٨٦، ١٩٣- ١٩٤، ٢٠٠-٢٠١، ٢٠٥.

الصليبي، ولم يذكر عن أي منهم أنه قاد حملة بنفسه، وتوجه لمحاربة الصليبيين[١]، على عكس الصليبيين الذين حاربوا المسلمين وملوكهم على رأس جيوشهم. وهنا بالذات تكمن نقطة الوهن الرئيسة، إذ من المفروض أن تكون هذه القوات جزءاً من جيش السلطان كله، ولكـــنها بـــدون قيادته لا تعدو تحالفاً بين عدد من أتباعه، لا يلبث أن يصاب بالشلل التام نظراً لعدم تعاون وتمرد الأمراء ضد بعضهم البعض كما أثبتته الأحداث [٢].

وقـــد كانت جيوش السلاجقة الضخمة المرسلة لمواجهة الصليبيين، خلال العقدين الأوليـــن مـــن القرن الثاني عشر، مركبة (مجمعة) [٣]، ودون قيادة فاعلة، وكان ينقصها التلاحم، كما كانت عرضة للتفكك والتشتت من تلقاء ذاتها[٤].

أمـــا الجـــيوش الفاطمـــية، فعلـــى الرغم من قيادة الوزير الأفضل الملقب بأمير الجيوش لها، فإنه يؤخذ عليه عدم حنكته العسكرية بعكس حنكته السياسية والإدارية. وقد مُنيـــت الجيوش الفاطمية بسلسلة من النكسات العسكرية أمام الصليبيين منذ العام ١٠٩٩م حتى العام ١١٦٩م حينما أصبح صلاح الدين حاكماً لمصر، باستثناء العام ١١٠٢م عندما حققت مصر نصراً حاسماً على الصليبيين لم تستطع استثماره[٥].

كذلـــك، كان حال القوات الشعبية والجيوش العربية في تصديها للقوات الصهيونية فـــي فلسطين. إذ أن القيادة السياسية للنضال الفلسطيني فشلت في تعبئة الموارد المتاحة، ومـــنها وسيلة الكفاح المسلح، ولم تبلغ حد إدراك الضرورة لإقامة تنظيم ثوري عسكري، كمـــا أحجمـــت عن دعم الثورات والمنظمات الفدائية كثورة عام ١٩٣٥م ومنظمات مثل "الفدائـــية" و "الكـــف الأخضر" و "عصبة القسامين"، كما أنها فشلت في التعامل مع القوة

---

(١) أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص٢٣٦-٢٣٧.

(٢) يمكـــن الرجوع إلى ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٦، ٤٨٧، وابن العديم، زبدة الحلب، ص٥٧٩-٥٨٠ للحصول على أمثلة عن مثل هذه الظروف. كما يسجل ابن الأثير في الصفحة ذاتها تسجيلاً لموقف الامراء من كربوقا أثناء حصار أنطاكية، أنظر أيضاً: سميل، المصدر السابق، ص١١٩-١٢٠.

(٣) كانـــت جـــيوش السلاجقة تتألف من قوة ضاربة تدعى "العسكر" تقوم بالمهام الروتينية والعمليات الصغيرة، وهـــي مؤلفة من المماليك، وثانياً من القوات التابعة لحكام الإمارات، وأية احتياطات أخرى يمكن تجهيزها، وذلك لتنفيذ العمليات العسكرية الكبرى.

(٤) Wise, The wars of the crusades, p.56.

أنظر أيضاً: سميل، المصدر السابق، ص١٢١.

(٥) المصدر نفسه، ص١٤١-١٤٢.

العسكرية العربية بقيادة فوزي القاوقجي، والاستفادة منها في مجال العمل العسكري المسلح العام، وزاد من الأمر تعقيداً هروب هذه القيادة إلى خارج فلسطين خوفاً من ملاحقة سلطات الإنتداب لها(١). علاوة على ذلك لم يستطع العمل الثوري المسلح من حل مشكلة وحدة القيادة على الصعيد العسكري(٢).

وإذا كانت القيادات الفلسطينية تعاني من الإضطراب والفوضى والقصور، فإن الجيوش العربية التي دخلت فلسطين محاربة كانت تعاني أوضاعاً أشد وأقسى. فقد أنشأت الدول العربية قيادة عليا لجيوشها بقيادة الملك عبد الله بن الحسين، غير أن هذه القيادة لم تكن تملك من وسائل القيادة والسيطرة ما يمكنها من الممارسة الفعلية لهذه القيادة، كما لم تُعط الصلاحيات والسلطات لتحريك الوحدات العسكرية في هذه الجبهة أو تلك طبقاً لخطة مركزية واحدة(٣)، علاوة على أنها لم تحظ بثقة بعض الحكومات العربية بها(٤).

أما قرار دخول الجيوش العربية فلسطين في ١٥ أيار ١٩٤٨م، فقد جاء بعد أن تنسحب القوات البريطانية من فلسطين خشية الإصطدام معها، كما جاء قرار تعديل خطة دخول هذه القوات من قبل القيادة العامة لهذه الجيوش ثم إلغاء هذه التعديل، سبباً في حرمانها من العمل على الخطوط الخارجية(٥). علاوة على ذلك، فقد كان لقبول الهدنات المتكرر، واقتصار عمل بعض الجيوش العربية على مناطق حدود التقسيم، إضافة إلى قوة

---

(١) من أجل أدلة ووقائع على هذه المقولة، أنظر: الكيالي، المصدر السابق، ص١٩٤-١٩٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٣٦، ٢٤٤-٢٤٥، ٢٥١، ٢٦٩، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣١٢.

(٢) علوش، المصدر السابق، ص٩٩؛ الكيلاني، الاستراتيجيات العسكرية، ص٥٢١، ٥٢٤، ٥٢٧، ٥٣٥.

(٣) المصدر نفسه، ص١٢١، ١٣٥؛ سليمان موسى، أيام لا تنسى، الأردن في حرب ١٩٤٨م، مطابع القوات المسلحة الأردنية، عمان، ط١، ١٩٨٢م، ص٦٣، ٦٦.

(٤) رغب الملك عبد الله بزيارة مركز القيادة المصرية في فلسطين بصفته القائد العام، ولكن طلبه قوبل بالاعتذار، أنظر: المصدر نفسه، ص٣٤٨.

(٥) الخطوط الخارجية أو المتقاربة: مصطلح عسكري يخص مسرح العمليات، وفيه تعمل القوات العربية من جهات متعددة ثم تتقارب خطوط عملها باتجاه المركز، ويتطلب هذا الأجراء خطة استراتيجية واحدة، تنبثق منها خطط عملياتية منسقة، وتحت إمرة قيادة عامة واحدة.

العدو الصهيوني وحسن تنظيمه وتدريبه وتجهيزه، ما ساعد على الوصول إلى هذه النتيجة المفجعة[1].

وعلـــى الــرغم من هذه الصورة القاتمة التي كانت عليها حال الجيوش الإسلامية والعربـــية أثـــناء تصديها للغزوين الصليبي والصهيوني، فقد روت دماء الشهداء الأرض العربـــية عامـــة وفلســـطين خاصة. وشكل السلاجقة في آسيا الصغرى خط الدفاع الأول عن العالم الإسلامي، وكان قدرهم أن يظلوا في مواجهة دائمة بينهم وبين البيزنطيين على امـــتداد المســـافة التـــي كانت تشكل الحدود الفاصلة بينهما، والتي كانت تمتد من البحر الأبيض المتوسط إلى البحر الأسود[2].

كما قيض الله لهذه الأمة من حمل لواء الجهاد حتى تم طرد آخر صليبي من على هـــذه الأرض كأمثال عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي، والظاهر بيبرس وأولاده. وكان لسقوط الرها على يد عماد الدين زنكي سنة ١١٤٤م وقعه الشـــديد علـــى الصليبيين كأول تراجع لهم عن الأرض العربية الإسلامية، لا يعدله سوى ســـقوط القدس على يد صلاح الدين سنة ١١٨٧م، وسقوط عكا سنة ١٢٩١م كآخر معقل صليبي في فلسطين على يد السلطان الأشرف خليل[3].

كذلك، عمل العثمانيون على نقل الصراع مع الغرب إلى الأرض الأوروبية نفسها، أي على عكس الحالة التي مثلتها الحروب الصليبية بنقل الصراع مع الشرق الى الأرض الآسيوية. كما أدى العثمانيون دور الحماة للعالم الإسلامي والعربي وأخروا سقوط الوطن العربي تحت نير الاستعمار الأوروبي لفترة طويلة[4].

كمـــا أن الجيوش العربية استطاعت في حرب عام ١٩٤٨م الحد من احتلال العدو الصـــهيوني لفلســـطين بكاملها، على الرغم من أن هذا الأمر قد تحقق للعدو في الحرب

---

(١) انظـــر: أحمـــد، المصدر السابق، ص٢٥-٣٤؛ الكيلاني، الإستراتيجيات العسكرية، ص٨٨-١٠٢، ١١٤-١١٥، ١١٨-١١٩.

(٢) أبو سعيد، المصدر السابق، ج١، ص١٦، ٩٤؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٧١، ١٠٥.

(٣) انظـــر سقوط الرها وبيت المقدس وعكا في: المصدر نفسه، ج٢، ص٦٣٧، ٩٣٥؛ قاسم، رؤية إسرائيلية، ص١٨.

(٤) الجميل، المصدر السابق، ص٨٩، ٩٨، ١٢٣، ٢٩٥.

العربية- الصهيونية الثالثة عام ١٩٦٧م. ويتضح ذلك من قول إيغال آلون، قائد البالماخ آنذاك: "لولا تدخل الجيوش العربية لما كان هناك من يوقف توسع قوات الهاجناه التي كانت تستطيع، خلال اندفاعها، الوصول إلى الحدود الطبيعية لإسرائيل الغربية، لأن معظم قوات العدو المحلية في أثناء هذه المرحلة كانت مشلولة"[١].

ومن غرائب الأمور أن الصهاينة اليهود الذين يعيثون في الأرض العربية الفساد اليوم، ويقتلون الشعب العربي الفلسطيني ويهجرونه، لقوا من المعاملة الحسنة، وحرية العيش والعبادة، في ظل الحكم الإسلامي والعربي ما لم يلقوه طوال الحقب الزمنية التي عاشها اليهود في شتاتهم، على عكس حالات الظلم والإضطهاد والقتل والتشريد التي تعرضوا لها في مختلف الأزمان خصوصاً على أيدي الأوروبيين.

ففي خلال العصر الإسلامي لقي اليهود وباقي أهل الذمة المعاملة اللائقة، ولم يظهر في ظل النظام الإسلامي ما سمي بالمسألة اليهودية التي تحتاج إلى حل، ولا ما عُرف بالغرب بالعداء للسامية، إذ لم يكن العرب والمسلمون معادين قط لليهود ولا اليهودية، ويشهد بذلك كبار المؤرخين المسيحيين واليهود أنفسهم[٢].

كما لاقى اليهود من مختلف السلاطين العثمانين المعاملة الحسنة، وتعتبر الدولة العثمانية الدولة الوحيدة التي لم يحصل فيها اضطهاد لليهود. وهذه المعاملة الطيبة لم تتغير إلا بعد نشوء الصهيونية وغلاتها من الصهيونيين اليهود وغير اليهود[٣].

---

(١) محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها: تاريخ ومذكرات وتعليقات، ج١، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٥٩م، ص٧٧.

(٢) عن وضع اليهود في ظل الحكم الإسلامي والعربي، أنظر: النتشة، الاستعمار وفلسطين، ص٤٦-٦٠؛ الدجاني، فلسطين والتحديات التوراتية الصليبية، ص١٠٩-١١١.

(٣) هيكل، المفاوضات السرية، الكتاب الأول، ص٤١؛ سمير جريس، القدس- المخططات الصهيونية- الاحتلال، التهويد، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط١، ١٩٨١م، ص١٦-١٧.

الفصل الخامس

النظام السياسي والإداري والعسكري للحركتين الصليبية والصهيونية

١- النظام السياسي والاداري للحركة الصليبية.

٢- النظام السياسي والاداري للحركة الصهيونية.

٣- التوافق التاريخي بين النظام السياسي والإداري للحركتين الصليبية والصهيونية.

٤- النظام العسكري للحركة الصليبية.

٥- النظام العسكري للحركة الصهيونية.

٦- التوافق التاريخي بين النظام العسكري للحركتين الصليبية والصهيونية.

النظام السياسي والإداري للحركة الصليبية

خــلال حصار القدس، ثار الجدل حول إذا ما كان ينبغي اختيار بطريرك للمدينة قبل انتخاب حاكم علماني لها، لما للقيم الروحية من أسبقية على الإعتبارات الدنيوية، غير انه تقرر تأجيل البت في هذا الموضوع إلى ما بعد احتلال المدينة[١]. ولكن بمجرد أن تم الإســتيلاء علــى القــدس، وبعد احتفال الجيش المنتصر في كنيسة القيامة، كان لابد من الوصول إلى حل لمشكلة عدم وجود زعيم أو قائد يعترفون له جميعا بزعامته، ويعهدون إليه بتنظيم جهودهم فضلاً عن تنظيم البلاد التي احتلوها[٢].

ثــم كان أن اجتمع زعماء الحملة الصليبية الأولى في ١٧ تموز ١٠٩٩م، وقرروا انتخاب جودفري كزعيم علماني، وكمدافع عن المدينة، بعد استبعاد فكرة قيام حكومة دينية بإشــراف الكنيســة[٣] وقــد اتخــذ له لقب حامي القبر المقدس[٤] بدلاً من لقب ملك بيت المقدس، وكان ذلك اعترافاً منه بأن الدولة الجديدة ليست لها الصفة السياسية البحتة، وأن لها صفة دينية تجعل للكنيسة نوعاً من الإشراف عليها[٥]. وبانتخاب جودفري بدأت حقبة جديــدة مــن تاريخ الحركة الصليبية، فضلاً عن أيدلوجيتها: وهي إنشاء مملكة أوروبية ومجــتمع أوروبــي فــي الأرض المقدسة، وانتقلت الحركة بذلك من المرحلة الدينية إلى المرحلة السياسية[٦].

وهكــذا في إطار الوجود الأوروبي على تراب الشرق، ظهرت إلى الوجود أربعة كــيانات سياســية، كانــت مملكة بيت المقدس هي الكيان السياسي الذي أضفى فيه إسم العاصــمة، المهيب على حاكمها لقب ملك، كما منحه ذلك نوعاً من الأفضلية والتميز بل وزعامــة بقــية الكيانات الصليبية الأخرى[٧]. كما اجتذبت بيت المقدس أعداداً كبيرة من

---

(١) براور، المصدر السابق، ص ١١٧.

(٢) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ١٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص١٩٧.

(٤) Runciman, A history of the crusades, Vol.I pp. 292-293.

(٥) عاشــور، الحــركة الصــليبية، ج١، ص ١٩٨، وانظر أيضاً: Prawer, the latin kingdom of Jerusalem, p.474.

(٦) Ibid , p.473.

(٧) براور، المصدر السابق، ص ١٢٠؛ باركر، المصدر السابق، ص ٤٠-٤١.

الحجاج القادمين من الغرب، لتزيد بذلك من قوة جيش المملكة، ولتمد الصلبيين بدماء جديدة. ولعل ما هو أهم من ذلك، أن موانئ المملكة اجتذبت المدن الإيطالية، فأمدت المملكة بالأساطيل وبآلات الحصار التي مكنتها من احتلال المدن الساحلية، مقابل الحصول على الإمتيازات[١].

وبعد وفاة "جود فري" تولى أخوه وخليفته بلدوين الأول حكم المملكة، حيث توج نفسه ملكاً للقدس في كنيسة المهد في بيت لحم سنة ١١٠٠م، وأطلق على نفسه ملك "بابل ومصر"[٢]. ويُعّد بلدوين الأول في نظر كثير من المؤرخين المؤسس الحقيقي لمملكة بيت المقدس، لما عُرف به من الحنكة السياسية والدراية التنظيمية، علاوة على كونه محارباً صليبياً قديراً [٣].

ومن الجدير بالذكر أن النظام السياسي في المملكة اللاتينية قام على أساس من النظام الإقطاعي، وهو النظام الوحيد الذي كان يعرفه الغرب، وإن كان قد تم تعديله لمواجهة الظروف المحلية والتحديات المفروضة، واحتياجات البلاد المحتلة[٤]. فقد كان الملوك والأمراء يمنحون الإقطاعات والضياع والقرى لأتباعهم عادة، لكي يضمنوا لهم دخلاً يمكنهم من القيام بواجباتهم العسكرية. وكانت أولى الإقطاعات هي الأملاك الملكية والأميرية التي كانت تشتمل على كل الأراضي المحتلة حديثاً، وكانت المدينة هي المركز المالي والتشريعي والإداري للدولة الصليبية[٥].

وعلى الرغم من الإقتصاد المالي المتطور الذي وصلت اليه المملكة، والذي أدى إلى خلق ملكية بيروقراطية، يديرها موظفون رسميون برواتب ثابتة، وجيش يتقاضى أفراده أجورهم، الا أن الصليبيين نظموا دولتهم وفقاً للتقاليد التي جلبوها معهم من أوروبا[٦]، وكان نتيجة تنظيم الحكومة على أسس إقطاعية أن انقسم الإقليم إلى أربعة اقطاعات رئيسية هي: كونتية يافا، ثم إمارة الجليل، وبارونية صيدا، وبارونية ما وراء

---

(١) باركر، المصدر السابق، ص ٤١.

(٢)prawer , the Latin kingdom of Jerusalem, p.475.

(٣) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٢٦٥.

(٤) براور، المصدر السابق، ص ١٢٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٢٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٢٩.

نهـر الاردن، واثنـي عشـر إقطاعاً ثانوياً[١]. وبعد نحو ثلاثين عاماً صارت الخطوط العريضة للنظام الإقطاعي في المملكة ثابتة ومستقرة.

على أن أهم خصائص المملكة اللاتينية في بيت المقدس انما تتضح فيما أقامته من نظام القضاء. فكانت المحكمة العليا، هي النظام الرئيس الذي قامت عليه الحكومة الملكية، وهـي محكمـة قانونية في المقام الأول، مهمتها إرساء العدالة بين أتباع الملك، ومعالجة المشاكل الخاصة بإقطاعاتهم.

ومع أنها مجلس إستشاري أصلاً، إلا أنها تحولت بالتدريج لتصبح العامل السياسي الحاسم في المملكة [٢]. فأمور السياسة الخارجية، وإعلان الحرب والسلام، وإصدار التعبئة وفـرض الضـرائب الإسـتثنائية، كانـت كلها أموراً خاضعة لمداولة المحكمة العليا[٣]. وبالإضـافة للمحكمـة العليا، فقد تكونت عدة أنواع أخرى من المحاكم للنظر في القضايا المقامـة مـن غير النبلاء مثل المحكمة الوطنية، أو للنظر في أمور العامة مثل المحاكم المحلـية أو الطائفية، أو للنظر في قضايا التجار مثل محكمة المدن، أو للنظر في القضايا الـبحرية مـثل محكمـة الموانيء. كما كان للأحياء الإيطالية محاكم خاصة بها يرأسها القنصل وكذلك كان للكنيسة محاكمها المستقلة[٤].

أمـا نظـام المُلْـك، فقـد اتبعت هذه الدولة النظام الملكي، الوراثي، الإنتخابي، الإقطاعي[٥]، المعتمد على النظام القضائي الذي يخضع له الجميع، وعلى مجموعة قوانين سميت بقوانين بيت المقدس[٦].

---

(١) رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٧٥-٤٧٦.

(٢) براور، المصدر السابق، ص ١٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(٤) لمـزيد من التفاصيل عن مهام المحاكم ومستوياتها، أنظر: رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٨١-٤٨٦؛ باركر، المصدر السابق، ص ٥٨-٦٥.

(٥) حيـث كـان الملك يرث العرش، ثم يجري انتخابات شكلية لتثبيت هذه الوراثة، ويصبح الملك بالإضافة لمركزه سيداً للإقطاع، أنظر: المصدر نفسه، ص ٥٤-٥٦.

(٦) حكمت المملكة بواسطة مجموعة من الأنظمة التي تراكمت عبر السنين، بالإضافة لما لحقها من أعراف وتقاليد كانت تُعـدل بما يصدر من إعلانات أو قرارات خاصة. وليس كتاب "إلى الملك" أو" قوانين بيت المقدس" إلا تسجيلاً أرشيفياً للتغـيرات التـي طـرأت على قرارات معينة، ولم يُكوّنا في أي يوم دستوراً أو قانوناً ثابتاً. ويمكن تحديد ستة قوانين صـدرت في القرن الثالث عشر زمن الدوق غودفري، وأحد عشر قانوناً زمن الملوك، ابتداءاً من بلدوين الأول حتى بلدويـن الرابع، أي بالفترة المحددة حتى سنة ١١٨٧م، ولم يتحدد تاريخ صدور ثمانية قوانين أخرى، أنظر: رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٨٦.

وعلى الرغم من أن الملك كان يتولى مناصب وسلطات هامة كقيادة الجيش،ورئاسة النظام الإقطاعي، وبأنه المرجع الأعلى في حل كافة القضايا، إلا أنه كان يتمتع بسلطات محدودة، وذلك لعدم استناده إلى دستور ثابت ومحدد البنود والصلاحيات، إذ لم يتوفر مثل هذا الدستور طوال الحكم الصليبي، لا في مملكة القدس ولا في الإمارات الأخرى[1].

أما الإدارة في مملكة بيت المقدس فقد تركزت في أيدي كبار موظفي البلاط، الذين يختارهم الملك من بين كبار المقطعين بالمملكة. وكان الفيكونت* أهم موظفي الإدارة المحلية، فهو يمثل الملك في كل المدن التي تقع في إقطاعاته، ويمثل السيد في مدن بارونيته[2]، وكانت اللاتينية هي لغة ديوان الرسائل، وجرى تأريخ الوثائق بالتاريخ الميلادي، وفي بعض الأحيان جرى إضافة السنة التي استهل الملك فيها حكمه أو السنة التي سقطت فيها القدس[3].

وتشير الدلائل المتوفرة إلى أن الصليبيين، كفئة حاكمة، لم يكونوا يُبدلّون ما نهج عليه سابقوهم، والمرجح أنهم حافظوا على نظم المحاسبة والتسجيل التي وجدوها قائمة[4]. كما أن الحكام الصليبيين كانوا يُطبّقون نظاماً يؤمن لهم ريعاً يجنونه من السكان المحليين ويتركون لهم قدراً لا باس به من الحرية في ترتيب شؤونهم المحلية[5]. علاوة على ذلك فإنه لم يجر استبعاد المسلمين من شغل الوظائف الحكومية الصغيرة، فتقرر استخدامهم مع المسيحيين الوطنيين، في الجمارك وجباية الضرائب[6].

---

(١) رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٧٩.

* الفيكونت: هو أحد كبار موظفي الدولة، وكان مسؤولاً عن جباية الضرائب والمحاكم المحلية وحفظ الأمن بوجه عام في مدينته، ويجرى انتخابه من أسرة نبيلة، غير أن وظيفته ليست وراثية.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٨٨.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٨٨.

(٤) سميل، المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٠٥.

(٦) رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٧٩.

أمـــا علاقة الملك بالإمارات الصليبية الأخرى، فإنه يمكن القول بأن هذه الإمارات قـــد ســـلكت منذ البداية وحتى النهاية مسلك الإمارات المستقلة، وكان استقلالها السياسي حقيقة ظاهرة في التاريخ الإستيطاني الصليبي(١).

وهـــم وإن كانوا قد انضموا بقواتهم في قتال المسلمين إلى جانب الملك، فقد فعلوا ذلـــك كأسوياء معه، وليس تابعين له(٢). والواقع أن السيادة لم تظهر إلا حينما كان الملك مـــن القوة ما يكفي لفرضها، بل لم تعتبر أنطاكية أو طرابلس، من الناحية النظرية جزءاً من مملكة بيت المقدس(٣).

أمـــا علاقـــة المملكـــة بالإمبراطورية البيزنطية، فإنها ظلت غير محددة إذ اعتبر بلدويـــن الثالث وأملريك الصداقة البيزنطية أمراً جوهرياً لسياستيهما، ولذا كانا مستعدين لبذل ولائهما، غير أن هذه التبعية لم تعد سوى وسيلة مؤقتة لا غاية في ذاتها(٤). وإذا كان لملك بيت المقدس من سيد أعلى، فلم يكن سوى البابا، لأن البابوات ظلوا يعتبرون أنفسهم مسؤولين عن توفير الدعم المادي والدبلوماسي للبلاد المقدسة(٥).

---

(١) Prawer, the Latin kingdom of jerusalem, pp.480-481.

(٢)wise, the wars of the crusades p.21.

(٣) رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٨٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٩٦.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٩٧.

النظام السياسي والإداري للحركة الصهيونية

إن الكيان الصهيوني هو من أكثر الكيانات شذوذاً في العالم، إذ أنه قام على أنقاض شعب آخر هو الشعب الفلسطيني[1]. بالإضافة لذلك، فهو كيان ليس له مثيل، ليس فقط في (القومية)، وإنما في الدين واللغة أيضاً[2].

ومـــن الملاحظ أن الدعاية الصهيونية قامت على أساس اعتبار الحركة الصهيونية حـــركة (قومـــية) وحـــركة تحرر وطني، هدفها الحصول على الإستقلال، وإقامة الدولة اليهودية في فلسطين، ويؤكد " بون غوريون" هذا المعنى بقوله: " إن معنى اليهودية يكمن في كلمة واحدة.. الإستقلال، الإستقلال للشعب اليهودي في وطنه"[3].

كمـــا أن الصـــهيونية وعدت اليهود بأن تنشئ لهم دولة تكون نموذجاً يُحتذى به، مـــن كـــل الأمـــم ومصـــدر كـــبرياء وفخر لهم في كل أنحاء العالم[4]. ولذلك، فقد تبنت الصـــهيونية الأفكـــار "الإشتراكية وعملت على تطبيق الديمقراطية وحرية الفرد كأساس لنظامها السياسي، يكون نموذجاً للأجيال اليهودية القادمة.

وقـــد تشـــكلت نـــواة التنظيم السياسي للكيان الصهيوني في وقت مبكر من عهد الإنـــتداب البريطانـــي مثل الهستدروت والوكالة اليهودية واليوشاف* (القرى الزراعية)، والهاجـــناه وغـــيرها من المؤسسات التي أصبحت فيما بعد نواة لمؤسسات الدولة للكيان الصهيوني[5].

---

(١) ظهر الكيان الصهيوني إلى حيز الوجود في فلسطين بفضل قرار من الأمم المتحدة، هو قرار التقسيم رقم "١٨١" الصادر في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧م.

(٢) شريت، المصدر السابق، ص ٦٣.

(٣) نوفل، المصدر السابق، ص ١٣١.

(٤) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص ١٥٥.

* اليوشـــاف: هـــي جمـــع يوشافيم، وهو الإستثمار التعاوني في الكيان الصهيوني ويقوم على مبدأ: ملكية الأمة للأرض، والمزارع مستأجر للأرض وليس مالكاً لها كما لا يحق له توريثها لأفراد عائلته، وتوزيع الأرض على المزارعين بالتساوي تبعاً لنوعية الأرض والموقع والري والمناخ.

(٥) الجادر، المصدر السابق، ص ١٧١،١٧٢.

وبعد قيام هذا الكيان تشكلت السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وجرى دمج المؤسسات المتشابهة في الوظيفة وحل المؤسسات التي انتهت مهمتها مع قيام الكيان. وهكذا تبلورت معايير قانونية ورسمية للنشاط السياسي، وتم سن قوانين جديدة وإلغاء قوانين قديمة لتسيير دفة العمل في مؤسسات الدولة للكيان الصهيوني[١].

وبشكل عام يمكن وصف المؤسسات السياسية الصهيونية من الناحية الشكلية بإطارها الديمقراطي، وبطبيعتها التمثيلية الحزبية، ومسؤولية السلطة التنفيذية أمام السلطة التشريعية[٢].

وقد تبنى الصهاينة منذ البداية اتجاهين سياسيين مختلفين؛ الإتجاه السياسي الأصولي المتطرف، والإتجاه الإشتراكي الليبرالي المعتدل. وقد تمثل هذان الإتجاهان فيما بعد ليصبحا حزبي الليكود والعمل[٣].

ونظام الحكم في الكيان الصهيوني جمهوري ديمقراطي برلماني ويطلق على رئيسها " رئيس دولة إسرائيل". وقد قسمت هذه الدولة إدارياً إلى ستة مناطق هي: المنطقة المركزية، حيفا، القدس، المنطقة الشمالية، المنطقة الجنوبية، وتل ابيب، وقد اتخذت من مدينة القدس عاصمة لها[٤].

ولا يوجد للكيان الصهيوني دستور مكتوب كما لا يوجد له حدود واضحة، وليس فيه فصل بين الدين والدولة[٥]. أما نظامه السياسي الرسمي فيتألف من القانون العام البريطاني، وتعليمات الانتداب البريطاني، والتشريعات والأعراف المتبعة لدى المسلمين، والمسيحيين واليهود[٦].

---

(١) قاسم، ادارة الحرب في اسرائيل، ص ١٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(٥) شريت، المصدر السابق، ص ٦٤،٦٥.

(٦) سنّ الكيان الصهيوني بعد إعلان استقلاله في ١٤ ايار ١٩٤٨م عدداً من القوانين مثل: قانون الكنيست، وقانون المواطنة (الاسرائيلية)، وقانون أراضي الدولة، وقانون المحاكم الدينية، وقوانين أخرى.

وتقــوم سياسة الكيان الصهيوني الداخلية على مركزية الحكم بسبب الظروف التي يعيشها الكيان وسط محيط عربي معاد له. فالكيان الصهيوني هو دولة مهاجرين بالأصل، عــدا فــئة الصابرا (هم مواليد الكيان الصهيوني) والأقليات العربية، مما يتطلب سيطرة مركــزية لاســتيعاب المهاجرين الجدد، كما أن الحروب المستمرة فرضت عليه الاحتفاظ بجيش كبير وموازنة دفاع عالية مما أدى إلى عسكرة النظام السياسي فيه[١].

وتــؤدي الأحــزاب السياســية دوراً بارزاً في الحياة السياسية للكيان الصهيوني، وتتبــنى هذه الأحزاب اتجاهات وتيارات فكرية واجتماعية وسياسية مختلفة. وقد أعطت التشريعات الإنتخابية للأحزاب أهميتها، فالحزب القوي الذي يفوز في الإنتخابات هو الذي يشــكل الحكومــة وبالتالي يحكم البلاد. وقد تمكن حزب العمل في الكيان الصهيوني من تولــي رئاســة الحكومة نحو ثلاثين عاماً متواصلة[٢]. غير أن نظام الإنتخابات في هذا الكيان لا يتيح الفرصة لحزب واحد من الإنفراد في الحكم، مما يفرض على الحزب الفائز الدخــول فــي ائتلاف حكومي مع الحزب الذي يليه في الأصوات او الأحزاب الصغيرة الأخرى مما يجعل موقف الحزب الحاكم ضعيفاً ولا يستطيع أن ينفرد في السلطة[٣].

أما السلطة القضائية في الكيان الصهيوني فهي مستقلة استقلالاً تاماً، وقرار محكمة العــدل العلــيا الصهيونية يُعتبر نافذ المفعول وغير قابل للطعن أو النقض أو الإستئناف، ولذلك فهي تعتبر لعدم وجود دستور مكتوب المرجعية القضائية والدستورية[٤].

---

(١) بــيريز، شــمعون وآخــرون، الكيان الصهيوني عام ٢٠٠٠، ترجمة سمير جبور وآخرون، وكالة المنار للصحافة، بيروت، ط١، ١٩٨٦، ص ٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٩.

(٣) شــهدت الفــترة بيــن ١٩٧٧-١٩٩٢م إجراء خمس دورات انتخابية، وتشكيل تسع حكومات ائتلافية منها حكومــتا وحــدة وطنــية. وتسعى الأحزاب الكبيرة (العمل والليكود) وراء الأحزاب الدينية من أجل تأمين الأكــثرية فــي الكنيســت، وتشكيل الحكومات الائتلافية، وإضعاف الخصم الآخر، أنظر عن دور الأحزاب الصــهيونية في الحياة السياسية للكيان الصهيوني: نرمين يوسف غوانمة، حزب الليكود ودوره في السياسة الاسرائيلية ١٩٧٧-١٩٩٢م، رسالة دكتوراه، الجامعة الاردنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠١م ، ص ٧٦-٩٧.

(٤) قاسم، إدارة الحرب في اسرائيل، ص ١٢٩، ١٤٤.

أما السلطة التشريعية (الكنيست)[1]، فتضم (١٢٠) عضواً كنتيجة لانتخابات عامة تجري كل أربع سنوات مرّة. وتكمن قوة الكنيست بغياب الدستور المكتوب حيث يمكن له من سنّ أي تشريع أو اتخاذ أي قرار بأغلبية برلمانية بسيطة. أما نقطة ضعفه فتتمثل بامتلاك رئيس الوزراء لسلطات واسعة[2].

ويولي الكيان الصهيوني والصهيونية العالمية اهتماماً كبيراً بمجال السياسة الخارجية، ويحاول الصهاينة ما استطاعوا أن يجعلوا المناخ الخارجي ملائماً لهم ومواتياً لتحركهم وتوسع كيانهم، بالتهيئة المسبقة لعدوانهم، وجعل الدول الأخرى خصوصاً العظمى منها تعترف بحقهم في الإجراءات التي تتخذها ضد الأقطار العربية بما تسميه بالإجراءات الوقائية[3]. وهذه السياسات ليست جديدة على الكيان الصهيوني، فولادة هذا الكيان إنما جاء نتيجة جهد صهيوني سياسي كبير، استطاعت به أن تنفذ في مرحلة مبكرة إلى الصعيد الدولي، وتحصل على قرار ولادتها من الأمم المتحدة، بعد أن وفرت المناخ الخارجي الملائم لذلك[4]. وفي هذا المجال يقول " إيغال آلون" وزير خارجية الكيان الصهيوني الأسبق": " إن النظام السياسي الإسرائيلي، عميق الجذور في مفاهيم الشعب اليهودي، وإن هذا النظام موجود قبل أن توجد الدولة ومؤسساتها السياسية"[5].

وتعمل المؤسسة السياسية في الكيان الصهيوني من منظور استراتيجي شامل على المستوى الإقليمي والدولي، وقد وضعت لذلك الوسائل والأهداف والغايات بأبعادها الزمانية والمكانية لتحقيق سياسة طويلة الأمد، كما تشير السياسة الخارجية في الكيان الصهيوني وتتحرك

(١) يدعي الصهاينة أن اسم الكنيست مرتبط تاريخياً بعهد الهيكل الثاني لمملكة إسرائيل، إذ كان اسمه الكنيست غيدولا أي المجلس الكبير، وعدد اعضائه (١٢٠) عضواً.

(٢) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ١٢٨.

(٣) نوفل، المصدر السابق، ص ٢٨؛ غوانمة، حزب الليكود، ص ٢١٦.

(٤) نوفل، المصدر السابق، ص ٢٧، ٢٩.

(٥) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ١٢٤.

مستندة إلى عناصر رئيسة ثلاثة: إعلام ذكي ومبرمج، وقوة عسكرية ضاربة، ودبلوماسية نشطة[١].

والكيان الصهيوني في سياسته الخارجية يُركّز دائماً على الدولة القوية ويربط نفسه بعجلتها. فنجد أن الحركة الصهيونية لجأت في البداية إلى بريطانيا للحصول على دعمها ومؤازرتها، وبعد انتقال مركز الثقل العالمي من بريطانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، ربطت الحركة الصهيونية نفسها أيضاً معها، وأنشأت مع زعمائها علاقات مميزة، أسهمت إلى حد كبير في الحصول على تأييد دول العالم- بفعل الضغط الأمريكي- وانتزاع الإعتراف فيها كدولة مستقلة. وهي مع ذلك لم تغفل في علاقاتها الخارجية عن الدول الأخرى خصوصاً الدول الأوروبية مثل فرنسا وألمانيا وغيرها[٢]. وقد استطاع الكيان الصهيوني بفضل سياسته الخارجية أن يربط أمنه ووجوده بأمن الولايات المتحدة الأمريكية وذلك بعقد اتفاقية التحالف الإستراتيجي معها عام ١٩٨١م وتجديدها عام ١٩٨٣م مما عزز نظرية الأمن للكيان الصهيوني[٣].

ولعل من أبرز أركان السياسة الخارجية للكيان الصهيوني استناده إلى القوة العسكرية في فرض إرادته على الخصم كما يفعل ذلك عادة مع الدول العربية. فهو يؤمن بأن الدبلوماسية والعمل العسكري صنوان[٤]. وقد عبّر هنري كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق عن ذلك بقوله: " هناك زواج بين الدبلوماسية والقوة المسلحة وليس بينهما.طلاق"[٥]. لذلك بنى الكيان الصهيوني جيشاً قوياً ومتفوقاً

---

(١) نوفل، المصدر السابق، ص ٩٠.

(٢) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص ٣٦، ٦٥-٦٦؛ النتشة، الاستعمار وفلسطين، ص ٢٥٨ ، ٢٨٥.

(٣) وقع الكيان الصهيوني ثلاث اتفاقيات تفاهم حول التعاون الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية، أنظر حول ذلك: غوانمه، حزب الليكود، ص ٢١٧-٢٣٨.

(٤) نوفل، المصدر السابق، ص ٩١،٢٥.

(٥) كيسنجر، هنري، درب السلام الصعب، أو عالم أعيد بناؤه، ترجمة الدكتور علي مقلد، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،ط١٩٨١،١،ص ٩.

ليكون ذراعه الطويلة للقيام برد الفعل السريع على الخصم[1]، حيث أن الخسارة العسكرية تعني له خسارة سياسية وما قد ينشأ عن ذلك من تأثير خطير على وجود الكيان الصهيوني برمته[2].

---

(١) قام الصهاينة بالعديد من الإعتداءات التي لا تحصى على الدول العربية، فعدوان عام ١٩٥٦م، وحزيران ١٩٦٧م، وضرب المفاعل النووي العراقي، واحتلال لبنان وغير ذلك. وقد ارتكب الكيان الصهيوني من عام ١٩٤٩م وحتى عام ١٩٦٤م (٦٣١٦١) إعتداءاً حسب إحصاءات جامعة الدول العربية، أنظر: الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص ٤٣٨.

(٢) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ١٤٣.

مقاومـــة محـــاولات التـــيار الدينــــي المتمثل بالأحزاب الدينية المتطرفة من طبع الدولة بالطابع الديني العقائدي الذي تنادى به[1].

ومـــثلما نشأت مملكة أوروبية ومجتمع أوروبي في الأرض المقدسة، كذلك قامت دولـــة صهيونية ومجتمع يهودي أوروبي في الأرض المقدسة أيضاً، وهناك كثيرون في الكـــيان الصـــهيوني يـــنظرون إلــى أنفسهم على أنهم حملة مشعل الحضارة الغربية في الشـــرق، " فأبـــا إيبان" وزير خارجية الكيان الصهيوني الأسبق على سبيل المثال وصف الكـــيان الصهيوني بأنه في الشرق الأوسط ولكنه ليس منه، وتبعه في ذلك "بن غوريون" و"بيغـــن" ومعظم القيادات الصهيونية. وسياسة الكيان الصهيوني بكاملها منذ تأسيسه حتى الوقـــت الحاضـــر هي ترجمة لهذه الرؤية. والدولة الصهيونية لا تكف عن وصف نفسها بأنها امتداد للغرب وواجهة للديمقراطية الغربية، وأن أسلوب استهلاكها غربي أيضاً[2].

وكمـــا تبنى النظام السياسي في المملكة اللاتينية النظام الإقطاعي الذي كان سائداً فـــي الغـــرب مـــع بعض التعديلات عليه لمواجهة الظروف والمتغيرات المفروضة في الشـــرق، تبـــنى النظام السياسي الصهيوني الأفكار والقيم الإشتراكية والثورية[3]، بعد أن اســـتولت الصـــهيونية العمالية على المصطلح الثوري وأعطته مضموناً صهيونياً جعلها قـــادرة علـــى التحدث بلغة الشباب اليهودي في شرق أوروبا، وعلى تجنيدهم، وتسريب طاقاتهم الثورية وتحويلها إلى عمليات استيطان في فلسطين[4].

وكمـــا قـــام في بيت المقدس نظام حكم ملكي، وراثي، انتخابي، إقطاعي- اذ من المعـــروف أن مملكة بيت المقدس تألفت من مجتمع من النبلاء، ولم يكن الملك الا زعيم هـــؤلاء النبلاء، فكان من الطبيعي أن يجري انتخاب هذا الزعيم أي الملك[5]، كذلك، فإن نظام الحكم في الكيان الصهيوني هو من النوع الجمهوري الديمقراطي البرلماني، ويطلق علـــى رئيســـه رئيس دولة (إسرائيل). وينتخب رئيس الدولة عادة من الكنيست (البرلمان

---

(١) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ١٧٨.

(٢) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص ٥-٦.

(٣) غوانمة، حزب الليكود، ص ٨؛ المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص ٤٦.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٧.

(٥) باركر، المصدر السابق، ص ٥٥؛ رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٨٠.

الصـــهيوني) لمـــدة (٥) سنوات ويمكن انتخابه أكثر من مرة، وكان "حاييم وايزمن" أول رئيس دولة للكيان الصهيوني منذ إنشائه[١].

وكما اعتمدت مملكة بيت المقدس على مجموعة القوانين التي سميت بقوانين بيت المقـدس، كذلــك اعتمد الكيان الصهيوني في نظامه السياسي الرسمي على القانون العام البريطاني وتعليمات الإنتداب والأنظمة المحلية المتبعة لدى المسلمين والمسيحيين.

ومـــثلما اتخذ الصليبيون من القدس عاصمة لهم، لدرجة أن المملكة اشتقت اسمها من المدينة نفسها عندما أطلق عليها اسم مملكة بيت المقدس، كذلك اتخذ الكيان الصهيوني من مدينة القدس عاصمة له على الرغم من عدم الإعتراف بها دولياً[٢].

ومـــن اللافـــت للإنتـــباه أن الإمارات الصليبية لم يكن لها في وقت من الأوقات دســـتوراً ثابـــتاً[٣]، ولا حـــدوداً ثابتة، إذ ظلت هذه الإمارات تتوسع على حساب الأقاليم الإســـلامية المجـــاورة لهـــا طـــوال فـــترة الخمسين سنة الأولى من تأسيسها (١٠٩٩-١١٥٣م)[٤]، كذلـــك، لا يوجـــد للكيان الصهيوني دستور مكتوب، كما لا يوجد له حدود واضـــحة، فمجـــال الكيان الصهيوني الحيوي لا يتوقف عند فلسطين فقط بل يمتد ليشمل المســـتوى الإقليمـــي العربي والدولي الإسلامي[٥]. وفي هذا المجال يقول "بن غوريون": "لـــيس المقصـــود المحافظـــة على الوضع الراهن، علينا أن نخلق دولة ديناميكية متجهة للتوسع"[٦].

غير أن ما يفرق دولة الكيان الصهيوني عن مملكة بيت المقدس هو عدم التناسق بين الدين والدولة في الأخيرة بصورة مستمرة، وتصارع المثل الدينية والأطماع العلمانية وتفـــاقم النزاع بين البابوية من ناحية وحكام المملكة الصليبية من ناحية أخرى. وتعطينا

(١) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ١٢٧.

(٢) غوانمة، حزب الليكود، ص ٢٦٩؛ قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ١٢٧.

(٣) رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٧٩.

(٤)prawer, the Latin kingdom of Jerusalem, p.24,30-31,46.

(٥) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٧٠، ١٢٧ .

(٦) المصدر نفسه، ص ٧٠؛ المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص ١١.

الحملـــة الصليبية الخامسة مثالاً للصراع الخفي الذي دار بين الكنيسة والدولة والذي تمثل في التحدي الصارخ للإمبراطور فردريك الثاني لسلطة البابوية(١).

فـــي حيـــن أنـــه لا يوجـــد فصـــل بيـــن الديـــن والدولة في الكيان الصهيوني، "فجولداماتـــير" تقـــول: "هـــذه البلاد وجدت كإنجاز لوعد قُطع من قبل الله على نفسه"(٢). وتـــؤدي الأحزاب الدينية المتطرفة وكذلك الفئات الدينية المتطرفة دوراً بارزاً في التأثير فـــي السياسة للكيان الصهيوني خاصة إذا ضُمّت هذه الأحزاب إلى أحد الحزبين الرئيسين المتنافسين على تشكيل الحكومة وهما العمل والليكود(٣).

ويحاول النظام السياسي للكيان الصهيوني إيجاد قاسم مشترك لجميع الصهاينة على اخـــتلاف مشاربهم يجمعهم على فكرة أن اليهودية (قومية) مستقلة، علماً أن اليهودية هي دين كباقي الديانات السماوية الأخرى. ولعل المفكر الصهيوني " موسى هس" هو أول من طـــرح تعـــريفاً للـــيهودي عندما قال أن العرق اليهودي من العروق الرئيسة في الجنس البشري(٤).

وكمـــا نظـــم الصليبيون دولتهم وفقاً للتقاليد التي جلبوها معهم من أوروبا، بحيث سارت عملية تنظيم الأراضي المفتوحة على الطريق الذي سار عليه الإقطاع الأوروبي، كمـــا انقسم الإقليم نتيجة تنظيم الدولة على أسس إقطاعية إلى عدد من إقطاعات الأمراء والضـــياع التـــي تدين بالولاء لتاج بيت المقدس(٥)، كذلك فإن الكيان الصهيوني نظر إلى نفســـه مـــنذ البداية كمثل للحضارة الغربية، وقد جلب المهاجرون الصهاينة القادمون من أوروبـــا معهـــم التقاليد الأوروبية أيضاً(٦). كما وجرى تقسيم هذا الكيان إلى ستة مناطق لتسهيل إدارته.

---

(١) عن حوادث هذا النزاع وأدواره، أنظر: عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج١، ص ٣٥٠-٤٠٥.

(٢) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٩٤.

(٣) غوانمة، حزب الليكود، ص ٧٤-٧٧.

(٤) لمـــزيد من المعلومات عن العرق اليهودي، أنظر: المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص ١٢٦-١٣٧.

(٥) عن النظام الإقطاعي في مملكة بيت المقدس، أنظر: براور ، المصدر السابق، ص ١٢٨-١٣٧.

(٦) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص ٥.

ومن الجدير بالذكر أن هرتزل كان لا يعير اهتماماً لشكل الدولة المزمع إنشاؤها ولا إلى لغتها، إذ أن كل مواطن سيتحدث بلغته، لذلك فإن دولة اليهود تلك لن تختلف عن الدول الأوروبية التي كان يعرفها(١).

على أن من الإنصاف التذكير ببعض الإختلافات بين الإمارات الصليبية، فالتصور النورماندي لمناطق نفوذ صغيرة بقدر كاف وتابعة للأمير مباشرة كان هو النظام السائد في أنطاكية، في حين كان التصور الفرنسي لوحدات كبرى وسيطة هو السائد في القدس. على أن مملكة بيت المقدس وهي أكبر دول الشرق اللاتيني كانت بحجم كونتية كبيرة أو دوقية في فرنسا، ومن ثم لا يمكن أن تقارن إلا بكونتيات أو دوقيات في الغرب وليس بمملكة فرنسا أو الأمبراطورية الرومانية(٢).

وكما أن السياسة الداخلية للكيان الصهيوني في فلسطين قامت على مركزية الحكم وذلك لتتمكن من العمل من منظور استراتيجي شامل على المستوى الإقليمي والدولي، ولمواجهة حالة الحرب الدائمة التي يعيشها هذا الكيان مع جيرانه العرب(٣)، كذلك قام النظام السياسي للكيان الصليبي على مركزية الحكم وحافظ على استقراره منذ العام ١١٢٥م- أي بعد جيل واحد من إتمام الغزو- حتى سقوط المملكة الصليبية في عام ١٢٩١م.

وقد كان للعوامل التالية الأثر الفعال في هذا النمط من الحكم أهمها: حالة الحرب المزمنة التي عاشها الجيل الأول والتي فرضت عليهم توجيه جميع طاقات الحكومة نحو متطلبات الحرب، وكذلك سياسة التوسع والدفاع، وظهور النظام الإقطاعي كأسلوب متبع في المملكة اللاتينية، وأخيراً ظهور المحكمة العليا(٤).

ومثلما كانت المحكمة العليا هي العامل السياسي الحاكم في مملكة بيت المقدس، التي أصبحت صاحبة السيادة العليا بما تمتعت به من سلطات وصلاحيات، كذلك فإن

---

(١) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص ١٦.

(٢) كاهن، المصدر السابق، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٣) قاسم، إدارة الحرب في اسرائيل، ص ١٤٢، ١٤٣.

(٤)prawer, the Latin kingdom of Jerusalem, pp.112-113.

محكمــة العدل العليا الصهيونية تعتبر العامل الحاسم والمرجعية القضائية والدستورية في الكيان الصهيوني.

وإذ جــرى اعتــبار ملك بيت المقدس على أنه حائز لإقطاع كبير، لم يكن له من الحقــوق سوق حقوق السيد على ما بمملكته من البارونيات الأربعة الكبيرة والإقطاعات الصــغيرة[١]، إلا أن الملك لم يكن يملك من الصلاحيات ما كان لملوك النورمان او ملوك فرنســا، وتحــددت صــلاحياته علــى الــرغم من أنه كان يمثل قمة الهرم من الناحية الاجتماعية[٢].

كذلــك، فــإن الســلطة التنفــيذية للكــيان الصهيوني تمثلت برئيس دولة رمزي وصــلاحياته محــدودة تقتصــر على تعيين القضاة والحكام وإصدار القوانين بإسمه، في حيـن يُعتــبر مجلس الوزراء الصهيوني القوة التنفيذية للحكومة. وعادة ما يشكل مجلس وزراء مصغر لاتخاذ القرارات الحاسمة والطارئة[٣]، ويتحمل رئيس الوزراء الصهيوني مســؤولية اتخــاذ القرارات في مجالي التخطيط والتنفيذ[٤]. كما عزز التشريع الصهيوني مكانــة رئــيس الحكومــة إذ إن استقالته تعد استقالة للحكومة، وأسند إليه صلاحيات نقل الوزراء من وزارة لأخرى، وتشكيل اللجنة الأمنية الوزارية المصغرة، بالإضافة إلى أن صناعة قرارات الأمن الوطني تتم في مقره [٥].

ومــن الجديــر بالذكــر أنه كان على رأس دويلات الشرق اللاتيني الأربع، التي تقلصت فيما بعد إلى ثلاث، ملكاً أو أميراً أو كونتاً وكان ما ينتظر منهم، على نحو خاص، أن يكونوا قادة عسكريين.

---

(١)Runciman, A history of the crusades,vol.111,p.297.

(٢) باركر، المصدر السابق، ص ٥٥-٥٦.

(٣) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ١٢٧-١٢٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٩٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٩٨، ٢٩٩.

وعلـــى مـــدى جيل كامل كان القادة هم الذين يخوضون المعارك، ويدافعون عن الحدود، وهو ما كان حائلاً دون تولي النساء[1]، مما كان سبباً في عسكرة النظام السياسي الصليبي[2].

وبالصـــورة نفســها، فإن القيادة السياسية للكيان الصهيوني تشكل بمجموعها قادة عســكريين خاضوا معظم الحروب العربية- الصهيونية. ومن المعروف أن معظم القادة الصـــهاينة السياسيين البارزين هم ذوو خلفية عسكرية، ولذلك نجد أن القرارات السياسية هي قرارات عسكرية. ولا عجب في ذلك لأن العسكريين يشتركون بشكل مباشر في صنع القرار السياسي، كما أن اللجنة الوزارية المصغرة تضم وزير الدفاع دائماً[3].

ويمكــن القول أن القيادة العسكرية الصهيونية على كافة مستوياتها القيادية مسيّسة بسبب سعة مجال التعامل والتداخل بين الأمور السياسية والعسكرية في الكيان الصهيوني، بحيث يصعب وضع حدود فاصلة بين النواحي السياسة والعسكرية في بعض الاحيان[4].

وكما ظهر في صفوف الصليبيين قادة بارزين نظموا صفوفهم وقادوهم إلى مواقع النصــر والـــى تثبيــت كياناتهم في المشرق العربي الإسلامي أمثال: جودفري، وبلدوين الأول، وريتشـــارد قلـــب الاســد، وأماريك، وكونراد دي مونتفرات (الذي نهض بعبء المقاومـــة والدفاع عن الكيان الصليبي ببلاد الشام بعد معركة حطين)[5]، كذلك ظهر في صـــفوف الصهاينة قادة وزعماء بارزون مكنوا اليهود الصهاينة من تأسيس كيان لهم في فلسطين ونهضوا بالدفاع عن هذا الكيان وحققوا انتصارات كبيرة لهم على العرب، أمثال: ثـــيودور هرتزل، وبن غوريون، وموشي ديان، واسحق رابين، وأريل شارون، وغيرهم كثيرون[6].

---

(١) كاهن، المصدر السابق، ص ٢٠٠؛ براور، المصدر السابق، ص ١٢٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢٤.

(٣) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ١٨٧، ٢٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٤،٢٢٥.

(٥) عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص ٦٥٩، أنظر أيضاً:
Runciman, A history of the crusades, vol.II p.444,471.

(٦) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٣٦١، ٥٤١ .

وكما كان العنصر الحاكم في مملكة بيت المقدس من الأوروبيين الفرنسيين، حيث قدمت الأسرة الحاكمة ونواة السكان الأوروبيين من شمال شرق ووسط فرنسا(١)، كذلك فإن النخبة الحاكمة للكيان الصهيوني هم من اليهود الغربيين بشكل عام والذين يطلق عليهم إسم (الأشكناز).

وهذه الطبقة تملك كل مفاتيح القوة في الحكومة، والوكالة اليهودية، والهستدروت، وتسيطر على الكتلتين السياسيتين (العمل والليكود) حتى أنها تدير الإقتصاد الصهيوني(٢).

ومن اللافت للانتباه أن كلا الكيانين الصليبي والصهيوني لم يقوما باستبعاد المسلمين والعرب من شغل الوظائف الحكومية، لا بل أن الكيان الصهيوني لديه أكثر من (١٢) نائباً عربياً في الكنيست الصهيوني، حتى أن صالح طريف العربي الدرزي يشغل منصب وزير دولة في حكومة شارون الإئتلافية.

ومثلما ربط الكيان الصليبي نفسه بالبابوية والإمبراطورية البيزنطية للحصول على الدعم المادي والسياسي، كذلك ربط الكيان الصهيوني نفسه منذ البداية ولا يزال بالدول الأوروبية الكبرى وخاصة بريطانيا ثم ربط نفسه مع أكبر دولة في العالم وهي الولايات المتحدة الإمريكية باتفاقية التحالف الاستراتيجي الموقعة بينهما عام ١٩٨٣م.

---

(١)prawer, the Latin kingdom of Jerusalem, p. 503,

وأنظر أيضاً: براور، المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٢) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ١٣٦، ١٣٧، ١٧٦ .

النظام العسكري للحركة الصليبية

لــم تكــن الجيوش المسيحية التي قاتلت في الحروب الصليبية المختلفة مؤلفة من جنســيات مختلفة فقط، بل أنها شُكلّت بطرق مختلفة أيضاً. ففي الحملات الصليبية الأولى حمــل المقاتلون الصليب وخرجوا إلى الأراضي المقدسة لقتال المسلمين كمتطوعين فقط، حامليــن معهــم جمــيع تناقضات الجيوش الإقطاعية في أوروبا، على الرغم من أن هذه الجيوش تألفت بصورة رئيسة من عناصر غير إقطاعية[١].

ومنذ الحملة الصليبية الثالثة بدأ الحماس الديني بالفتور وأصبحت نشأة الجيوش في الممــالك الأوروبــية وتنظيمها يتم على أسس إقطاعية، مع التركيز على الجند المرتزقة. ومــع مجــيء الحملــة الصليبية السادسة، خرج النبلاء تحت الشعور بأداء الواجب نحو ملوكهم، في حين ظل الجنود المشاة في معظمهم من المرتزقة[٢].

أما الجيوش الصليبية في ما أطلق عليه "جيوش ما وراء البحار" "outremer"، أو الشــرق اللاتيني، فقد شُكّلت ونُظّمت على أسس المجتمع الإقطاعي الكامل، أي المجتمع المُعّــد للحــرب، والــذي يضم العناصر الثلاثة لأي جيش إقطاعي وهي: البارونات مع أتباعهم (القوات الإقطاعية)، والجنود الأحرار (النفير العام)، والمرتزقة[٣]. وأضيف إليها جميعاً المتطوعة من جماعات الحجيج وفرق الأخويات الرهبانية العسكرية فيما بعد[٤].

وقد أثرت عدة عوامل في استخدام الدويلات الصليبية في الشرق لجيوشها الميدانية ومنها: السياسة المُحدِّدة لنوع الحرب التي ستخوضها، والعلاقات القائمة بين المستوطنين الصليبيين والسكان الوطنيين، وتنظيمات الجيوش المتقابلة والأساليب التعبوية المتبعة من قــبلها، وأخــيراً اســتخدامها للأسلحة المتوفرة بين يديها، وقد اجتمعت هذه العوامل كلها لتفرض على الصليبيين في الشرق طرائق معينة في الأعمال الحربية[٥].

---

(١) Wise, the wars of the crusades, p. 73.

(٢) Ibid, p.73.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن عناصر الجيش الإقطاعي الثلاثة أنظر: Ibid, pp. 73-75

(٤) سميل، المصدر السابق، ص ١٤٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٣.

ويمكن القول إن المؤسسة العسكرية الصليبية اعتمدت على عنصرين مهمين هما: التحصـــينات والجيش، أما التحصينات فقد مثلت حالة الدفاع الثابت ومقر الحكم، في حين مثل الجيش حالة الحركة التعبوية والتوسع(١).

وبما أن الصليبيين كانوا يقاتلون لأجل تحقيق أهداف محددة، كانت في الأصل عند مقدمهـــم تحريـــر القـــبر المقدس من أيدي المسلمين، ثم أصبحت فيما بعد الإستيلاء على الأراضي والسيادة على سكانها، أو الدفاع عن أرض يحتلونها، كان لابد لهم من الإستناد إلى القلاع والمدن الحصينة لإبقاء هذه السيادة فعالة ومستديمة(٢).

وقد كانت فكرة الحرب المُحدّدة وإنجاز الهدف العسكري مع الإقتصاد بالقوى هي المســـألة التـــي تفرض نفسها دوماً على الصليبيين، إذ كانت معضلة نقص القوى البشرية ووصـــول التعزيزات في الوقت المناسب من أكبر المعضلات التي واجهت الصليبيين في الأراضـــي المقدسة. كما لم يكن لديهم العدد الكافي من الرجال أو الوسائل لتشكيل جيش كبير العدد(٣)، قادر على الدفاع عن الحدود الأمامية وحماية الجبهة الداخلية أيضاً(٤).

علاوة على ذلك فقد كان على القوات الصليبية منع غزو القوات المسلمة لأراضي الدويـــلات الصـــليبية حـــتى لو لم يقد ذلك إلى معركة كبرى بينهما، لما كان يرافق هذه الغـــزوات عـــادةً من تدمير للمحاصيل والممتلكات وركائز الوجود الصليبي الأساسية في المنطقة(٥). وفي جميع الأحوال، فقد أدت القلاع والمدن المحصنة دوراً بارزاً في التفكير العســـكري الصـــليبي. فطالما لم يتمكن المسلمون من الإستيلاء على قلعة أو مدينة، فإنهم يعمـــدون إلـــى التراجع في النهاية. ومع أن الدمار الذي يكون قد لحق بالأراضي العائدة للصـــليبيين كبير، والخسائر المادية فادحة، إلا أن سيادة الحكم الصليبي في المنطقة تبقى مستمرة، طالما بقيت مراكز السلطة الصليبية على حالها بعيدة عن التدمير(٦).

---

(١) prawer, the Latin kingdom of Jerusalem, p. 280.

(٢) سميل، المصدر السابق، ص ٢١٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٠١، وانظر أيضاً:

finucane, Soldiers of the faith, p. 70.

(٤) Prawer, the Latin kingdom of Jerusalem. P. 331.

(٥) Ibid,331.

(٦) Ibid,331.

ومن هنا فقد شكلت جميع هذه العوامل العقيدة العسكرية الصليبية، وهي أن عليها سـحب كـل مقـاتل قادر على حمل السلاح من جميع المدن والقلاع الصليبية لمواجهة هجمـات الجيوش المسلمة(١). كما كيفت القوات الصليبية نفسها على أساس أن أي هجوم مسـلم لن يدوم لفترة طويلة(٢)، وأن عليها أيضاً عدم الدخول في قتال مع المسلمين يكون لهم فيه التفوق العددي بشكل واضح(٣).

وقـد أملـت حالة التفوق العددي للمسلمين هذه، على الأقلية الصليبية أن تظل في حالـة حـرب دائمة، كما أملى عليهم المنطق والحذر أيضاً التمركز في مواقع حصينة، بحيـث صارت هذه هي الصفة المميزة للمملكة الصليبية. فأقاموا شبكة تحصينات واسعة امـتدت مـن جـبل الشيخ في الشمال وحتى العقبة في الجنوب(٤). وقد بنيت هذه القلاع والحصـون في مواقع استراتيجية تحت تأثير عاملي الزمان والمكان، وبلغت من التطور والفـن مـا جعـل الكثير من مؤرخي الغرب يعتبرون الشرق على أنه مدرسة للهندسة المعمارية العسكرية(٥).

وعـندما أصـبحت سياسة تدمير التحصينات الصليبية عقيدة عسكرية جديدة لدى المسـلمين ليتسـنى لهم وضع نهاية للوجود الصليبي في المشرق الاسلامي برمته، وجد الصليبيون أنفسهم إزاء هذه الاستراتيجية الجديدة مضطرين لتغيير سياستهم تغييراً شاملاً. فأصـبحت وجهة الحملات الصليبية خلال القرن الثالث عشر صوب مصر بدلاً من بيت المقـدس، ليس من أجل استعمارها، ولكن كمحاولة أخيرة منها لإنقاذ الوجود الصليبي في الشرق باعتماد عقيدة عسكرية جديدة كان الهدف منها تركيع مصر من أجل استعادة بيت

---

(١) حصل هذا في مناسبات محددة وقد تكون معركة حطين أهم مثال على ذلك.

(٢) عـادة مـا كانت الحملات المسلمة تجري فيما بين بداية الصيف ونهايته، أي بين موسمي البذار والحصاد، ونادراً ما يطول مكث الجيش لأكثر من بضعة أسابيع، أنظر:
prawer, the Latin kingdom of Jerusalem, p. 332.
وانظر أيضاً: سميل، المصدر السابق، ص ٢١٠.

(٣) براور، المصدر السابق، ص ١٢٦.

(٤) prawer, op.cit, p. 281.

(٥) لمزيد من التفصيلات عن الحصون والقلاع الصليبية، أنظر: Ibid , pp 281-326.

المقـــدس، وضـــمان وجودهـــم فـــيها[1]. غير أن هذه الحملات باءت بالفشل[2]، ولم تعد المملكة بعد ذلك قادرة على استعادة المبادأة سواء العسكرية منها أو السياسية[3].

وكما أن المملكة اعتمدت في وجودها وبسط سيطرتها على القلاع والحصون التي أقامتها، فقد كان لجيشها الإقطاعي المتحرك دور بارز أيضاً في الدفاع وعمليات التوسع. غـــير أن حجـــم المملكـــة الصـــغير نســـبياً شكل نقطة ضعفها، فقوة المملكة العسكرية لـــم تـــزد علـــى (٦٧٠) فارســـاً وبضـــعة آلاف من جنود المشاة[4]. وهذا يفسر الدور الرئيس الذي أدته الأخويات الرهبانية العسكرية من الإسبتارية والداوية[5] في الدفاع عن المملكة.

فقد كان لعالمية هذه المنظمات ما سمح لها من تجنيد ما تحتاجه من خيرة فرسان الغـــرب بحيـــث أعطـــت المملكة مدداً من العساكر المتدينين المحترفين، الذين لم يكلفوا المملكـــة شـــيئاً مـــن النفقات[6]. وقد ساهمت هذه الأنظمة منذ عام ١١٣٠م حتى سقوط مملكـــة بيت المقدس في جميع الحملات العسكرية الكبيرة تقريباً، وكان لما تميزت به هذه

---

(١) prawer, the Latin kingdom of Jerusalem. P. 333.

وأنظر أيضاً: سميل، المصدر السابق، ص ٥٣.

(٢) اتجهت الحملة الصليبية الخامسة (١٢١٧-١٢٢١م) والحملة السادسة (١٢٤٨-١٢٥٠م) صوب مصر.

(٣) prawer, op.cit , p. 333.

(٤) حدد جون إيبلين صاحب كتاب " قواعد البلاط" وهو أحد القضاة في القرن الثالث عشر العدد الأجمالي بأنه (٥٧٧) فارســـاً، وكـــرره بروتز ودودو ولامونت ورنسيمان وغيرهم ممن اهتموا بهذا الموضوع. غير أن سميل حدده بـــ (٦٧٥) فارساً، أنظر: سميل، المصدر السابق، ص ١٥١، هامش١.

(٥) تُعـــد الانظمة الرهبانية العسكرية من إبداعات القرن الثاني عشر. وقد أُسست هذه الأنظمة في الأصل لتلبية احتياجات الحجيج في الأراضي المقدسة، ثم تطورت بمرور الوقت لتصبح قوة ضاربة أسهمت إلى حد كبير فـــي ضـــمان أمـــن وبقـــاء الكيانات الصليبية. وقد اشتهر منها فرسان القديس يوحنا (الاسبتارية) والداوية (فرسان الهيكل) والتوتون، أنظر لمزيد من المعلومات عن مهام وتنظيمات وأدوار هذه الفرق في : prawer, op.cit, p.p. 252-279.

وأنظر أيضاً: سميل، المصدر السابق، ص ١٥٩-١٧١.

(٦) امتلكـــت الأخويـــات الرهبانـــية من القوة العسكرية ما يضاهي جيش المملكة. فقد أبقت كل من الأخويات الرهبانية ما يقارب من (٣٠٠) فارس جاهز في المملكة، وبذلك يكون مجموع القوة من الداوية والأسبتار ما يعادل جيش المملكة كاملاً . أنظر: prawer, op.cit, P. 261

الأخويــات مــن طاعة ونظام وتدريب جيد واحتراف ما جعل منها أشد أعداء المسلمين قاطبة[1].

وبالــرغم مــن الــدور الحاسم الذي أدته هذه الرهبانيات، الا أن حكام الإمارات الصليبية -وبخاصة ملوك بيت المقدس- لم يتمتعوا بالسيطرة الكاملة على هذه الرهبانيات، بســبب اســتقلاليتها وعدم خضوعها لسيادة أي حاكم لاتيني إلا للبابا، مما جعل من أمر السيطرة عليهم في العمليات العسكرية وكذلك في أمور السياسة الخارجية معضلة حادة[2].

---

(١) Prawer, the latin kingdom of Jerusalem, p. 264.

(٢) رنيسمان، المصدر السابق، ج٢، ص ٥٠٢-٥٠٣.

النظام العسكري للحركة الصهيونية

إن الوصـــف الدقيق الذي يمكن أن يُطلق على الكيان الصهيوني ويلخص كينونته هو أنه مؤسسة عسكرية، وأن كل ما يدور فيه من نشاطات علمية وفكرية واجتماعية، هو في خدمة هذه المؤسسة. فالمجتمع والاقتصاد والتعليم والزراعة والصناعة، وكل ما يمتلكه هذا الكيان، يصب في مجرى المجهود الحربي[١].

ومع أن العمل العسكري هو الذي أوجد الدولة وأظهرها إلى حيز الوجود، فإن ذلك يُعد محصلة طبيعية لفلسفة الحركة الصليبية. إذ يرى الصهاينة في قوتهم العسكرية صيغة مـــن صـــيغ الإحـــياء التاريخي وبعثاً لتراثهم القديم. وقد عبّر عن ذلك الكاتب اليهودي "حايـــيم ليبرمان" في صحيفة " jewish daily forward" بقوله : "إن جيش إسرائيل فتي ولكـــنه في الوقت نفسه أقدم جميع الجيوش. فالجيش الإسرائيلي لا يبدأ تاريخه مع تأسيس الدولة، بل إنه يعود إلى زمن سحيق في القدم"[٢].

ويســـتمد الـــنظام العسكري الصهيوني دوره من الدور الإستيطاني والإستعماري للكـــيان الصهيوني نفسه. إذ إن لهذا الكيان مهتمين: الأولى صهيونية والثانية استعمارية. وهـــو يقـــوم بتأدية هذا الدور المزدوج منذ نشأته في عام ١٩٤٨م حتى اليوم بالأسلوب العســـكري وحـــده[٣]. أمـــا المهمـــة الصهيونية فقد تجسدت بإقامة الكيان الصهيوني في فلســـطين، لـــيس في الحدود التي خصصها له قرار التقسيم فحسب، وإنما في رقعة أوسع تطابق مفهوم حدود "إسرائيل التاريخية" كما حددتها الحركة الصهيونية. وقد تم تحقيق ذلك وفـــق مقولة أن "حدود الدولة" يتم رسمها في ضوء الواقع في ميدان القتال[٤]. وفي هذا الصدد يقول موشي دايان، وزير الدفاع الصهيوني السابق: "على الشعب أن يتهيأ للحرب،

---

(١) كنعان، المصدر السابق، ص ١٧٢، أنظر أيضاً: نوفل، المصدر السابق، ص ٢٢٧.

(٢) الحلو، المصدر السابق، ص ٣٧-٣٨.

(٣) الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص ٥٨ .

(٤) تمكن الكيان الصهيوني بالقوة المسلحة من احتلال نحو ٧٧% من مساحة فلسطين في حرب عام ١٩٤٨م، كمـــا تمكن من احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة، وهضبة الجولان، وشبه جزيرة سيناء في عام ١٩٦٧م، وفي عام ١٩٨٢م تمكن من احتلال جنوب لبنان.

وعلــى الجــيش الإســرائيلي أن يقــوم بالقــتال، وهدفه الأسمى هو بناء الإمبراطورية الإسرائيلية"[١].

أمـــا الدور الإستعماري لهذا الكيان فينطلق من الوضع الصهيوني المشابه لوضع المماليــك الإســتيطانية بعــد تحديــث هــذا الــدور وعلمنـــته، وهي الطريقة المبتكرة لتحويل فائض أوروبا البشري إلى مادة قتالية نافعة[٢]. ولعل من أهم سمات الصهيونية هو أن الإمبريالــية نظــرت إلـــى المستوطن الصهيوني في فلسطين دائماً باعتباره استثماراً استراتيجياً.

فالدور الذي يمكن أن يؤديه هذا التجمع البشري الغربي هو السلعة الأساسية التي ينتجها أي : القتال نظير المال[٣]. ولا يزال هذا الدور تضطلع به الدولة الصهيونية دون أدنــى تغيير، فهي لا تزال تشكل قاعدة لقوة عسكرية يمكن الإعتماد عليها، بحيث تكون موجهة ضد العرب لخدمة المصالح الإمبريالية الإستراتيجية[٤].

وحيــث أن السلعة الأساسية التي ينتجها التجمع الصهيوني هي دوره، وحيث أن المال الذي يصب فيه لتمويل القتال، فلا بد من تأكيد الجدوى الإقتصادية لهذه الوظيفة[٥]. ولذلــك فقــد أكــد معظم الزعماء الصهاينة رخص هذه الخدمة، فأشار "هرتزل" إلى أن المشـــروع الصـــهيوني، بتكاليفه الزهيدة شيء مغرٍ[٦]. أما وايزمن فقد قال: "إذا تبين أن

---

(١) هداوي، المصدر السابق، ص ٣٦٧.

(٢) يشبه الدكتور عبد الوهاب المسيري الكيان الصهيوني في فلسطين بالمماليك الإستيطانية، نظراً لكونهم طبقة محاربــة مــنعزلة إثنــياً ومتميزة وظيفياً ومالياً، وقيامهم بدور مملوكي تجاه الدول المجاورة لصالح الدول الراعية لهم. أنظر: المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص ٨٣-٩٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٥-٤٦.

(٤)Bobber, Arie, the other Israel, Anchor Books, Doubleday and company, Inc, Garden city , New York,. 1972,p. 193.

(٥) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص ٥٤.

(٦) عــرض هرتزل في خطاب وجهه إلى اللورد سالزبوري خدماته على الإمبراطورية البريطانية، أنظر نص الخطـــاب في: عبد الوهاب المسيري، اليهودية والصهيونية وإسرائيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٥م، ص ١٤٣-١٤٤.

تكاليف الحامية البريطانية ستكون مرتفعة، عندئذ يمكن تنظيم وتسليح المستعمرين اليهود"(١).

كما وصف الكاتب الصحفي "ب. سبير" الجيش الصهيوني بأنه ليس خدمة حربية كامنة فحسب، وإنما أيضاً خدمة "رخيصة"، بل "إنها أرخص من أي خيار عسكري آخر محتمل لأمريكا في منطقتنا"(٢).

وهكذا تغدو مسألة تحقيق " الرسالة الصهيونية" وتأديتها مشروطة بدوام وجود الكيان الصهيوني وعنصر القوة فيه. ولذلك جاءت إقامة الكيان الصهيوني عن طريق الحرب كمسألة جوهرية وليست عرضية في الحركة الصهيونية.

وتعود فكرة إنشاء قوة صهيونية مسلحة إلى عام ١٨٧٠م عندما بدأت حركة الغزو الإستيطاني الصهيوني تتجه إلى فلسطين بشكل جدي.

وبعد أن استقرت الحال بالغزاة في المستعمرات التي أقاموها والتي بلغ عددها عام ١٩٠٠م (٢٢) مستعمرة يقطنها نحو خمسة آلاف صهيوني(٣)، أصبحت الحاجة ماسة لتنظيم الدفاع عن مجموعة المستعمرات، بحيث تكتفي كل مستعمرة بتأمين الدفاع عن نفسها، وقد تم إنشاء أول قوة مسلحة منظمة في عام ١٩٠٧م عُرفت بإسم "هاشومير" أي الحارس اليهودي. وكان هدفها حماية المستعمرات الزراعية القائمة آنذاك، والمساعدة على إقامة مستعمرات جديدة في آن واحد(٤).

---

(١) انظر الوظيفة الاستعمارية للكيان الصهيوني في :
crossman , richard H.S., A nation Reborn , Athereum publisher, first edition, New York, 1960,p. 28,131-132..

(٢) المسيري،موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص ٥٧، نقلا عن: ب. سبير، مجتمع يتغذى على الهبات، مجلة الأرض، السنة الثالثة عشرة، ص ٤١.

(٣) سليمان سليم الطراونة، دور السلطان عبد الحميد الثاني في مواجهة الهجرات اليهودية والمخططات الصهيونية تجاه فلسطين، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، قسم التراث الفكري والعلمي، بغداد، ٢٠٠١م، ص ٩٩، ١٠٠. ويُلاحظ أن عدد المستعمرات حتى عام ١٩٤٤م في فلسطين قد بلغ (٢٥٩) مستعمرة يقطنها أكثر من (١٣٩,٠٠٠) صهيوني، أنظر حول ذلك :
- Government of Palestine, A survey of Palestine, prepared in Dec. 1945 and Jan. 1946 for the information of the Anglo- American committee of inquiry, vol.1, Government printer, Jerusalem, 1946-1947, p. 372..

(٤)الحلو، المصدر السابق، ص ٩٨.

غـير أن مهمـة الدفـاع عـن المستعمرات بعد صدور وعد "بلفور" لم تعد من اختصاص جماعة معينة، بل انتقلت إلى أيدي جميع الصهاينة اليهود في فلسطين- أي أنها انتقلت سن فكرة " الطليعة المسلحة" إلى "المجتمع المسلح"وجرت تسمية الحركة "بالهاغناه" وهـي اللفظـة العـبرية " للدفـاع". وخلال الثلاثينات أصبحت "الهاغناه" بمثابة العامل المحرك في تشجيع تدفق الهجرة الصهيونية غير المشروعة إلى فلسطين[١].

وتألفـت خـلال المـدة نفسها منظمتان صهيونيتان سريتان شبه عسكريتين هما "الأرغـون زفاي ليئومي" و " شتيرن" التي كان للمذابح التي قامتا بهما في فلسطين خلال عام ١٩٤٨م السبب المباشر لنزوح عرب فلسطين عن أرضهم[٢].

وقـد توحـدت هذه المنظمات الإرهابية الثلاث في هيئة واحدة بعد صدور قرار التقسيم لتشكل نواة الجيش الصهيوني الذي أُطلق عليه " جيش الدفاع الإسرائيلي"[٣].

وكـي يتمكن الكيان الصهيوني من مواجهة الجيوش العربية، فقد عمد إلى تقسيم فلسـطين إلى أربعة جبهات هي: الجبهة الشمالية، والشرقية، والوسطى، والجنوبية. وبعد انتهاء الحرب ألغى الجبهة الشرقية وأبقى على ثلاث جبهات عاملة حتى وقتنا الحاضر[٤].

وقد شهد جيش الكيان الصهيوني بقواته البحرية والجوية والبرية منذ نهاية حرب عام ١٩٤٨م حتى الآن تطوراً هائلاً في التسليح والإعداد والقوى البشرية والواجبات حتى أصـبح من أكبر وأقوى الجيوش في منطقة الشرق الأوسط. وقد اعتمد الكيان الصهيوني فـي بناء قواته العسكرية على قواعد أساسية شكلت الإطار العام لعقيدته العسكرية[٥]، من

---

(١) الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص ٧٢..

(٢) الحلو، المصدر السابق، ص ٩٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٠-١٠١.

(٤) تضـم الجبهة الشمالية إقليم الجليل، بينما تغطي الجبهة الشرقية منطقة المثلث: طولكرم ونابلس وجنين، في حين تغطي الجبهة الوسطى مناطق تل أبيب والقدس، وأما المنطقة الجنوبية فتغطي نصف فلسطين الجنوبي.

(٥) لا يوجد تعريف واحد محدد للعقيدة العسكرية ولكن التعريف الآتي قد يكون هو الأكثر شمولية والذي ينص علـى أن العقيدة العسكرية هي: مجموعة المبادئ والأفكار المتبناه التي تشمل بناء وتجهيز القوات المسلحة لأجـل تحقـيق الأهداف العسكرية والتي تقود بالتالي إلى تحقيق الأهداف الوطنية. وهناك العقيدة العسكرية الجوية، والبرية، والبحرية..

أهمها: الإحتفاظ بزمام المبادأة، والقتال على الخطوط الداخلية(١)، والمفاجأة، والسرعة في حسم العمليات وعدم إطالة مدة الحرب، والعمل بمفهوم التعاون والأسلحة المشتركة، ونقل المعركة إلى أرض العدو.

كمـــا تبـــنى الجيش الصهيوني عدة نظريات وطرائق حربية متأثراً بأفكار وعقائد فلاســـفة الحرب أمثال " كلاوزفتز" و"ليدل هارت" و "راتزل"، منها: نظرية التقرب غير المباشـــر والوصول إلى عمق العدو دون الإصطدام بالقوة الرئيسة، والحرب الوقائية مثل (ضـــرب المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١م، وحرب السويس عام ١٩٥٦م)، والحرب الخاطفة، وغير ذلك من المفاهيم(٢).

وقد استندت الإستراتيجية العسكرية الصهيونية في المرحلة التمهيدية لها إلى خطة لبـــناء شـــبكة من المستعمرات الصهيونية بهدف السيطرة على الأرض واحتواء المقاومة العربـــية، ومحـــاور هجـــوم جيوشـــها(٣). كمـــا طـــورت هـــذه الإستراتيجية من خلال الـــدروس المســـتفادة مـــن الحـــروب العربـــية - الصـــهيونية على أساس تأمين القوة الذاتـــية للكـــيان الصهيوني القادر على الدفاع والتعرض ضد الأقطار العربية منفردة أو مجتمعة(٤).

وقد بنت لتأمين قوتها الذاتية قدرة عسكرية جوية وبحرية وبرية تقليدية كبيرة، كما طـــورت مـــنذ عـــام ١٩٦٣م قدرة نووية وفيما بعد صاروخية قادرة على حمل رؤوس نوويـــة تصل إلى اكثر من ١٥٠٠كم. كما بنت قاعدة أساسية لأبحاث الفضاء تمكنت من إطلاق عدد من الأقمار الصناعية التي تؤمن لها إنذاراً مبكراً ومعلومات استخبارية دقيقة عـــن الأقطـــار العربـــية. كمـــا طورت أخيراً بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية نظام

---

(١) العمل على الخطوط الداخلية هو تثبيت إحدى الجبهات بقوة معينة مع دفع معظم القوة على الجبهة الأخرى الأخطر ثم العودة للجبهة الأولى مرة ثانية.

(٢) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٥٧-٥٥٨ .

(٣) بلغ عدد هذه المستعمرات حتى ١٥ ايار ١٩٤٨م (٢٧٧) مستعمرة تتحكم بأهم المناطق الزراعية والعسكرية في فلسطين، وتمثل كل مجموعة منها منطقة دفاعية قادرة على الدفاع عن نفسها مدة من الزمن.

(٤) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٥٧٨.

الصواريخ المضاد للصواريخ (أرو) أي السهم لإسقاط صواريخ أرض/ أرض العربية قبل وصولها للكيان الصهيوني [١].

ومـن أجـل اسـتيعاب هذه التكنولوجيا المتقدمة، ولمجاراة حجم الجيوش العربية المواجهـة الكبير، فقد تبنى الكيان الصهيوني منذ البداية نظرية الكيف مقابل الكم، فأولت الجـندي الصهيوني اهتماماً خاصاً بحيث يُعّد انعكاساً واقعياً للمجتمع الصهيوني المتطور بشـكل عام والمؤسسة العسكرية بشكل خاص، حتى أصبح الجندي الصهيوني المثل الذي يُضرب به.

ويركـز الصـهاينة علـى خلـق الجندي المقاتل الكفؤ من خلال منهجية تدريبية مدروسة بعناية مع الإهتمام الشديد بالناحية المعنوية للجندي الصهيوني، وترسيخ المفاهيم الدينية واليهودية التي تربط الحروب مع العرب بالقداسة وبأنها أمر إلهي يجب تنفيذه. كما تـربط الأعمـال العسـكرية الحاضـرة، وانتصاراتها بالتاريخ العسكري اليهودي القديم وأمجاده[٢]. وتعتبر كتائب الشباب (الجدناع) عنصراً داعماً في تنشئة الجيل العسكري بما تقوم به من تدريب وإعداد لجميع الشباب اليهود من سنة (١٤-١٧) عاماً قبل تجنيدهم في الخدمة العسكرية[٣].

ونظـراً للوهـن الـذي يعاني منه الكيان الصهيوني دائماً والمتمثل بنقص القوى البشرية، فقد لجأ إلى توفير قوة بشرية كبيرة وقت الحرب والإستغناء عنها في وقت السلم باسـتخدام أسلوب متطور في دعوة الإحتياط يكاد يكون فريداً من نوعه في العالم. ويقوم هـذا الأسلوب على الإحتفاظ بتشكيلات نظامية قليلة والباقي تشكيلات هيكلية تدام من قبل قوات الإحتياط عند استدعائها[٤].

---

(١)عن القدرة النووية والصاروخية للكيان الصهيوني، أنظر: قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٢٦٤-٢٦٦.

(٢) مـن بيـن الأمثلة على ذلك، إطلاق الإسم الرمزي " قادش" على خطة العمليات الإسرائيلية في حرب عام ١٩٥٦م، وذلك تيمناً بقادش المذكورة في التوراة. أنظر لمزيد من المعلومات عن المفاهيم الدينية والتاريخية التي تلقن للجندي الصهيوني في: الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص ١٧-٢٧.

(٣) الجدنـاع، تعنـي كتائب الشباب وتصنف إلى جدناع البر وجدناع البحر وجدناع الجو، أنظر: قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٢٥٦-٢٥٨.

(٤) لمزيد من المعلومات عن دعوة الإحتياط، أنظر: المصدر نفسه، ص ٣٩٠-٣٩٥.

ويُعــد الإحتــياط العمــود الفقــري للجــيش الصهيوني ويشكل ما نسبته ٧٠% مــن مجمــوع الجــيش، ويــتم استدعاؤه خلال فترة (٧٢) ساعة فقط. ويقسم الإحتياط إلـــى نوعيــن هما: احتياط الخط الأول، واحتياط الخط الثاني[1] ولكل منهما فترة تدريب مستقلة.

---

(١) احتــياط الخــط الأول: هو الإحتياط الفوري الجاهز للمعركة الذي عليه الإلتحاق خلال ٢٤ ساعة، ويتألف من العناصر الرئيسة في الجيش كالطيران والدروع والمظليين. أما إحتياط الخط الثاني: فهو الإحتياط المقرر لباقي الصنوف والأسلحة الذي عليه الإلتحاق خلال ٧٢ ساعة، ويضم ذوي الأعمار من ٤٤-٥٥ سنة.

التوافق التاريخي بين النظام العسكري

للحركتين الصليبية والصهيونية

إن الأقلية التي تسعى إلى حكم أغلبية معادية ليس أمامها من سبيل لضمان وجودها سوى أن تتمركز في أعداد قليلة نسبياً ولكن في أماكن حصينة. وقد اتبع هذا الأسلوب كل مـــن الكـــيان الصـــليبي والكـــيان الصهيوني لجعل وجودهما في الأرض المقدسة حقيقة واقعة[١].

فكمـــا اســـتخدم الصـــليبيون القـــلاع الضخمة والمدن المحصنة وزرعوا شبكات الطرق الرئيسة والثانوية في البلاد بالمواقع الحصينة ونقاط المراقبة، كذلك زرع الصهاينة البلاد بالمواقع الحصينة ونقاط المراقبة والطرق السريعة والمستعمرات على طول الحدود مع الأقطار العربية المجاورة[٢].

وكمـــا كانت المواقع الحصينة الصليبية بمثابة مراكز عسكرية ثابتة، وكان الجيش الميدانـــي هـــو العنصر المتحرك فيها، كذلك عملت المواقع الحصينة الصهيونية كمراكز عسكرية ثابتة، والجيش الصهيوني كعنصر الحركة فيها أيضاً[٣].

ومن الجدير بالذكر أن الكيان الصهيوني بنى بعض مستعمراته (الكيبوتزات) على أنقاض القلاع الصليبية، وقد ارتبطت هذه الكيبوتزات بعضها ببعض – على غرار ما فعل الصليبيون – بما عُرف بالموشاف أو القرى التعاونية[٤].

وقـــد يكـــون مـــن أكثر أوجه الشبه بين الكيانين الصليبي والصهيوني هو اعتماد مؤسستيهما العسكرية على عنصري التحصينات والجيش. لذلك كثف الصليبيون من إقامة

---

(١) براور، المصدر السابق، ص ١٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩٩.

(٤) Avnery, Israel without zionism, p. 80 , 84.

الحصـــون لدرجـــة أنهم حصنوا أكثر من مائة موقع من أصل مائة وعشرين مكاناً آهلاً بالسكان في فلسطين(١).

ونظـــرة إلى خارطة التحصينات لمملكة بيت المقدس، نجد أن عشر قلاع صليبية امتدت من جبل الشيخ حتى العقبة شكلت خط الدفاع الأول عن المملكة، في حين شكل نهر الأردن والـــبحر الميت والصحراء الجنوبية خط الدفاع الطبيعي الثاني. كما أقيم خط من التحصـــينات فـــي مواقـــع استراتيجية على الضفة الغربية لنهر الأردن على طول امتداد سلسلة جبال الجليل(٢).

ونظـــرة إلـــى خارطـــة المســـتوطنات الصهيونية في فلسطين نلاحظ أن الكيان الصهيوني باشر بإقامة المستعمرات في فلسطين منذ بداية الحركة الصهيونية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر واستمر نشاطه الإستيطاني خلال جميع مراحل تكوين الدولة وما بعدها دون توقف(٣). وقد قامت المستوطنة الصهيونية بالمهام نفسها التي كانت موكلة للقلعـــة الصليبية، كما تمتعت بنفس شروط ومواصفات موقع القلعة أيضاً. فبالإضافة إلى خدمـــة ســـكانها وقدرتهـــا على الإكتفاء الذاتي، فقد هدفت أيضاً إلى استقطاب مزيد من المهاجريـــن، وعلـــى فرض أمر الوجود الصهيوني على السكان الأصليين، وخلق منافس بشري للوجود العربي فوق أرضه، إضافة إلى العمل كمواقع مراقبة وإنذار متقدم، وإعاقة أي هجوم عربي محتمل من خلال سيطرتها على محاور التقدم العربية(٤).

وكما نظر الصليبيون إلى أهمية غور الأردن من الناحية الأمنية له، اهتم الصهاينة بهـــذه المـــنطقة أيضاً منذ بداية احتلالهم الضفة الغربية في حرب حزيران عام ١٩٦٧م،

---

(١) prawer, the Latin kingdom of Jerusalem , p. 281.

(٢) Ibid, p. 285-286.

(٣) بلغ عدد المستوطنات الصهيونية خلال الفترة ١٩٤٨-١٩٦٧م (٤١٩) مستوطنة، أنظر: أبو عرفة، المصدر الســـابق، ص ١٣١-١٤٤، كما أوردت قناة الجزيرة الفضائية في برنامجها "الرأي والرأي الاخر"، ٩/آب/ ٢٠٠١م، فـــي نـــدوة لهـــا عن الإستيطان الصهيوني في الضفة الغربية وقطاع غزة، أن عدد المستوطنات الصهيونية بلغ (١٩٤) مستوطنة منذ عام ١٩٦٧م وحتى عام ٢٠٠١م، منها (١٦) مستوطنة في قطاع غزة والباقي في الضفة الغربية، وقد أقيمت على مساحة (٨١٢٤٢) دونماً في الضفة الغربية و (٦٢٤٨) دونماً في قطاع غزة.

(٤) مهـــدي عبد الهادي، المستوطنات الإسرائيلية في القدس والضفة الغربية المحتلة ١٩٦٧-١٩٧٧م ، جمعية الملتقى الفكري العربي، القدس، ١٩٧٨م، ص ٥٨-٥٩؛ أبو عرفة، المصدر السابق، ص ١١٣.

ومــثلما أدت القــلاع والمــدن المحصــنة والمستوطنات دوراً بارزاً في التفكير العســكري الصــليبي والصــهيوني، ومثلــت صــفة مميزة لكيانيهما في الشرق العربي الإســلامي، كذلك كان بقاؤهما واستمرار تواجدهما على الأرض العربية مرهوناً بقوتهما العسكرية. إذ كانت الحرب جزءاً لا يتجزأ من الحياة العامة في الممالك اللاتينية مثلما هي أيضــاً جــزء لا يتجزأ من الحياة العامة في الكيان الصهيوني. وفي الواقع فإن المجتمع الصهيوني يُعتبر جميعه مجتمعاً حربياً أو كما قيل فإن "إسرائيل جيش وله دولة"(١).

وكما أن حقيقة كون الممالك اللاتينية أوجدت بالغزو والإستيطان، كذلك كان خلق الكيان الصهيوني بالغزو والإستيطان المعتمد على القوة والعنف. و"بن غوريون" يُعبر عن ذلــك بقولــه: " إننا سنقاتل العرب بالقوة، وليس هناك من نتيجة محتملة لهذا الصراع الا النتيجة التي تفرضها قوة السلاح"(٢).

وقــد كــان اللجــوء إلى القتال باعتباره أسلوب من أساليب الحرب، مشكلة دائمة يواجهها حكام الممالك اللاتينية. وكانت الحروب، التي يخوضها هؤلاء الحكام ذات أهداف محــدودة، لم تكن لتشمل العثور على قوات العدو وتدميرها في أغلب الأحيان، بل كانت الأرض هــي الهــدف الرئيس، وكان ذلك أحد الأسباب الرئيسة في تورطهم في الحرب سواء لكسب أرض جديدة أو للدفاع عن أرض يحتلونها(٣).

كذلــك، فــإن الصهاينة (ككيان) إنما هم تعبير عن حالة حرب، ويعكس وجودهم وســط محيط عدائي لهم وضعهم القلق واستعدادهم الدائم للحرب، لذلك نراهم قد سخَّروا جمــيع مرافق الدولة لأغراض هذه الحرب(٤). والصهاينة بحاجة دائمة إلى أراض جديدة ليســتولوا عليها من العرب عن طريق القيام بمختلف أنواع العمليات العسكرية المحدودة والواسعة، بالإضافة إلى المحافظة على ما بين أيديهم من أراض مغتصبة(٥). ومن هنا فإن الحفــاظ على الكيان السياسي للصهاينة يعتمد كلياً على بنيان عسكري يقوم على التوسع لضمان البقاء والوجود.

---

(١) سميل، المصدر السابق، ص ٢٤؛ قاسم إدارة الحرب في إسرائيل، ص ١٤٨، ٣٠٣.

(٢) الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص ٤٢٠، ٤٣٤.

(٣) سميل، المصدر السابق، ص ٤٢،٥٢-٥٣.

(٤) الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص ٢٧٦، ٣٦١ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٦٧، ٣٦٨.

ونظـرة إلـى مراحل التوسع الصهيوني خلال الأعوام التي انقضت منذ قيام هذا الكـيان حتى اليوم، نراه لا يخرج عن الدائرة التي رسمتها الصهيونية "لإسرائيل الكبرى" أو "أرض إسـرائيل بحدودهـا التاريخـية"، ومن أجل ذلك شن الكيان الصهيوني خمس حروب منذ قيامه حتى الآن[١].

ومـثلما اعـتمد الجـيش الصليبي في تنظيمه على النفير العام إضافة إلى القوات الإقطاعـية والمرتزقة والأخويات الرهبانية كقوات أقرب ما تكون إلى القوات النظامية، كذلـك اعـتمد الجـيش الصهيوني في تنظيمه على القوات الإحتياطية التي تشكل غالبية الجيش بالإضافة إلى القوات النظامية[٢].

وجديـر بالذكر أن التنظيم العسكري الصهيوني يحتل وضعاً غريباً قياساً بجيوش العـالم، اذ إن المجـتمع الصـهيوني بأسـره هو تحت السلاح وهو أشبه ما يكون بثكنة عسكرية[٣].

ومـثلما كـان على الممالك الصليبية سحب كل مقاتل قادر على حمل السلاح من جمـيع المـدن والقـلاع الصليبية لمواجهة هجمات الجيوش الإسلامية، كان على الكيان الصـهيوني أيضاً دعوة كل جندي صهيوني بموجب قانون الخدمة الإحتياطية الذي صدر عـام ١٩٤٩م والـذي تمكـن عن طريقه الصهاينة من استغلال قدرتهم البشرية أفضل استغلال وتوزيع عبء الدفاع عن كيانهم على مختلف الأجيال[٤].

وما يفرق النظامين العسكريين الصليبي والصهيوني عن بعضهما، هو أن الأخير استفاد من أخطاء الأول وعمل جاهداً على تفاديها. لذلك نراه يولي القوات الاحتياطية لديه والتـي تشكل اكثر من ٦٠% من مجموع قواته عناية كبيرة في تدريبه وفي تسليحه وفي دعوته، على عكس النفير العام الصليبي أو أي شكل آخر من أشكال التعبئة الشعبية التي

---

(١) الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص ٣١٩، ٣٦٣.

(٢) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٢٢٩؛ الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص ١٧٧.

(٣) قاسم، ادارة الحرب في إسرائيل، ص ٢٢١.

(٤) يشـمل نظام الخدمة العسكرية في الكيان الصهيوني جميع أفراد الشعب من سن ١٢–٥٥ سنة، ولا يُستثنى مـن الخدمة أحد حيث يطبق التجنيد الإلزامي على الرجال والنساء على حد سواء. لمزيد من التفاصيل عن نظام الخدمة الاحتياطية، أنظر: المصدر نفسه، ص ٣٧٧–٣٩٥.

كانت غير ملائمة لتلبية المتطلبات الإعتيادية طالما أنها تقدم قوات لا تملك الخبرة القتالية وضعيفة التسليح غالباً[١].

كما أن القيادة والسيطرة لملوك بيت المقدس على الجيش الميداني بعد الجيل الأول أخذت تزداد صعوبة خصوصاً على الأخويات الرهبانية، التي لم يكن باستطاعتهم فرض سيطرتهم التامة عليها[٢]، بعكس الكيان الصهيوني الذي تتصف القيادة والسيطرة فيه بمركزية التخطيط ولا مركزية التنفيذ. كما أن قيادته موحدة ويمارس فيها رئيس الأركان قيادة وسيطرة على الأسلحة الثلاث البرية والبحرية والجوية[٣].

غير أن الكفاءة القتالية، وحسن التدريب، والإنضباط، والطاعة، كانت عناصر مشتركة لكلا النظامين العسكريين الصليبي والصهيوني خصوصاً عند قوات الأخويات الرهبانية والقوات النظامية الصهيونية[٤].

ولتعويض التفوق العددي للمسلمين على الصليبيين والذي بلغ واحداً إلى اربعة تقريباً قياساً إلى عدد المقاتلين[٥]، كان لابد من تبني نظرية الكيف مقابل الكم لمجاراة حجم الجيوش الإسلامية، وذلك بالإحتفاظ بحجم قوة صغير نسبياً ولكن بنوعية متفوقة من القوات والأسلحة بالإضافة إلى الإرتكاز على قلاع حصينة ذات مواقع إستراتيجية عوضتها من حيث الكيف عما كانت تفتقر اليه من حيث الكم[٦]. كذلك تبنى الصهاينة نظرية الكيف مقابل الكم وذلك بالإحتفاظ بجيش نظامي صغير نسبياً ولكن على درجة

---

(١) سميل، المصدر السابق، ص ١٦٢.

(٢) شكلت الرهبانيات العسكرية حوالي نصف الجيش الصليبي وقد جلب الإعتماد عليها الخطر على المملكة، أنظر: wise, the wars of the crusades, pp. 102-103.

وانظر أيضاً: سميل، المصدر السابق، ص ١٦٢- ١٦٤، ١٦٨-١٧٠

(٣) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٣٦٦، ٣٧١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٤٠،٣٧٢،٣٤٧،٣٣٨-٥٤١.

(٥) استمد الباحث هذه النسبة من متوسط نسبة القوة العددية للجيوش الاسلامية إلى الجيوش الصليبية في المعارك المختلفة التي جرت بين الطرفين اعتماداً على رواية فوشيه الشارتري على الرغم من المبالغة في تقديراته للجيوش المسلمة. أنظر عديد الجيوش المسلمة والصليبية في: الشارتري، المصدر السابق، ص ١٩٧،١٨٧،١٣٨،١١٦.

(٦) Wise, op.cit.p.102

وأنظر أيضاً: براور، المصدر السابق، ص ٦٥-٦٦.

عالية من التدريب والجاهزية ومزود بأحدث الأسلحة والتكنولوجيا التي لا تستطيع الأقطار العربية مجاراته، مع الإحتفاظ باحتياطي كبير ونظام تعبئة سريع وفعال، وقوة جوية ضاربة تعتبر الذراع الطويلة للكيان الصهيوني[١]، بالإضافة إلى الإرتكاز على عدد من المواقع الدفاعية الحصينة[٢].

على أن نسبة تجنيد الكيان الصهيوني تبلغ ما بين ١٢,٥-١٥%، وهي من أعلى النسب في العالم[٣]، مقابل ٧٧٥،% للدول العربية وقت السلم و ١,٢% وقت الحرب[٤]. ومع أن نسبة التجنيد لدى العدو الصهيوني تدل على الفاعلية والكفاءة فإنها تدل من وجه آخر على درجة العطل والضرر الذي يصيب الإنتاج الصهيوني بمختلف أشكاله التجاري والزراعي والصناعي عند خوضه حرباً طويلة[٥].

ورغم التفوق العربي بالعدد والعدة على الكيان الصهيوني[٦]، فإنه تمكن من تحقيق التفوق الكمي المحلي على الجيوش العربية في ميادين القتال، وحشد قوات متفوقة في كل معركة خاضها، منفرداً مع دولة عربية واحدة أو مع عدة دول[٧]، وهذا بعكس الصليبيين الذين ظلوا يقاتلون بقوات أقل عدداً من القوات المسلمة. غير أن الطرفين الصليبي والصهيوني تمكنا من تحديد أولويات الجبهات والإنفراد بالجبهة العربية الواحدة

---

(١) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٣٣٦، ٣٣٧، ٤١٤، ٥٤١-٥٤٢، ٥٦١.

(٢) آريه شليف، خط الدفاع في الضفة الغربية- وجهة نظر إسرائيلية - ترجمة غازي السعدي، دار الجليل للنشر، عمان، ط١، ١٩٨٥م، ص ١٩-٢١.

(٣) نوفل، المصدر السابق، ص ٣٧٩.

(٤) استطاع الصهاينة حشد ١١% من طاقتهم البشرية في حرب حزيران، بينما حشد العرب ثلاثة بالألف، أنظر: المصدر نفسه، ص ٣٨١، ٣٨٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٧٩.

(٦) تتفوق القوات البرية للدول العربية مجتمعة بـ أحد عشر ضعفاً عن القوات البرية الصهيونية، وتتفوق بنسبة أربعة أضعاف ونصف في عدد الدبابات عما يمتلكه الكيان الصهيوني، وتتفوق بنسبة أربعة أضعاف بعدد الطائرات المقاتلة والقاذفة، وتتفوق بنسبة عشرة أضعاف بعدد الطائرات العمودية، وستة أضعاف بطائرات النقل، أنظر: المصدر نفسه، ص٣٨٣، نقلاً عن: مجلة الحرس الوطني السعودي،التوازن العسكري بين العرب وإسرائيل، عدد صفر ١٤٠٥هـ.

(٧) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٥٥٥.

تلـــو الأخرى، ومقاتلة الجيوش الإسلامية والعربية واحدة واحدة، وقد برز ذلك في معظم الحروب والمعارك التي خاضاها[1].

وقـــد كـــان على الكيان الصهيوني نتيجة الوهن الذي يعاني منه والمتمثل بنقص القـــوى البشـــرية والإعتماد على دعوة الإحتياط، تجنب المواجهة الطويلة في حروبه مع العـــرب، لأن ذلـــك ســـيؤدي إلـــى أوخم النتائج بالنسبة له على كافة الأصعدة السياسية والمعـــنوية والدولية، وفي النواحي الإقتصادية والعسكرية والإجتماعية. ولهذا فإن حروبه كانـــت خاطفة مع العرب، ويعتمد في عملياته على الجهد الجوي- المدرع المشترك أو ما يسمى (Air-land battle) ، وليس على الجهد البري وحده[2].

ويخطـــط الصـــهاينة لأن تكـــون مـــدة المعركة أو الحرب قصيرة بحيث يحسم الـــنزاع فـــي أقصـــر وقـــت وبضـــربة إنفـــرادية لكل خصم بعد نقل المعركة لأرض العدو[3].

كذلـــك كـــان علـــى الممـــالك الصليبية نتيجة نقص القوى البشرية كعامل حاسم والإعـــتماد علـــى الهجـــرة والمرتـــزقة، أن تكون فكرة الحرب المحدودة وانجاز الهدف العسكري مع الإقتصاد بالقوى هي المسألة التي تفرض نفسها دوماً على الصليبيين، وكان عليها تجنب الدخول في قتال مع المسلمين يكونون فيه متفوقين[4].

---

(١) أخـــرّ الصـــهاينة في حرب حزيران ١٩٦٧م، وحرب تشرين ١٩٧٣م هجومهم على جبهة الجولان إلى أن فـــرغوا من جبهة سيناء، ثم حولوا جهدهم إلى جبهة الجولان حتى حسموا المعركة في وقت قياسي، أنظر: قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٥٥٥؛ نوفل المصدر السابق، ص ٢٣٧،٢٣٨. كذلك تمكن بلدوين في العـــام ١١٠٥م مـــن هزيمة القوة السورية التي جاءت لنجدة الجيش المصري في مقاطعة الرملة أولاً عندما كانت تشكل خطراً جدياً على مؤخرته ثم ارتد إلى أرض المعركة الرئيسة ليقود الهجوم الحاسم الذي أدى إلى اندحار القوة المصرية. أنظر: الشارتري، المصدر السابق، ص ١٣٨؛ سميل، المصدر السابق، ص ٢٦٣.

(٢) الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص ٣٨٠؛ نوفل، المصدر السابق، ص ٣٧٩-٣٨٠.

(٣) الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص ٣٨٠-٣٨١ .

(٤) سميل، المصدر السابق، ص ١٩٥، ٢١٠.

كمـــا كانت القوة الأساسية في الجيش الصليبي تتشكل من الخيالة الثقيلة المدرعة، وقـــد ظهـــر ذلك نتيجة لتطور حدث في الغرب الأوروبي وانبثق عن النظرية العسكرية السائدة وعن الوسط الإجتماعي الذي تطورت هذه النظرية في رحابه(١).

وقد خضعت الجيوش الصليبية وفرسانها لعملية من التعديل والتغيير اتضحت في تطبـــيق أســـاليب التكتيك الغربية المعدلة وفق متطلبات العصر، وفي التغييرات الخاصة بمجـــال التسليح. وعلى مدى ما يقرب من مائتي عام، ظل الغرب يرسل زهرات فرسانه إلـــى المملكة اللاتينية وكانت هذه الإمدادات ذات تأثير فعال في مواكبة التسليح الصليبي للتطورات الأوروبية(٢).

وبالصورة نفسها تشكل جيش الكيان الصهيوني في بداياته عام ١٩٤٨م على غرار الجـــيش البريطانـــي، إذ كـــان معظـــم ضـــباط الهاجناه من خريجي مدارس هذا الجيش ووحداتـــه(٣). وكـــي تواجه المنظمة العسكرية الصهيونية التحديات التي تعترضها وتؤمن الإستخدام الأقصى لطاقاتها، فقد عمدت إلى اقتباس الطراز السويسري في تنظيم جيشها، ولكـــنها عملـــت في الوقت نفسه على تطوير صفات هذا الجيش الخاصة به بحيث يرث تقاليد الهاجناه والبالماخ والأرغون والشتيرن، مع الإستفادة من خبرات الجيوش البريطانية والفرنسية والأميركية والروسية في نفس الوقت(٤).

كمـــا لـــم يغفـــل الكيان الصهيوني عن تجهيز جيشه بمختلف الأسلحة الأوروبية والأميركـــية وأحدثهـــا، وتحقيق التفوق النوعي في التسليح من حيث الدقة وكثافة النيران وقابلية الحركة والطابع الهجومي للأسلحة، بما في ذلك أسلحة الدمار الشامل، على عكس التسليح العربي ذي الطابع الدفاعي في المقام الأول (٥).

---

(١) براور، المصدر السابق، ص ٢٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٦-٢٠٨؛ سميل، المصدر السابق، ص ١٧٤-١٧٥، ١٨٢.

(٣) الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص ٢٦١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٤، ٢٦٥.

(٥) المصـــدر نفســـه، ص ٣٩٠-٣٩١؛ قاســـم، إدارة الحـــرب في إسرائيل، ص ٥٤١-٥٤٢، ٥٥٥، ٥٦١، ٥٦٣.

وقد ساهم التصنيع الحربي الصهيوني في تزويد المؤسسة العسكرية بجميع أنواع الأسلحة البرية والجوية والبحرية التي تحتاجها بما في ذلك الأسلحة التقليدية وغير التقليدية، في محاولة منها للحصول على الإكتفاء الذاتي وعدم الإعتماد على الدول الأخرى(1).

وكما كانت الجيوش الصليبية لا تقهر في المعارك، والحقيقة أنها نادراً ما هُزمت في هذه المعارك، إلا أن الهزيمة ذاتها لها معنى عند الصليبيين يختلف عن معناها عند أعدائهم المسلمين. فقد كان لدى الجيوش المسلمة احتياطي كبير من القوى البشرية، ولم تكن أكثر الهزائم قسوة تعني أكثر من مجرد معركة خاسرة. أما الصليبيون الذين كانوا يعبئون كل قواهم البشرية تقريباً، فإن الهزيمة الواحدة عندهم ربما تعني خسارة المعركة أو الحرب، بل حتى ضياع المملكة نفسها، وهذا ما حدث بالفعل في حطين سنة ١١٨٧م(٢).

ومثلما تبددت أسطورة " فرسان الغرب الذين لا يقهرون" في معركة حطين، كذلك تبددت أسطورة " الجيش الإسرائيلي الذي لا يُقهر " في حرب رمضان ١٩٧٣م التي روجتها الدعاية الصهيونية في الأوساط العالمية، وبأن جيشها يستطيع منازلة كل الجيوش العربية والتغلب عليها مجتمعة(٣).

كذلك، فإن الكيان الصهيوني لا يمكن له أن يتحمل خسارة حرب واحدة لأنه قد لا يُتاح له فرصة أخرى، بعكس العرب الذين لديهم احتياطي كبير من القوى البشرية والإمكانيات المادية، والتي لم تكن أكثر الهزائم قسوة كهزيمة الجيوش العربية في حرب حزيران ١٩٦٧م تعني أكثر من مجرد معركة خاسرة، تمكنوا بعدها بست سنوات فقط من تجميع قواهم وشن حرب أخرى هي حرب تشرين عام ١٩٧٣م (٤).

---

(١) قاسم، ادارة الحرب في اسرائيل، ص ٥٤٢.

(٢) براور، المصدر السابق، ص ١٢٤-١٢٥، أنظر أيضاً:

prawer, the Latin kingdom of Jerusalem ,p. 22.

(٣) نوفل، المصدر السابق، ص ١٤، ٢٣٥.

(٤) الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص ٢٦٤.

وفـــي الكـــيان الصـــهيوني بعكس الدول الأخرى، ونظراً لضيق رقعته الجغرافية ومحدوديـــة المـــناورة فيه، وإحاطة الأقطار العربية به من كل اتجاه باستثناء البحر، فإن الهزيمة في المذهب العسكري الصهيوني تعني الموت، وأن لا خيار لهم سوى النصر أو الإبـــادة. وأما الهزيمة، فلا تعني سوى فناء الكيان الصهيوني ذاته، لأن الصهاينة لن يتاح لهم أن يحاربوا مرة اخرى[1].

وكمـــا قـــاتل الصليبيون بمبدأ ثنائي الفارس المدرع/ جندي المشاة، وكان للتعاون القائم بينهما أثره الكبير في الإنتصارات التي حققوها على المسلمين[2]، فإن قوة جيوشهم كانت تكمن في الحقيقة في خيالتهم الثقيلة التي كانت مهمتها القضاء على كل شيء أمامها. كما كان لقوة الصدمة والتأثير الذي يحدثه الفرسان المدرعون بالحديد ما لا يمكن للخصم مقاومته. علاوة على ذلك فقد كانت نتيجة المعركة غالباً ما تتحدد خلال الجولة الأولى من القتال[3].

وفـــي ضوء ذلك، فإن جهود المسلمين كانت دائماً مركزة على الفصل بين فرسان الصـــليبيين وجـــند المشاة. وإذا ما نجحوا في ذلك، فإنهم غالباً ما كانوا يحققون انتصاراً باهـــراً عليهم، وقد حدث ذلك في حالات كثيرة أهمها فصل الخيالة عن المشاه في معركة حطين[4].

كذلك، قاتل جيش الكيان الصهيوني في حروبه مع العرب على مبدأ ثنائي الطائرة/ الدبابـــة، حيث تقوم الطائرة بإخماد الأهداف الأرضية وتقوم الدبابة بالإندفاع كرأس رمح لتطهير الأهداف على الأرض[5].

---

(١) الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص ٣٨٣؛ قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ١٤٣.

(٢) تحـــدث فوشـــيه الشارتري في تسجيله لمعركتين خاضهما الملك بلدوين؛ الأولى قرب الرملة ويافا في العام ١١٠٢م حيـــث ارتكب الملك فيها خطأً عندما خاض المعركة بدون مشاته، ثم خطؤه الثاني باستخدام المشاه بدون حماية الفرسان. أنظر: الشارتري، المصدر السابق، ص ١٢٥، وأنظر أيضاً: سميل، المصدر السابق، ص ٢٠٢، ٢٠٦، ٢٩٠.

(٣) يررد ابن القلانسي في ص ١٧٦ عبارة "الهجوم الشهير" وفي ص ٢٨٤ "الإنقضاض الشهير"، وأنظر أيضاً: finucane, soldiers of the faith, p. 68.

(٤) سميل، المصدر السابق، ص ٢٠٢؛ براور، المصدر السابق، ص ٢١٨،١٢٤.

(٥) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٢١٦، ٥٤٥.

وقد بنى الصهاينة عقيدتهم الدفاعية على نظرية الدرع والرمح لتجمع بين مفهومي الثبات والحركة أو الدفاع والهجوم. فإذا كانت المستعمرات الدفاعية على الحدود تشكل الدرع فإن القوات المدرعة وقوات المظليين تشكل الرمح، أما القوات الجوية فهي رأس الرمح(١).

وتحظى المناورة باهتمام كبير لدى القادة الصهاينة باعتبارها مفتاح النصر والأسلوب العملي لتطبيق نظرية الحرب الخاطفة. لهذا فإن القوات المدرعة والآلية والقوات المحمولة جواً هي العمود الفقري للقوات الصهيونية، كما كان حال الخيالة المدرعة لدى الصليبيين(٢).

ويبني الصهاينة عقيدتهم التعرضية على سرعة حسم المعركة من خلال توغل سريع في عمق أراضي العدو بواسطة القوة المدرعة وإنزال مظلي على المؤخرة مسندة بدعم جوي من قبل القوة الجوية الصهيونية(٣).

ومن هنا يمكن القول بأن الفرق بين الجيوش في العصور الوسطى والحديثة لا يكمن في زيادة حجمها نتيجة الزيادة في عدد سكانها فقط، بل في دور الجندي المقاتل فيها أيضاً(٤).

وكما أن الجيوش الصليبية والمسلمة في العصور الوسيطة عكست خصوصية تقاليدها السياسية والإجتماعية والإثنية، واحتفظت بتقليدها العسكري طوال المواجهات بينهما التي استمرت نحو مائتي سنة(٥). كذلك، عكس الجندي الصهيوني بشكل عام وجيش الكيان الصهيوني بشكل خاص خصوصية المجتمع الصهيوني الذي هو في واقع الأمر نتاج الفلسفة الصهيونية وفكرها العسكري القائم على مبادئ الإغتصاب والتملك والتوسع على حساب الأراضي العربية المجاورة، وعلى أوصاف الجندي الواردة في التوراه والمميزة بالشجاعة والقوة والتضحية من أجل شعب (إسرائيل). كما يمكن القول أن

---

(١) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٥٧١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٦٧.

(٤) prawer, the Latin kingdom of Jerusalem, p. 327.

(٥) Ibid , p. 326.

الجـندي الصـــهيوني جـــاء نتيجة حاجات وقوى سياسية واجتماعية وعسكرية فرضتها ظروف المواجهة والمواقف التاريخية[١].

ومـــثلما تمـــيزت المعارك الصليبية مع الجيوش الإسلامية وخاصة المصرية منها بقصـــر مدتهـــا والحســـم الصليبي فيها[٢]، كما تميزت بقلة الخسائر البشرية في صفوف الصـــليبيين، حيث تراوحت نسبتها بين (٦،%- ١٥،٥%) مقابل الخسائر البشرية الكبيرة في صفوف المسلمين[٣]، إلا أن نسبة خسائر ١٥/١ أو ٦،٦٦% عند الصليبيين كانت تعد نســـبة عالـــية وغير مقبولة وكارثية بالنسبة للمملكة[٤]. كما يُلاحظ أن نسبة الخسائر في صفوف المشاة الصليبية كانت أعلى بكثير منها في صفوف الفرسان[٥].

كذلـــك، تمـــيزت المعـــارك والحروب العربية- الصهيونية بقصر مدتها والحسم الصـــهيوني فـــيها، وكانت مجمل الخسائر الصهيونية مقارنة بالخسائر العربية قليلة ولا تكـــاد تذكر عند أخذ نتائج هذه الحروب بعين الإعتبار. إذ تراوحت نسبة خسائرها مقارنة بعدد سكانها بين (١،٠٠%-٠،٠٩%) حيث كانت أعلى نسبة لها في حرب عام ١٩٤٨م. كما يُلاحـــظ أن نســـبة خســـائر الضباط كانت عالية بالنسبة للأفراد وتقدر بنحو (١٦%) في الحروب [٦].

ومن الجدير بالذكر أن الصليبيين كما الصهاينة أولوا عناية فائقة بسحب قتلاهم من أرض المعركة مما رفع من معنويات جنودهم في القتال لدرجة أن الكيان الصهيوني درج على استبدال جثث بعض جنوده بمئات الأسرى من العرب[٧].

---

(١) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٣٣٧.

(٢) wise, the wars of the crusades, p.177.

(٣) اســـتقى الباحـــث هذه النسب من مقارنة الخسائر لبعض المعارك التي جرت بين المسلمين والصليبيين كما اوردهـــا فوشيه الشارتري في كتابه " تاريخ الحملة إلى القدس"، أنظر عن الخسائر البشرية في: الشارتري، المصدر السابق، ص ٥٤، ٦٣، ١١٨، ١٣٩، ١٩٧، ٢١٢، ٢٢٥، ٢٣٣.

(٤) wise, op.cit ,p.84.

(٥) Finucane, soldiers of the faith, p. 80.

(٦) بلـــغ مجمل خسائر الصهاينة في حروبهم الست حوالي (١١،٥٠٠) قتيل، لمزيد من التفاصيل، أنظر: قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٣٥٠، ٣٥١؛ نوفل، المصدر السابق، ص ٣٨٠.

(٧) المصدر نفسه، ص ٣٧٢، أنظر أيضاً:

finucane, op.cit , p.85.

كمـا شـاركت المـرأة الصـليبية مـنذ الـبداية في معظم الحملات والمعارك الصـليبية مـع المسلمين. ورغم أن معظم مشاركتها اقتصرت على واجبات جلب المياه وإسـعاف الجـرحى ونقـل الحجارة وتشجيع المقاتلين وغير ذلك من الأعمال التي تلائم طبيعة المرأة الجسدية، إلا أن قسماً من هؤلاء النسوة اشتركن بالقتال الفعلي جنباً إلى جنب مع الرجال.

وقـد روى " وليم الصوري" أن بعض النساء الصليبيات قاتلن في الحملة الصليبية الأولـى فـي حصـار القـدس، كمـا أن بعضهن شاركن فعلياً في قتال المسلمين أثناء حصارهم لمدينة عكا عام ١١٨٩م، وعام ١١٩٠م[١].

كذلك، شاركت المرأة الصهيونية منذ البداية جنباً إلى جنب مع الرجل في منظمات الهاشـومير والهاجناه والأرغون والبالماخ، وإن لم تكن هذه المشاركة ميدانية قتالية، إلا أنها شملت أعمال التمريض والسكرتاريا وقيادة الآليات واللاسلكي، والبعض منهن شاركن في حراسة الكيبوتزات[٢].

وخلال الحرب العربية- الصهيونية الأولى شاركت بعض النساء الصهيونيات في عملـيات إغارة مباشرة على العرب، غير أنه منذ عام ١٩٤٣م صدر قرار رسمي بمنع المرأة من الاشتراك في عمليات قتالية مباشرة[٣].

ويـنص قانون الخدمة في الجيش الصهيوني الذي صدر عام ١٩٤٩م على وجوب تجنيد جمـيع النساء الصهيونيات عند بلوغهن سن الثامنة عشرة لمدة سنتين، وتبلغ نسبة التجنيد في النساء نظراً لبعض الإعفاءات حوالي ٦٠% مقابل ٩٠% للرجال[٤].

---

(١) Finucane, soldiers of the faith, pp. 177-178.

وأنظر أيضاً: Wise, the wars of the crusades, p. 84.

(٢) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٣٩٥؛ الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص ١٨٠.

(٣) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٣٩٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٩٦.

وبرغم التحديدات على خدمة المرأة، فإن خدمتها في الوحدات المقاتلة تُعد مقبولة وخدمـــة تطوعـــية لمـــدة ســـنة واحدة فقط على أن لا تشترك بشكل مباشر في العمليات القتالية التي يقوم بها الجيش الصهيوني[١].

وعـــلاوة على خدمة النساء ومشاركتهن القتال في الجيوش الصليبية، فقد تم كذلك تجنيد فرق مقاتلة من السكان المحليين أُطلق عليهم إسم التركوبلي Turcoples (أي أبناء الأتـــراك) الذيـــن كانوا يقلدون الأتراك السلاجقة في تسليحهم وأسلوب قتالهم. وربما كان هـــؤلاء فعـــلاً حسب رأي المؤرخ الصهيوني "يوشع براور" من الأتراك أو المولدين من الأتـــراك و البيزنطييـــن، ولكـــنهم في نهاية الأمر صاروا يجندون من المحليين كالأرمن والبدو[٢].

كذلك، فقد عمد الكيان الصهيوني إلى تجنيد الدروز وبعض البدو والمسيحيين من العرب في جيشه واستثنى بقية العرب خشية عدم ولائهم له. إذ ينظر الكثيرون من اليهود الصـــهاينة إلـــى الأقلية العربية كفئة معادية يمكن أن تتحول إلى طابور خامس إذا أُحسن اســـتغلالها من قبل العرب[٣]. وهذه النظرة هي ذاتها التي كان ينظر فيها الصليبيون إليهم مـــن قـــبل كفئة يمكن أن تشكل خطراً عليهم. وقد حدث ذلك فعلاً عندما ناصر الفلاحون المســـلمون في أواسط فلسطين المفرزة من جيش المسلمين التي اجتازت نابلس عبر جبال الســـامرة[٤]. ولذلـــك فقد لجأ الصليبيون بعد معركة حطين إلى إخلاء الفلاحين المسلمين مـــن منطقة نابلس لمناصرتهم صلاح الدين[٥]. وقد عبّر " وليم الصوري" عن هذه الحالة بمقولته المشهورة: " ما من عدو اسوأ من العدو المقيم بين ظهرانيك"[٦].

---

(١) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٣٩٧.

(٢) براور، المصدر السابق، ص ٢١٦، أنظر أيضاً:

wise, the wars of the crusades, p.83.

(٣) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ١٣٨، ١٧٧، ٣٧٨.

(٤) ابـــن القلانســـي، ذيـــل تـــاريخ دمشـــق، ص ١٣٩، كذلك سجل وليم الصوري مناسبة أخرى استجار بها المواطـــنون العرب بالسلاجقة في منطقة يحكمها الفرنجة في العام ١١٤٤م وهي منطقة القويرة بالقرب من البتراء، أنظر : الصوري، المصدر السابق، ص ٧١٢-٧١٣.

(٥) سميل، المصدر السابق، ص ١٠١.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٠١، ٧١٢، ٧١٣؛ الصوري، المصدر السابق، ص ٤٨٦.

وبسبب عداء السكان الأصليين للصليبيين، وقلة عدد الأخيرين أمام الكثرة المسلمة طـوال فـترة بقـائهم في المشرق العربي الاسلامي، فقد ظلت الممالك الصليبية حبيسة الهاجس الأمني، لا بل ظل الأمن الدافع المسيطر على حياتهم(١).

وكان السفر يمثل مخاطر جسيمة في الأراضي الجبلية حتى على الطرق الرئيسة من يافا إلى بيت المقدس عبر سهل الرملة، ولهذا نشأت الداوية كتنظيم مسلح لحماية قوافل الحجيج حيث أصبحت فيما بعد جزءاً من الوجود الصليبي(٢).

ومـن هنا ظل الصليبيون في يقظة وحذر دائمين، معتمدين على قوتهم العسكرية، ومدركيـن أن أمـنهم لا يـتحقق إلا في بقائهم على أعلى درجات الإستعداد لمواجهة أي هجمات قد يشنها أعداؤهم(٣).

وبالصـورة ذاتهـا ظـل الأمن للكيان الصهيوني العامل الثابت الأول والمسلّمة المركـزية في الفكر الصهيوني، سواء تجسّد ذلك في فترة ما قبل قيام الدولة، والذي أخذ طـابع أمن الكيان الإجتماعي ممثلاً في الحيز الجغرافي الذي يقيم فيه اليهود (الجيتو) أو أمـن الـتراث الدينـي (بعدم الدخول أو الخروج في أديان أخرى)، أو أمن الرومانسية التاريخية (الحفاظ على القدرة ومقاومة البيئة المعادية، التراث الأدبي بأشعاره ومزاميره، أو قصـص الأنبـياء)، أو بعـد قيام الدولة والذي تمثل في الحفاظ على الدولة والمجتمع واستمرار وجودهما(٤).

وقـد سـاد الفكر الإستراتيجي للكيان الصهيوني على المفهوم الضيق لمبدأ الأمن الـذي يقتصر على معنى محدد يتمثل في " تحجيم أو إلغاء الخطر الخارجي"، بمعنى أن مفهـوم الأمـن يـتمركز حول العلاقة مع البيئة المحاذية (حيث الحدود المشتركة للكيان الصـهيوني مـع جـيرانه العـرب)، والإقليمـية (حيث الحدود الأبعد التي تشمل بقية

---

(١) prawer, the Latin kingdom of Jerusalem, p. 281.

(٢) براور، المصدر السابق، ص ١٩٠.

(٣) Avnery, Israel without Zionism, p. 83, 87-89.

(٤) ولـيد عـبد الحـي، مستقبل الفكر الصهيوني، أبحاث مركز الدراسات الأردني، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٧،ص ٥٠؛ الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص ٢٦٦.

الأقطـــار العربـــية والإسلامية)، والدولية (حيث الإحساس التاريخي لليهود بالبيئة الدولية المعادية)[1].

وتتجســـد مشــكلة الأمـــن الصهيوني بوضوح في وصف " موشي دايان" بقوله: "لـــيس هـــناك وجـــود تقريباً لمفهوم الحدود الآمنة بالنسبة لإسرائيل، فالدولة كلها عبارة عـــن حـــدود، وأن نمـــط الحـــياة القومية فيها مهدد بأي عمل عدائي من أراضي الدول المجاورة"[2].

وأمـــن الكـــيان الصـــهيوني بهذا المفهوم يستلزم استعداداً دائماً، وضماناً للتفوق العســـكري، ومقـــدرة على الردع، وضرب أي تحرك عربي محتمل أو مفاجئ ضد هذا الكيان في الأرض العربية وخارج فلسطين المحتلة[3].

كمـــا تتخذ مشكلة الأمن في الكيان الصهيوني شكل قضية تتعلق بالبقاء ذاته. وقد عـــبّر "بـــن غوريون" عن ذلك بقوله: " تأخذ قضية الأمن موضعاً رئيساً في أفكارنا. ولا توجـــد قضية مشابهة لهذه القضية في أية دولة أخرى. لأن الأمر في إسرائيل ليس قضية حمايـــة استقلالنا او أراضينا أو حدودنا أو سيادتنا فحسب، إنما هي قضية البقاء على قيد الحياة من الناحية الفيزيائية ... هذا هو المعنى الرهيب لمشكلة أمننا"[4].

وبعـــد حرب حزيران ١٩٦٧م واحتلال الصهاينة لسيناء وهضبة الجولان والضفة الغربـــية والقـــدس، دخلت عوامل جديدة على مفهوم الأمن والدفاع، وظهرت مصطلحات جديـــدة مـــثل: "الحـــدود السياســـية" و "الحـــدود الآمنة"، وهذه الحدود في نظر الساسة والمخططيـــن الصـــهاينة هـــي حـــدود مرحلية وتخضع للتغير والتبدل حسب الظروف والمتغيرات المستقبلية[5].

---

(١) عبد الحي، المصدر السابق، ص ٥٣.

(٢) الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص ٢٦٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٦٧، ٤٢٠-٤٢١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٢٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٢٧-٤٢٨.

وخلاصة القول فإن العامل الأمني سيبقى مسيطراً على الفكر الصهيوني، وستبقى الإستعدادات العسكرية للكيان الصهيوني حسب رأي " يهوشفاط هركابي"* حتى لو تحسنت علاقــات هذا الكيان مع جيرانه وخيم السلام في المنطقة، هي التي ستشغل بال الصهاينة لســنوات عديــدة. كمــا ويجــب علــيهم مواصــلة زيــادة قدرتهم العسكرية وتفكيرهم الإستراتيجي(١).

وكمــا ازدهــرت الهندســة العســكرية في الشرق حتى اعتبرت مدرسة للهندسة المعمارية العسكرية(٢)، كذلك فقد أصبح ينظر للجندي الصهيوني على أنه النموذج للجندي المحترف بعد أن كان يُنظر لليهودي بشكل عام قبل خمسين عاماً على أنه لا يصلح للقتال أو الحــرب. كما أصبح يُنظر للمؤسسة العسكرية الصهيونية على أنها المثال الذي يُحتذى بــه في الغرب الأوروبي، وأخذت المدارس والمعاهد الأميركية والأوروبية تتسابق لتنهل مــن الخبرة الصهيونية في مجال القتال وأساليبه، واستخدام الأسلحة وتطويرها، في بيئة عمليات منطقة الشرق الأوسط(٣).

---

* يهوشــفاط هركابي هو مدير الإستخبارات الأسبق للكيان الصهيوني والمحاضر في الجامعة العبرية بالقدس في العلاقات الدولية، وشؤون الشرق الاوسط، ومؤلف لعدة كتب صدرت له باللغة العبرية واللغة الإنجليزية.

(١) هركابــي، يهوشــفاط، قــرارات إســرائيل المصيرية، ترجمة منية سمارة ومحمد الظاهر، منشورات دار الكرمل- صامد، عمان، ط١٩٩٠،١م، ص ٢٦٤.

(٢) prawer, the Latin kingdom of Jerusalem , p. 295.

(٣) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص ٣٣٧.

الفصل السادس

النظام الإقتصادي والإجتماعي للحركتين الصليبية والصهيونية

١- النظام الإقتصادي للحركة الصليبية

٢- النظام الإقتصادي للحركة الصهيونية

٣- التوافق التاريخي بين النظام الإقتصادي للحركتين الصليبية والصهيونية.

٤- النظام الإجتماعي للحركة الصليبية.

٥- النظام الاجتماعي للحركة الصهيونية.

٦- التوافق التاريخي بين النظام الإجتماعي للحركتين الصليبية والصهيونية.

النظام الإقتصادي للحركة الصليبية

من المعروف أن فلسطين إقليم فقير بصفة عامة، وقد أنهكت الحروب والصراعات الدامية بين السلاجقة والفاطميين قبيل الغزو الصليبي بلاد الشام عامة وفلسطين خاصة، فخربت مزارعها وغاباتها إلا ما بقي منها على حافة جبل الكرمل، وحول نابلس وجنوب قيسارية، وما جادت به حقول سهل مرج بن عامر من غلال القمح، وما اشتهر به وادي الأردن من الفواكة والخضروات. ومع ذلك فإن إقليم فلسطين يُعد في مجمله من الأراضي شبه الصحراوية، وتربته خفيفة وفقيرة، ولا سيما حول بيت المقدس [١].

وهذا كله جعل ملوك بيت المقدس، في ذروة قوتهم، على قدر أقل من الثروة مما حازه كونت طرابلس أو أمير أنطاكية[٢]، التي تميزت إمارتاهما بالأراضي الخصبة والغنى ووفرة الثراء[٣]. والواقع أن المصدر الأصلي للموارد المالية للمملكة جاء من تحصيل الرسوم والضرائب المفروضة على التجارة المارة من مصر إلى سوريا، والمارة من جزيرة العرب عبر صحراء النقب إلى موانئ البحر المتوسط[٤]. ولضمان الإبقاء على رسوم التجارة هذه، فقد عمد حكام المملكة إلى إغلاق منافذها، وذلك بالسيطرة على طرقها الممتدة جنوباً من خليج العقبة إلى جبل الشيخ شمالاً، بل أن الأمر تطلب منهم السيطرة على الطرق الممتدة من جبال لبنان إلى نهر الفرات[٥].

ونظراً لتزايد حاجة الصليبيين لمساعدة المدن الإيطالية كفلورنسا، وجنوة، وبيزا، والبندقية، للإبقاء على الطرق البحرية مفتوحة، ولنقل العساكر، والحجاج، فقد منحت هذه المدن امتيازات كبيرة، وسُمح لها بامتلاك الأسواق والأحياء في أهم المدن، مثل القدس

---

(١) رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص ١٨-٢٠، نقلاً عن:
Munro, the kingdom of the crusaders, pp. 3-9.
وأنظر أيضاً عن وصف فلسطين في:
Government of Palestine, A survey of Palestine, pp.103-107.

(٢) رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص١٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣، ٢٥.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن التجارة في عصر الحروب الصليبية وطرقها، أنظر: براور، المصدر السابق، ص ٢١٩-٢٣٦.

(٥) رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص١٩.

ويافا وصيدا وبيروت وصور وعكا، وإقامة الفنادق والبنوك وأماكن الصيرفة[١]. كما ألغى الملك بلدوين الثاني عام ١١٢٠م جميع المكوس على الحنطة والشعير والبقوليات الداخلة إلى القدس لتنشيط التجارة مع العرب وذلك عن طريق السماح لهم بالدخول والخروج منها متى شاءوا[٢].

إضـــافة إلـــى ذلـــك فقـــد وجـــد الصليبيون أنفسهم مضطرين حفاظاً على بقائهم واســـتقرارهم إلـــى إيجاد صيغة من التعايش مع السكان المحليين كضرورة اقتصادية لهم وكمصدر للدخل، وذلك عن طريق استغلال الفلاحين المسلمين[٣]. إذ أجبرت الإعتبارات الأمنية والديمغرافية المهاجرين الصليبيين على التمركز في المدن في حين بقي الريف في معظمـــه مسلماً[٤]. علاوة على ذلك فإن الفرسان الصليبيين لم يربطوا أنفسهم في الأرض كفلاحيـــن بل كمحاربين، كما لم ير الصليبيون عامة في أنفسهم مزارعين أو منتجين لأية مـــادة غذائـــية أو غـــيرها، بل رأوا في أنفسهم عنصراً حاكماً، مستغلاً إقتصادياً للسكان المحليين[٥].

أمـــا الضـــرائب فقد كانت في مملكة بيت المقدس وغيرها من الإمارات الصليبية متعددة وكبيرة، فكان بعضها يفرض على واردات وصادرات الموانئ، وعلى رسو السفن، وعلـــى البيع والشراء، وعلى رؤوس الحجاج، وعلى استخدام الموازين والمكاييل، وعلى القوافل التجارية[٦].

كمـــا فرضـــت مملكـــة بيت المقدس ضريبة الرؤوس على المزارعين المسلمين، وضـــريبة أشجار الفاكهة[٧]، بالإضافة إلى نسبة يدفعونها من إنتاجهم السنوي لسادتهم[٨].

---

(١) براور، المصدر السابق، ص١٥٨-١٦٠.

(٢) الشارتري، المصدر السابق، ص١٨٩.

(٣) سميل، المصدر السابق، ص٩٨.

(٤)Prawer, The latin Kingdom of Jerusalem, P. 505.

(٥)Ibid, p. 505.

أنظر أيضاً: سميل، المصدر السابق، ص١٠٣.

(٦) رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص٤٧٨.

(٧) سميل، المصدر السابق، ص٩٨.

(٨) يذكـــر كاهـــن أن النســـبة التـــي كان يدفعها الفلاح تصل بين ربع ونصف إنتاج المحصول، أنظر: سميل، المصدر نفسه، ص١٠٥، نقلاً عن: Cahen, Syrie du Nord, Bulletin (1951), p. 300.

كذلك فرضت المملكة ضريبة العُشْر للكنيسة على المسلمين وعلى المسيحيين المنتمين إلى كنائس أخرى على حد سواء[1]. كما عملت المملكة على تحصيل الأموال من الخراج المفروض على الأراضي التي تقاسموها مع الحكام المسلمين في مقابل حصول الأخيرين على دخولها في أحيان كثيرة[2].

وقد جرت العادة أن يدفع التجار الأثرياء عوائد مقررة على ممتلكاتهم للدولة، إضافة لمساعدتهم الإلزامية على تجهيز الحملات العسكرية التي قد تصل إلى عشرة في المائة من قيمة أملاكهم المنقولة[3].

ورغم ذلك، فقد كانت المملكة بحاجة دوماً إلى المال، وخاصة بعد أن أصبحت معظم مرافق البلاد رهن احتكارات المدن الإيطالية وأصبحت الإمتيازات الممنوحة لها تشكل معضلة لقادة الصليبيين[4]. ومما زاد الأمر سوءاً ما بلغته الأنظمة الرهبانية العسكرية من قوة وثراء من خلال الإمتيازات والهبات الممنوحة لها[5]، بحيث أجبرت المملكة والإمارات الصليبية الأخرى على تسليم القلاع والحصون الكبيرة التي تحمي حدود المملكة والمستوطنات الشمالية إليها بسبب عدم قدرتها على إدامتها.

وكان لمتانة قلاع هذه الأنظمة الرهبانية وقوة حراستها ما ساعد على سلامة الودائع فيها، إذ تحولت الأملاك العائدة لهذه الأنظمة بسبب ارتباطها العضوي بالكنيسة إلى ملاذ وملجأ آمن ضد تدخل الحكام العلمانيين. ومن ناحية أخرى، سهلت فروع تنظيمات هذه الأنظمة العديدة عمليات نقل الإلتزامات والديون من مكان لآخر دون نقل المال نفسه عبر الطرق والبحار المحفوفة بالمخاطر. فكانت الودائع

---

(١) رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص٤٧٨.

(٢) ابن القلانسي، ص٢٦٣-٢٦٤.

(٣) رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص٤٧٨.

(٤) بلغت ممتلكات الكومونات الإيطالية (١٠) أو (١٢) قرية كاملة (من أصل ٢١)، وثلث ممتلكات (٤) أو (٦) قرى (من مجموع ٥١ قرية)، أنظر:
Prawer, The latin Kingdem of Jerusalem, P. 497.

(٥) كان الاسبتارية يملكون ثماني عشرة ضيعة في أوروبا، كما أصبح الداوية صيارفة أوروبا في القرن الثاني عشر وينافسون البيوت المالية الكبيرة في إيطاليا، أنظر: براور، المصدر السابق، ص١٩٤- ١٩٥.

والمنقولات تدر لهم الأرباح، في حين كان يُستخدم رأس المال السائل في إقراض الملوك والأمراء[1].

ومن الجدير بالذكر أن كل ما كان يلحق بالممالك الصليبية في الشرق من خسارة في مواردها، كان يقابله زيادة في النشاط التجاري للمدن الإيطالية، وما ينشأ عن ذلك عادة مـن زيـادة فـي الأربـاح[2]. كما أن خروج هذه المدن في الحملات الصليبية لم يكن مـن أجـل مصالح العالم المسيحي، بل لتحقيق مكاسب تجارية لها، خاصة عندما تتطابق مصـالح الطرفين مع بعضهما البعض. أما إذا تضاربت هذه المصالح، رجحت المصلحة التجارية المباشرة، وكانت هذه المدن على استعداد لضرب المصلحة العامة مقابل أي ربح طارئ[3].

أمـا الأخويـات الرهبانـية العسكرية، فقد جلب لها ثراؤها العديد من الإنتقادات المريـرة، رغم المديح الذي كان يكال لأعضائها نظراً لشجاعتهم وفروسيتهم، إذ أضحى ثـراؤهم وعـدم تبعيـتهم المباشـرة للحكام العلمانيين سبباً في إضعاف استقرار المملكة واستمرار بقائها [4].

---

(١) براور، المصدر السابق، ص١٩٥.

(٢) رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص٥٠٤-٥٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٠٥.

(٤) براور، المصدر السابق، ص١٩٥.

النظام الإقتصادي للحركة الصهيونية

عُرف اشتغال اليهود بالتجارة والإقراض بالربا على مرّ العصور. كما عملوا على تحصيل الضرائب وإدارة الضياع لحساب النبلاء الإقطاعيين في العصور الوسطى. وقد احتكر اليهود هذه الوظائف تقريباً حتى العصر الحديث، مما جعلهم محط سخط الجماهير في أوروبا(١). ورغم اختفاء وظائفهم المتميزة بعد قيام الثورة الصناعية والتغييرات الهائلة التي صاحبتها، واختفاء الإطار الذي كان ينظر فيه لليهود كأداة استغلالية بيد الحاكم، إلا أن هذا الإطار عاد مرة أخرى للظهور منذ بداية عصر التنوير في أطروحة "نفع اليهود" التي تم على أساسها عتقهم(٢).

ويمكن فهم توقيع عقد بلفور بين أوروبا واليهود الصهاينة ضمن هذا الإطار، فاليهود عنصر غريب داخل التشكيل الحضاري الغربي، وطفيلي، وغير نافع، ويجب نقله إلى الشرق إلى حيث (ينتمي) ليصبح هناك عنصراً نافعاً حسب رأيهم، أي أداة بيد الإستعمار الغربي، نظير الإضطلاع بدور استغلالي محدد لا يمكن أن يُوكل إلى غيرهم باعتبارهم أنجح الأدوات والوسائل (٣).

وهكذا بدأ تدفق الهجرات اليهودية إلى فلسطين تحت دعاوى مختلفة، حاملة معها عدداً كبيراً من أصحاب رؤوس الأموال(٤) والعمال المهرة، مما أسهم في تحسين الإقتصاد الصهيوني في فلسطين. وقد سهلت الإدارة البريطانية انتقال الأراضي الفلسطينية لهؤلاء المهاجرين بإصدار عدد من التشريعات التي تساعدهم على الإستقرار في الأراضي الزراعية، كمنحهم مساحات من الأراضي الحكومية، والأراضي البور، وانتزاع ملكيات كثيرة من الأراضي بذريعة استغلالها للمرافق العامة (٥).

---

(١) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص٧٤، ٧٩.

(٢) لمزيد من المعلومات عن دور اليهود كأداة استغلال نافعة داخل التشكيل الحضاري الغربي، أنظر: المصدر نفسه، ج٣، ص٦٩-٩٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص٧٨، ٨١.

(٤) تذكر بعض المراجع بأن ما دخل الإقتصاد الصهيوني في فلسطين في مطلع الثلاثينات بلغ أكثر من ٢٥ مليون جنسية فلسطيني، أنظر: الجادر، المصدر السابق، ص١٢٤.

(٥) المصدر نفسه، ص١٣٠.

وقـد كـان الهدف الصهيوني من عمليات توطين اليهود في الأراضي الزراعية مـزدوجاً، فمـن ناحية يتم إيجاد الظروف الإقتصادية المناسبة لبناء المجتمع الصهيوني ونمـوه، ومـن ناحية أخرى يجري ربط اليهودي الصهيوني بالأرض الفلسطينية وتعلقه بهـا[١]، ومـن أجـل ذلـك تأسسـت عدة منظمات صهيونية بهدف استملاك الأراضي والإسـتغلال الزراعـي لهـا مثل: الجمعية اليهودية للإستعمار في فلسطين، والصندوق القومـي اليهودي (كيرين كايمت)، والصندوق الفلسطيني للتأسيس[٢]. وقد قدرت حكومة فلسـطين في عام ١٩٤٨م ملكية اليهود الصهاينة للأراضي بأكثر من ١٥ في المائة من الأراضي الزراعية في فلسطين[٣].

كمـا عملـت حكومـة الإنـتداب البريطاني على تشجيع الصناعات الصهيونية وحمايـتها، وذلك بزيادة الرسوم الجمركية على ما يستورد من مثلها، وإعفاء المواد الخام والمـواد المصـنعة أولـياً من الضرائب الجمركية[٤]. كما بادرت حكومة الإنتداب بمنح الشركات الإحتكارية الصهيونية عدة امتيازات لاستثمار مساقط مياه نهر الأردن واليرموك والعوجـا لتولـيد الطاقـة الكهربائية وهو ما عُرف بمشروع "روتنبرغ"، وكذلك امتياز استخراج أملاح البحر الميت ومعادنه، كما وسلمت حكومة الإنتداب لليهود امتياز أراضي الحولـة[٥]. وباسـتيلاء الصـهاينة على هذه المشاريع، فقد فتحت أبواب العمل لعشرات الألوف من المهاجرين اليهود وزادت من قدرة فلسطين على استيعابهم اقتصادياً.

وقـد استدعت عملية الإستيطان الصهيوني وتطوره قبل قيام الدولة، تطوير حركة دفاعـية غير قابلة للإنفصام عن بناء المستوطنات الزراعية وتركيبها. ومنذ قيام الدولة، نص قانون "الخدمة الدفاعية" على أن يمضي المجند من الرجال والنساء السنة الأولى من

---

(١) الجادر، المصدر السابق، ص١٣٠.

(٢) يوسف عبد الله صايغ، الإقتصاد الإسرائيلي، معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٦م، ص٣٠-٣٩.

(٣) A survey of palestin, op. cit, pp. 243-245.

(٤) الجادر، المصدر السابق، ص١٣٤-١٣٥.

(٥) المصدر نفسه، ص١٣٥-١٣٧.

الخدمـــة النظامية له، بعد الإنتهاء من التدريب العسكري الأساسي، في التدريب الزراعي بصورة رئيسة(١).

وقـام الصـهاينة خـلال عامي ١٩٤٨م و ١٩٥٣م بإنشاء نحو ٣٧٠ مستوطنة زراعـية على شاكلة قطاع زراعي يشبه المعسكرات في نمطه التركيبي، ويحقق الغايات العسكرية والإستراتيجية للكيان الصهيوني(٢). كما عملت على عسكرة الإقتصاد الصهيوني منذ البداية وذلك بتعبئة جميع القوى الإنتاجية والموارد المادية لأجل ذلك. كما أنها طورت مـنذ عام ١٩٥٤م ما يسمى بإقتصاد الحرب حينما وجهت استيطان المهاجرين الجدد إلى صـحراء النقـب والمناطق النائية لاستثمار الأرض وبناء المعسكرات، فضلاً عن إقامة مستعمرات في داخل البلاد لخلق نظام أمني مترابط ومتكامل إقتصادياً وعسكرياً (٣).

ولـم يضـع الكيان الصهيوني لنفسه بعد قيامه أهدافاً إقتصادية مجردة ومنفصلة عن تلك الأهداف التي رسمها للغايات السياسية والعسكرية(٤). وقد أشار "بن غوريون" إلى هـذه الحقـيقة حيـنما قـال: "إن معـركة إسـرائيل معـركة مثلثة، عسكرية وسياسية واقتصادية"(٥).

وتظهـر فرادة الإقتصاد الصهيوني وشذوذه وعدم خضوعه للمقاييس المألوفة، في أنـه يحمل في طياته حاجة دائمة للمساعدات والقروض الخارجية(٦). وقد ساعدت المنح والهبات والتعويضات الأمريكية والأوروبية على دعم الإقتصاد الحربي الصهيوني، وعلى تطوير قدراته العسكرية والتكنولوجية، كما أدت إلى رفع مستوى المعيشة للفرد الصهيوني

---

(١) الحلو، المصدر السابق، ص١٠٠-١٠١.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٠.

(٣) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص٤٤٣-٤٤٤.

(٤) الحلو، المصدر السابق، ص١١٤-١١٥.

(٥) الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص٢٧٣.

(٦) اعـتمد الإقتصـاد الصـهيوني مـنذ الـبداية على المصادر التمويلية الآتية: مساعدات الحكومة الألمانية، المسـاعدات الأمريكـية، مساعدات الصهيونية العالمية، الاستثمارات الأمريكية، لمزيد من التفاصيل أنظر: غوانمة، حزب الليكود، ص١٠٧-١٣٣.

الزراعـــي في الناتج المحلي الإجمالي نحو (٢,٥ بالمائة)، في حين كانت مساهمة القطاع الصناعي (٢٢ بالمائة)، وقطاع الخدمات (٧٥ بالمائة) [١].

علـــى أن الأمر الملفت للإنتباه في الإقتصاد الصهيوني هو عجز الموازنة المالية السـنوية للكيان الصهيوني منذ قيامه، مما يعكس على الدوام الوضع غير الطبيعي لنشأة الإقتصاد الصهيوني وتطوره، وهو الذي عانى عجزاً في ميزانه التجاري منذ عام ١٩٤٩م حتى اليوم، إذ وصل العجز إلى (١١,٥) مليار دولار في نهاية عام ١٩٩٦م[٢]. ومن هنا، فـإن الكـيان الصـهيوني يُعد الأكثر مديونية في العالم قياساً بعدد سكانه وعجز موازنته المتكرر وميزان مدفوعاته[٣].

وعلـى الـرغم مـن ذلك، فإن معطيات الموازنة المالية للكيان الصهيوني تعكس علـى الـدوام حقائق أساسية، وهي الإحتفاظ بكل خصائص موازنات هذا الكيان السابقة، التـي تولي أهمية خاصة لبنود الدفاع، وسداد الدين، والخدمات الإجتماعية[٤]. وهذا يعني الإبقاء على جاهزية عسكرية عالية، فضلاً عن المحافظة على مستوى معيشة مرتفع للفرد الصهيوني، كأساس في سياق الإستراتيجية الصهيونية.

---

(١) السهلي، المصدر السابق، ص٣٤.

(٢) بلغت الموازنة المالية للكيان الصهيوني لعام ١٩٩٧م (٦٣) مليار دولار، أنظر: المصدر نفسه، ص٦٣.

(٣) يعانـي الكيان الصهيوني من مديونية عالية بلغ حجمها في نهاية عام ١٩٩٥م نحو (٢٤) مليار دولار، منها ٨٠% بصفة ديون خارجية، أنظر: المصدر نفسه، ص٦١.

(٤) خصـص الكـيان الصهيوني نحو ١٩,٤% من موازنته لعام ١٩٩٧م لموازنة الدفاع، أي نحو (١١) مليار دولار، يضاف إليها (١,٢) مليار دولار للشرطة. كما يخصص ٢٨% من موازنته لبند الخدمات الإجتماعية، وقد بلغ متوسط دخل الفرد الصهيوني لعام ١٩٩٦م نحو (١٦,٨) ألف دولار، أنظر: المصدر نفسه، ص٦٢-٦٥.

التوافق التاريخي بين النظام الإقتصادي للحركتين الصليبية والصهيونية

تُعتبر فلسطين من الأقطار الفقيرة بمواردها وثرواتها الطبيعية، كما أنها تعاني من شح مصادر المياه فيها منذ أقدم العصور، إلا أنها تتمتع بموقع استراتيجي فريد مما جعلها مطمعـــاً للغزاة عبر التاريخ[١]. وموقعها على البحر المتوسط حيث تشكل سواحلها نصف الســاحل الشــرقي لهذا البحر أكسبها أهمية اقتصادية كبيرة. فموانئها المهمة كميناء حيفا وعكا ويافا كانت ولا تزال المنفذ البحري الوحيد للكيانين الصليبي والصهيوني، والشريان الــذي استمد منه هذان الكيانان استمرارهما وبقاءهما. كما أن شواطئ البحر المتوسط لم تكــن مجــرد جبهة أخرى للتوسع للكيان الصليبي أو الصهيوني بقدر ما كانت ضرورة لكلــيهما لا يمكــن الإســتغناء عــنها لاستقبال الإمدادات وأفواج المهاجرين القادمة من أوروبا[٢]. وقد أمّن هذا الساحل الطويل ظهيراً بحرياً قوياً لتجارتيهما الخارجية[٣]، إذ بقي الظهــير القــاري لهما مغلقاً عليهما وخاصة مع الكيان الصهيوني لغاية توقيعه معاهدتي "كامــب ديفيد" مع مصر و "وادي عربة" مع الأردن[٤]. لذلك كانت حاجة الكيان الصليبي ماسة لمساعدة المدن الإيطالية للإبقاء على الطرق البحرية مفتوحة.

وقــد ظل الإقتصاد في الكيان الصهيوني كما كان نظيره الكيان الصليبي من قبل يعانيان من ضيق السوق المحلية نتيجة وجودهما في محيط عربي وإسلامي واسع يرفض الــتعامل معهما اقتصادياً، وهذا يعني محدودية إمكانية الحصول على الموارد، وضغوطاً على إمكانيات الإنتاج والاستثمار خاصة في الكيان الصهيوني[٥].

ولمــا كــان المال والهجرة أهم ما احتاجه "بلدوين" لإقامة مملكته وضبط أتباعه، كذلك كان عنصرا المال والهجرة أهم ما احتاجه "بن غوريون" لإقامة حكومته. لذلك سعى

---

(١) أنظر: قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص٩٨-٩٩، ١٦٥.

(٢) عــن أهمــية البحر المتوسط لكلا الكيانين الصليبي والصهيوني، أنظر: براور، المصدر السابق، ص٦٢؛ كاهن، المصدر السابق، ص١٠٣؛ قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص٦٠، ٩٨، ١٠٥.

(٣) يــبلغ طول ساحل فلسطين حالياً على البحر المتوسط ٣٤٠ كم وهي محاطة برياً من جميع الجهات بالدول العربية كما كانت محاطة أيام الصليبيين من قِبَلْ الإمارات الإسلامية، لذلك شكلت المنافذ البحرية على البحر المتوسط والبحر الأحمر لهذين الكيانين وسيلة الإتصال الرئيسة بالعالم الخارجي.

(٤) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص٨٤.

(٥) غوانمة، حزب الليكود، ص١٦٠-١٦٣.

كل من هذين الكيانين لمزيد من التوسع لحل مشكلاتهما الإقتصادية ولاستقبال المزيد من المهاجرين، وخاصة أن الإمكانيات العسكرية لتحقيق هذا التوسع كانت متوفرة[١].

كما شكل الإستيلاء على الأرض الأساس المادي لإقامة الكيانات الصليبية، وكانت قدرتها على الإيفاء بأعبائها الإدارية والعسكرية تعتمد، إلى درجة كبيرة، على سعة ممتلكاتها من الأراضي، وكان طلب الأراضي من قبل حكام اللاتين الأوائل كي يقطعوها لأتباعهم المباشرين الذين يشكلون أساس قوتهم العسكرية حاجة ملحة[٢].

كذلك، عمد الكيان الصهيوني لتدعيم أركانه إلى السياسة نفسها في التوسع والإستيلاء على مزيد من الأراضي العربية وذلك لتوسيع مجاله الإقتصادي، وتوفير المواد الأولية التي تشكو منها فلسطين المحتلة واللازمة للصناعات الصهيونية، ولتوسيع رقعته الزراعية، واستيعاب أعداد أكبر من المهاجرين الجدد القادمين إليه من جميع أنحاء العالم[٣].

وكما تميز إقتصاد الكيان الصهيوني بفرادة وضعه، كذلك تميز الإقتصاد الصليبي بفرادة وضعه أيضاً، إذ أن كلاً منهما اعتمد اعتماداً كبيراً على المساعدات الخارجية. ويمكن القول إن المساعدات والقروض هي صفة ملازمة للإقتصاد الصهيوني منذ نشأة هذا الكيان ولغاية الآن، كما كانت المساعدات والهبات الأساس المالي للممالك الصليبية[٤].

ومثلما تعددت مصادر المساعدات المالية للكيان الصهيوني التي شملت: المساعدات المالية الأميركية، ومساعدات الحكومة الألمانية، ومساعدات الصهيونية العالمية، والإستثمارات الأمريكية، كذلك تعددت مصادر التمويل المالية للكيانات الصليبية لتشمل جمع الأموال والتبرعات، وبدل المثل (الأموال التي تدفع بدل الإشتراك الشخصي في الحروب الصليبية)، والضرائب المفروضة في كافة انحاء أوروبا. غير أن التمويل الرئيس للحملات الصليبية والمملكة أتت من فرض الضرائب من قبل البابوات

---

(١) رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص٢١؛ القاسم، التحدي الإسرائيلي ومواجهته، ص٨٠.

(٢) سميل، المصدر السابق، ص٥٤.

(٣) القاسم، التحدي الإسرائيلي ومواجهته، ص٧٩؛ غوانمة، حزب الليكود، ص١٠٥.

(٤) المصدر نفسه، ص١٠٧؛ باركر، المصدر السابق، ص٦٥.

وملــوك أوروبـــا علـــى أتباعهم، وكذلك من الرسوم والضرائب التي فرضتها الكيانات الصليبية نفسها على التجارة المارة بأراضيها[1].

ومـــثلما أدت القوتان العالميتان المسيحيتان وهما الإمبراطورية الرومانية المقدسة والـــبابوية اللـــتان كانتا زعيمتي العالم المسيحي الدنيوية والروحية دوراً هاماً في تمويل الحمـــلات الصليبية ومملكة بيت المقدس، علاوة على المساعدات التي جاءتها من فرنسا وانجلـــترا الـــنورماندية ومـــن الـــنرويج وصقلية وإسبانيا والمجر[2]، كذلك أدت الدول الأوروبية الكبرى كبريطانيا وفرنسا وألمانيا دوراً هاماً أيضاً في تمويل الكيان الصهيوني ماديـــاً وعسكرياً. كما مثلت الولايات المتحدة الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية ولغاية الآن أكـــبر ممـــول حقيقي للكيان الصهيوني بما قدمته له من عون مادي وعسكري على شكل مساعدات وهبات بلغت أكثر من (٦٥) مليار دولار حتى نهاية عام ١٩٩٦م.

ومـــن اللافت للإنتباه أن كلا الكيانين الصليبي والصهيوني على الرغم من جميع المســـاعدات المالـــية التي قدمت لهما، ظلا بحاجة دائمة إلى الأموال، وظل العجز المالي صفة ملازمة لاقتصاديات هذين الكيانين. كما يصح القول بأن الكيان الصهيوني هو الأكثر مديونية بين دول العالم[3]. غير أن كلا الكيانين أوليا أهمية خاصة في موازنتيهما المالية إلـــى بـــنود الدفـــاع والخدمات الإجتماعية، بحيث أبقيا على جاهزية قتالية عالية، ورفع مســـتوى المعيشـــة للسكان، لاجتذاب المزيد من المهاجرين الذين أصبحت دوافعهم تعتمد على الدوافع الإجتماعية والإقتصادية أكثر من الدوافع الدينية[4].

---

(١) أنظر حول تمويل الحملات الصليبية:

Riley- smith, what were the crusades, pp.45-49.

وانظر أيضاً:

Finucan, soldiers of the faith, pp.42-45.

(٢) براور، المصدر السابق، ص١٣٩، أنظر أيضاً:

Riley- smith, op.cit , pp. 48-49.

(٣) يعانـــي الإقتصادي في الكيان الصهيوني من أزمات حقيقية تتمثل في الديون، والتضخم، والعجز التجاري، والـــبطالة، أنظر: السهلي، المصدر السابق، ص٣٨-٣٩، ٦٧-٦٩، ٩٠؛ قاسم ، إدارة الحرب في إسرائيل، ص١٥٦.

(٤) ســـميل، المصـــدر السابق، ص٢٤، ٤٢، ١٥٦-١٥٨، ١٦٤؛ براور، المصدر السابق، ص١٢٨؛ غوانمة، حزب الليكود، ص١٠٧؛ قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص١٨٢.

وكما ارتبطت الغايات الإقتصادية للكيان الصهيوني بالغايات السياسية والعسكرية إذ عُـدّ اقتصاده بحق اقتصاداً حربياً وذلك بتوجيه عناصر الإقتصاد من زراعة وصناعة وتجارة ومواصلات في خدمة الآلة الحربية الصهيونية[١]، كذلك، يمكن اعتبار أن غايات الإقتصـــاد فـــي الكيان الصليبي قد ارتبطت منذ البداية بالغايات السياسية والعسكرية لهذا الكيان، وأن اقتصاده كان اقتصاداً حربياً أيضاً [٢].

ومـــن الجديـــر بالذكر أن القوة الإقتصادية للكيان الصهيوني لا تعتمد على المال الصهيوني وحده وهو قليل، وإنما تعتمد على المال اليهودي في العالم وهو كثير جداً. فقد نجـــح دعـــاة الصهيونية منذ البداية في أن يحيوا في معتقدات اليهود ضريبة دينية إسمها باللغـــة العـــبرية "تـــزكات" يدفعهـــا الـــيهودي "كفارة" عن وجوده وإقامته خارج "أرض الميعاد"[٣].

وقـــد نجحـــت المنظمات الصهيونية المنتشرة في العالم في جباية هذه "الزكاة" من أمـــوال اليهود الذين يعملون في شتى بلاد العالم. وتُعَد تبرعات المنظمة الصهيونية ثاني أكـــبر المساعدات المالية للكيان الصهيوني بعد مساعدات الولايات المتحدة الأمريكية. وقد بلغـــت قيمة التبرعات منذ عام ١٩٥٠م إلى عام ١٩٨٥م تسعة مليارات و ٥٧٤,٥ مليون دولار[٤].

---

(١) قام الكيان الصهيوني لكسر الحصار الإقتصادي العربي المفروض عليه ولضمان شرايين التجارة الخارجية بعـــدوان عـــام ١٩٥٦م وعدوان عام ١٩٦٧م وذلك لتأمين حرية المرور بقناة السويس وخليج العقبة، أنظر: الكيلاني، المذهب العسكري، ص٢٨١، ٣٩٩؛ قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل ، ص١٨١.

(٢) عمـــد حكام المملكة بالسيطرة على طرق التجارة الخارجية ومنافذها من جبل الشيخ شمالاً إلى خليج العقبة جنوباً، كما تم تشييد العديد من القلاع والحصون على امتداد أنحاء المملكة لحماية المناطق التابعة لها خاصة ذات الـــثروات الزراعـــية من خطر النهب والتخريب من إغارات الجيوش الإسلامية، بالاضافة إلى تأمين خطوط التجارة الواقعة في مناطق سيادتها، أنظر:

William of Tyre, A history of deeds, vol. 11, p. 343.

وأنظر أيضاً: عوض، المصدر السابق، ص٢٢٠.

(٣) نوفل، المصدر السابق، ص٤٧.

(٤) غوانمة، حزب الليكود، ص١٢٩.

وبالصـــورة نفسها كانت الحملات الصليبية مكلفة للغاية وأخذت تصبح مكلفة أكثر مـــع ازديـــاد أعداد العناصر المرتزقة فيها، وكانت كلفة المهمات، والإمدادات، والنقل- وخاصـــة البحري- منها باهظة على المشاركين[1]. لذلك فمنذ الحملة الصليبية الثانية أخذ الحكـــام بفـــرض ضرائب على المواطنين شملت حتى الكنائس نفسها. وفي عام ١١٦٦م فُرضـــت ضريبة سميت بضريبة الأراضي المقدسة على الدخل والممتلكات المنقولة، من قـــبل ملوك فرنسا وإنجلترا. وفي عام ١١٨٨م فرض ملك إنجلترا هنري الثاني الضريبة التـــي اشتهرت باسم "عُشر صلاح الدين" مدة عام واحد على الدخل والممتلكات المنقولة، وتمـــت جبايـــتها مـــن رجال الدين والعامة، الذين لم يحملوا الصليب ويشاركوا في حملة صليبية معينة[٢].

وفـــي مملكـــة بيـــت المقـــدس نفســـها، دفع الأثرياء من الصليبيين عوائد مقررة للمملكـــة عُرفت باسم "العوائد Terraticum" ، كذلك فإن قادة الحركة الصهيونية العالمية كـــانوا ولا يـــزالون جـــزءاً لا يتجزأ من احتكارات الرأسمالية الكبيرة عامة، حيث تعتبر الصـــهيونية شريكاً فعالاً، في معظم الإحتكارات العالمية. كما يؤدي الثراء الفاحش لقادة الصـــهيونية وشبكاتها الواسعة، دوراً هاماً في اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ممـــا يسمح بتدفق المعونات الصهيونية والأجنبية للكيان الصهيوني، من خلال التأثير في توجيه السياسات الخارجية لهذه الدول وفي اقتصادها، ومن خلال سيطرتها على التكتلات الصناعية والمالية البرجوازية الكبيرة[٣].

ويمكن القول أنه مثلما ارتبط الإستعمار والتجارة والجغرافية ارتباطاً شديداً بتاريخ الحـــروب الصليبية، من حيث استعمارها لبلاد جديدة في الشرق، واستيطانها في الأرض المقدسة، وما حدث من تطور في فن الحرب، ونمو نظام الضرائب، التي تدين بها أوروبا

---

(١)Riley- smith, what were the crusades, p. 45.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن الضرائب في أوروبا وطرق جبايتها، أنظر:

Ibid, pp. 45-49.

وأنظر أيضاً:

رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص٤٧٨-٤٧٩؛ باركر، المصدر السابق، ص١٤٧-١٤٨.

(٣) غوانمـــة، حـــرب الليـــكود، ص١٢٧-١٢٨، نقلاً عن: جورج ترتدي، دور رؤوس الأموال، مجلة مركز الدراسات، ص٦٩.

العصــور الوســطى للحــروب الصليبية[1]، كذلك يرى الباحث أن الإستعمار والإقتصاد والجغرافــية قــد ارتبطت بتاريخ الحروب العربية- الصهيونية أيضاً. فمطامع الولايات المــتحدة الأمريكية والدول الأوروبية في السيطرة على الوطن العربي بما يمثله من موقع اســتراتيجي مهم بين القارات، وفي ثرواته الطبيعية وخصوصاً النفط، وفي سيطرته على طرق التجارة العالمية، ليست جديدة، بل كانت على الدوام محط أنظار هذه الدول الطامعة في السيطرة والنفوذ والزعامة[2].

والصلة بين النفط وبين قيام الكيان الصهيوني العنصري الإستيطاني التوسعي صلة واضــحة؛ إذ أن أحــد أسباب إنشاء الكيان الصهيوني واستمرار دعمه بكل الوسائل هو اتخاذه قاعدة أساسية لحماية المصالح الغربية الإستراتيجية والإقتصادية في المنطقة، وعلى رأسها المصالح النفطية[3].

كمــا أن مشــتريات الأسلحة من قبل دول منطقة الشرق الأوسط وخاصة الأقطار العربــية تأتي على سلم أولويات الصادرات الأوروبية. وإذا أضفنا إلى ذلك ما جرى من تطــور فــي فنون الحرب وأساليب القتال، لعرفنا مدى حرص الولايات المتحدة وبعض الدول الغربية على تسابقها في إجراء التمارين العسكرية المشتركة مع جيوش بعض دول هذه المنطقة[4].

على أنه يمكن القول إن أهداف الصهيونية الإقتصادية قبل قيام كيانها المزعوم في فلســطين كانــت واضــحة كل الوضوح على عكس الحركة الصليبية، إذ وعت وفهمت الصــهيونية أهمية الإقتصاد وتأثيره على عوامل القوة القومية الأخرى، فأعطوا الزراعة منذ اليوم الذي تم فيه التفكير باستعمار فلسطين أولوية أولى في استراتيجيتهم الإقتصادية

---

(١) باركر، المصدر السابق، ص١٤٦-١٥٢؛ سميل، المصدر السابق، ص٨٠-٨٤.

(٢) زهر الدين، المصدر السابق، ص١١٣.

(٣) المصدر نفسه، ص١١٦.

(٤) بلغــت نســبة ما استوردته دول الشرق الاوسط من الأسلحة خلال الأعوام ١٩٨١-١٩٩٦م ٥٠,٢% من مجمــوع مســتوردات دول العــالم الثالث. كما بلغ مجموع الإنفاق العسكري لدول مجلس التعاون الخليجي باستثناء البحرين للفترة ١٩٩٢-١٩٩٦م (١٦,٠٥٨) مليار دولار، ويأتي العراق على رأس قائمة مستوردي الأسلحة، إذ بلغت نسبة ما استورده خلال الأعوام ١٩٨١-١٩٨٥م (١٣,٧%) من مجموع مستوردات دول العالم الثالث، أنظر حول ذلك:

Stockholm international peace Research institute (SIPRE), world Armaments, Disarmament, SIPRI Year Book 1986, 1993, 1997, oxford university press, oxford.

لأنهـــا العنصـــر الرئيس في ربط المهاجرين الصهاينة بالأرض. لذلك حرص زعماؤهم واستماتوا مع أصدقائهم من الدول الغربية ومع دولة الإنتداب ومع هيئة الأمم المتحدة في ضم الأراضي التي تحتوي على منابع المياه في سوريا ولبنان إلى فلسطين(١). كما وأنهم أســكنوا المهاجريـــن الصهاينة قسراً في الريف وفي الأراضي الزراعية العربية التي تم الإســتيلاء علـــيها، حيث ساهمت حركات الكيبوتز والموشاف، مساهمة فعالة في تنظيم القطـــاع الزراعـــي وتحقـــيق الإكـــتفاء الذاتي للغذاء لآلاف المهاجرين الصهاينة الجدد، مســـتخدمين أحدث الأدوات التكنولوجية(٢). في حين لم ير الصليبيون أنفسهم من الجانب الآخر كمزارعين أو منتجين لأية مادة غذائية، بل رأوا في أنفسهم عنصراً حاكماً ومستغلاً للسكان المحليين(٣).

وعلـــى عكـــس الصهاينة، فقد أجبرت الإعتبارات الأمنية والديمغرافية المهاجرين الصـــليبيين علـــى التمركز في المدن مع ترك الريف والقرى للمزارعين المسلمين، وهذا بدوره أوجد صيغة من التعايش ما بين الصليبيين والسكان المحليين كضرورة اقتصادية لهم وكمصدر دخل، وذلك عن طريق استغلال الفلاحين المسلمين(٤).

علـــى أن مـــن الواقع القول أنه في الوقت الذي استوطن فيه الصليبيون فلسطين والأراضي العربية الأخرى بحد السيف، فإن المهاجرين الصهاينة الأوائل تمكنوا بمساعدة الصـــهيونية العالمية والإستعمار البريطاني وفساد الإدارة العثمانية والسماسرة من بعض العرب من الاستيلاء على بعض الأراضي الفلسطينية وخاصة الزراعية منها عن طريق الشراء.

كما يمكن القول أن الكيان الصهيوني اعتمد هو أيضاً في مراحل لاحقة من تأسيسه بســـبب نقـــص القوة العاملة الصهيونية، وارتفاع الإنتاجيةعلى تعويض هذا النقص بالقوة

---

(١) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص١٤٧؛ غوانمة، حزب الليكود، ص١٤٥.

(٢) غوانمة، حزب الليكود، ص١٤٥-١٤٦.

(٣)Prawer, The latin kingdom of Jerusalem, pp. 505-507.

أنظر أيضاً: براور، المصدر السابق، ص١٥٠.

(٤)Prawer, op.cit, p. 504, 505.

أنظر أيضاً: سميل، المصدر السابق، ص٩٨؛ براور، المصدر السابق، ص١٥٠-١٥١.

العاملـــة العربـــية الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة بالرغم من المخاطر الأمنية المترتبة على ذلك[١].

ومـــن المعلـــوم أن العمالة العربية تركزت في مجال الزراعة والخدمات إذ بلغت أكـــثر من (١٥٠) ألف عامل عربي، ومن الناحية الأخرى أصبح اعتماد العمالة العربية الرخيصة هذه كلياً على الكيان الصهيوني، مما أدى إلى إهمال الزراعة والصناعة المحلية في الأراضي العربية المحتلة[٢].

ورغـــم تفـــاقم الأزمات الإقتصادية في الكيان الصهيوني وأهمها التضخم المالي، والعجز في الميزان التجاري، إلا أن اقتصاد الكيان الصليبي قد واجه أزمات أعمق وأشد بكثـــير، تمثلـــت في قوة وثراء الأنظمة الرهبانية العسكرية من خلال الإمتيازات والهبات الممـــنوحة لها، وكذلك الأطماع التجارية للمدن الإيطالية التي كانت تتم حتى على حساب الصـــليبيين أنفســـهم أحياناً، مما ألحق خسائر مادية كبيرة بالمملكة، وشكل معضلة لقادة الصليبيين وتسبب في إضعاف إستقرار المملكة واستمرار بقائها[٣].

---

(١) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص١١٦-١١٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٧، ١٤٨.

(٣) باركر، المصدر السابق، ص١٣٤؛ كاهن، المصدر السابق، ص٩٥.

النظام الإجتماعي للحركة الصليبية

فـــرض الصـــليبيون ممالكهم في الشرق على شعوب تفوقهم عدداً، وزرعوا فيها مهاجريـــن أوروبيين، كان معظمهم فرنسيين[1]. وجلب النبلاء والفرسان معهم من أوروبا مفاهـــيم وأساليب حياة الأسياد الإقطاعيين حيث أعادوا غرسها في تربة البلاد المفتوحة. وســـرعان ما ظهرت أجيال من أبناء القادمين الأصليين التي أصبحت كلمة "الوطن" تعني لهـــم الأرض المقدســـة، فـــي حيـــن بقيت أوروبا تمثل مهد أسلافهم الغابرة[٢]. ومع أن الأجيال الجديدة أصبح لها سلالة حديثة من الرجال والنساء الذين أطلق عليهم اسم البولان "Poulains" ، وهـــو إسم يمكن فهمه بمعنى الأولاد[٣]، إلا أن حياتهم اليومية وعلاقاتهم الأسرية وخصوصياتهم كلها ظلت انعكاساً للحياة الأوروبية.

وواقـــع الأمـــر أن تركـــيز السكان الأوروبيين الجدد في الشرق، مال إلى حيث أصولهم العرقية والثقافية. فقطن النورمان أنطاكية مثلاً، في حين قطن البروفنساليين إمارة طـــرابلس. أما مملكة بيت المقدس، فقد كانت مزيجاً مختلطاً من المهاجرين الأوروبيين، غـــير أن الفرنسيين الشماليين ظلوا فيها العنصر السائد[٤]. وقد سهّل التوزيع السكاني هذا فـــي إيجـــاد الـــتلاحم والـــتكامل في المجتمع الجديد، على الرغم من أن ذلك قضى على الإثنيات والثقافات الصغيرة فيها[٥].

أمـــا التكوين السكاني للإقطاعيات الصليبية في الشرق التي أطلق عليها "فرنسا ما وراء الـــبحار"[٦]، فقـــد تكونـــت من العديد من الجنسيات والأعراق كان فيها المسلمون

---

(١)Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, p.503.

(٢) براور، المصدر السابق، ص١٤١.

(٣) كـــثرت الزيجات المختلطة بالسيدات الأرمنيات والبيزنطيات في أوساط الشريحة العليا من نبلاء الصليبيين، كمـــا كـــثرت الـــزيجات بيـــن أبناء الشرائح الدنيا من المجتمع الصليبي بالمسيحيات الشرقيات من مستواهم الإجتماعي نفسه. ومنذ عام ١١٥٠م، أخذت طبقة الأجناد (السرجندارية) تؤلف طبقة البولان، أنظر: المصدر نفسه، ص١٤٢، وانظر أيضاً: رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص٤٦٩.

(٤)Prawer, op.cit, p. 503.

(٥) Ibid, p. 503.

انظر أيضاً: سميل، المصدر السابق، ص٨٢.

(٦) براور، المصدر السابق، ص١٤١.

يشكلون أكثرية مواطني كل دولة من دول اللاتين. وكانت طريقة التعايش معهم ضرورة من ضرورات الإستيطان فيها. فقد أملت عدة أسباب عسكرية واقتصادية على الصليبيين أن يتبعوا سياسة متوازنة في حكم رعاياهم من سكان البلاد الأصليين[١]، تمثلت في ترك جانب لا بأس به من الحقوق والإدارة الذاتية لهم، ومنحهم حرية التمتع بتقاليدهم وعاداتهم الخاصة[٢]. ومن هنا يمكن القول، أنه على الرغم من أن الأرض المقدسة كانت تحت السيادة المسيحية، إلا أنها لم تصبح إطلاقاً بلداً مسيحياً، ولم تكن موجات الهجرات الأوروبية تسمح بحلول الإستعماريين الأوروبيين محل السكان الأصليين[٣].

وعلاوة على المسلمين، فقد ضم المجتمع الصليبي المسيحيين الشرقيين الذين كانت تضمهم نحو ست طوائف، واليهود الذين تناقص عددهم في فلسطين بشكل كبير بسبب المذابح التي تعرضوا لها على يد الصليبيين، وكذلك الجاليات الإيطالية التي انتشرت كثيراً في يافا وعكا وأرسوف وصور وطرابلس واللاذقية وأنطاكية وغيرها، وكان لها شوارع خاصة في المدن الرئيسة، بحيث أصبحت تشكل نوعاً من المستعمرات داخل المستعمرات[٤].

أما طبقات المجتمع فقد تكونت من الملك والأسرة الحاكمة الذين كانوا يحتلون قمة الهرم الإجتماعي، ثم الطبقة الأرستقراطية التي كانت تتكون من النبلاء والفرسان الأوروبيين، وطبقة رجال الدين والفرسان الرهبان، وطبقة الأجناد (السرجندارية) وهي من أكثر الطبقات عدداً، وقدر عددهم سنة ١١٨٠م بخمسة آلاف وهم من الصليبيين ويسكنون في إقطاعات سادتهم، وطبقة التركبولية وهم جنود من أهل البلاد، وكانوا أتراكاً

---

(١) أملى قلة عدد الصليبيين الحاجة إلى استغلال الفلاحين المسلمين للعمل في أقطاعاتهم كضرورة اقتصادية، كما أملت متطلباتهم الدفاعية والهجومية حشد جميع قواهم البشرية، مما لم يبق من يخلفونه وراءهم من الاداريين ليعملوا على حكم أتباعهم ورعاياهم، أنظر: سميل، المصدر السابق، ص٩٨.

(٢) يذكر ابن جبير في رحلته التي قام بها إلى عكا سنة ١١٨٤م، أن المسلمين كانوا يدفعون إلى الصليبيين نسبة من إنتاجهم السنوي، وأنهم فيما عدا ذلك كانوا أسياداً في موطنهم، أنظر: المصدر نفسه، ص٩٨، نقلاً عن: RHC, Hist. Or. 111, p. 448.

(٣) براور، المصدر السابق، ص١٣٤.

(٤) رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص٤٧٠-٤٧١.

وعرباً وأمهاتهم يونانيات، وطبقة التجار الإيطاليين، وأخيراً العامة من المسلمين والمسيحيين واليهود(١).

ومن الجدير بالذكر أن الصليبيين عاشوا في الشرق كمجتمع ثنائي القومية(٢). فعلى الرغم من محاولة التعايش بين الطرفين، إلا أن عدم التوافق في الأيدولوجية، وعدم قبول الواحد بالآخر (المغلوب للغالب وبالعكس) قد بدأ يظهر فلم يتم التكامل ولم تقم علاقات ودية بينهما(٣)، على الرغم من بعض المظاهر التي تشير إلى أن الصليبيين قد تلائموا مع محيطهم الشرقي، وأنهم قلدوا أهل البلاد الأصليين في الكثير من عاداتهم وتقاليدهم مما جعل القادمين من أوروبا للحج أو مع الحملات الصليبية يستهجنون سرعة هذا التغير(٤).

وبما أن الحركة الإجتماعية التي عادة ما تتميز بها بلاد المهاجر، ترفع من طبقات المجتمع وتحد من الفوارق بين المستوطنين، فقد كان أحد أهم مظاهر البنية الإجتماعية للمملكة الصليبية هو اختلافها عما كان عليه الحال في بلد المنشأ: فالمجتمع الصليبي كان المجتمع الإقطاعي الأوروبي الوحيد الذي لم يكن به أقنان ولا عبيد في صفوفه. فعلى الرغم من وجود الهرم الإجتماعي، إلا أنه كان مجتمع أحرار، تمكن فيه حتى الفقراء والمعدمون من ممارسة درجة من الحرية والحقوق أعلى بكثير من نبلاء السكان الوطنيين، وكان ذلك ليس بسبب نظريات اجتماعية، بل بسبب فرض الأيدولوجية الصليبية(٥).

---

(١) رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص٤٦٨-٤٧١.

(٢)Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, p.506.

(٣)Ibid, p. 507.

(٤) عن حياة اللاتين في الشرق ومظاهر البذخ والترف في المأكل والملبس والسكن والعلاقات مع المسلمين، أنظر: رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص٥٠٧-٥١٤؛ براور، المصدر السابق، ص١٤١-١٥٣.

(٥)Prawer, op.cit , p. 504.

وخلاصــــة القــول أن الصـــليبيين لم يجعلوا البلاد مسيحية، غير أنهم زرعوا في فلســطين ســكاناً مســيحيين ليعيشــوا كعنصـــر مســيطر فيها. وهذا ما يمكن اعتباره إفلاســاً للأيدولوجية الصليبية، فلا الصليبيون تمكنوا من طرد السكان المسلمين الأصليين ولا هــم اندمجــوا مــع المســيحيين الشرقيين، مما جعلهم ليس أكثر من غزاة للأرض المقدسة[١].

(١) Prawer, The latin kingdom of Jerusalem, p. 510.

النظام الإجتماعي للحركة الصهيونية

عـــاش الـــيهود مئات السنين منعزلين عن محيطهم الخارجي في حياة "الجيتو"، لا يختلطون بالشعوب الاخرى ولا يندمجون معها، فكانت عزلة اليهود هي الشيء الطبيعي[١] حتى بعد قيام دولة الكيان الصهيوني التي أصبحت هي نفسها دولة جيتو[٢]. وهذا ما أشار إلـــيه المؤتمـــر الصهيوني الأول عندما صاغ هدف الصهيونية، المتمثل بإقامة وطن في فلسطين "للشعب اليهودي"، أي وطن عرقي[٣].

وتـــزعم الحـــركة الصـــهيونية أن للـــيهود تاريخاً واحداً، وبأنهم جميعاً من أصل فلسطيني واحد، أي أنهم جنسية و(قومية) لها وطن واحد هو فلسطين. والحقيقة أن اليهود ليسوا من جنس واحد ولا من سلالة واحدة، ولو كانوا كذلك لما كان بينهم الأشقر والأسود والأصفر، بل هم يهود العالم ينتمون إلى كل جنسياته[٤].

والكيان الصهيوني هو عبارة عن تجمع مهاجرين، إذ يكمن جوهر الصهيونية في تجميع اليهود من الشتات والعودة بهم إلى فلسطين "أرض الميعاد". وقد عبر "هرتزل" منذ البداية عن أن المشكلة اليهودية "هي مشكلة قومية"، ورأى أن "إعادة الشعب اليهودي إلى أرضه، يضع حداً للمشكلة، ويضع حداً لشتات اليهود"[٥].

وحين تم إنشاء الكيان الصهيوني، راحت الدولة الجديدة تشارك حركة الصهيونية العالمية، في تهجير يهود العالم إلى فلسطين، كما راح زعماء الكيان الصهيوني يصدرون

---

(١) المســـيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص٢٩، ٣٣، أنظر أيضاً: شريت، المصدر السابق، ص٦٣، ١٢٥.

(٢) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص١٧٩.

(٣) كانت إحدى مسودات وعد بلفور الاولى تدعو إلى إقامة "وطن قومي للجنس اليهودي"، أنظر:
Stein, Leonard, The Balfour declaration, London, Vallentine, Mitchell, 1961, p. 547.
أنظر أيضاً: الحلو، المصدر السابق، ص٤٧-٤٨.

(٤) محمد كمال الدسوقي، وعبد التواب عبد الرازق سليمان، الصهيونية والنازية- دراسة مقارنة- دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م، ص٥٩-٦١.

(٥)Herzel, the Jewish state, p.105.

التشـــريعات والقوانيـــن بهدف تشجيع الهجرة مثل قانون العودة عام ١٩٥٠م[1]، وقانون الجنســية عـــام ١٩٥٢م، معتبريـــن جميع يهود العالم، مواطنين محتملين في دولة الكيان الصهيوني[2]. ولذلك فإن الصهيوني الصحيح، في نظر "بن غوريون": هو اليهودي الذي يعود إلى دولة الكيان الصهيوني ويشارك في إعادة بنائها[3].

ورغم أهمية الهجرة للكيان الصهيوني في ضمان بقائه، إلا أن ذلك أدى لأن يضم المجـــتمع الصهيوني خليطاً متنافراً من الأجناس التي عاشت فترات طويلة من حياتها في أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا، ممن اختلفت جنسياتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومناهج حياتهم، وفـــوق ذلـــك كلـــه اختلاف لغاتهم. وهذا كله جعل من المجتمع الصهيوني مجتمعاً غير متكامل، يفتقر إلى الوحدة الوطنية[4].

ومـــن هـــنا كانت محاولات الحركة الصهيونية والكيان الصهيوني في بعث اللغة العبرية، وربط المهاجرين بالأرض، والجمع بين الهدف الإقتصادي والعسكري من خلال العـــيش داخل المستعمرات الصهيونية، والتركيز على الدين كمفهوم حياة وتاريخ وثقافة، لتحقيق نوع من التكامل والإندماج داخل المجتمع الصهيوني [5].

ورغـــم دعـــاوى الصـــهيونية بـــأن الـــيهود يشكلون (شعباً واحداً)، فإن المجتمع الصهيوني يتكون من اليهود الغربيين (الأشكناز)، واليهود الشرقيين (السفارديم) والصابرا (المولوديـــن في فلسطين) إضافة إلى الأقلية العربية. ويصل عدد سكان الكيان الصهيوني حسب إحصاء عام ١٩٩٩م إلى ستة ملايين و ٣٧ ألف نسمة، تشكل نسبة اليهود الصهاينة منهم (٧٩,٢ بالمائة)، في حين يصل عدد سكان عرب فلسطين المحتلة وحدهم إلى مليون

---

(١) عُـدّل هـذا القـانون عام ١٩٧٠م وعُرّف اليهودي بأنه من ولد لأم يهودية شريطة أن لا يكون على دين آخـر، ونـص على أن اليهودي هو المتهود. أنظر: المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص١٣٦-١٣٧.

(٢) كنعان، المصدر السابق، ص١١٤، نقلاً عن:
Badi, Joseph, fundamental laws of the state of Israel, N.Y, 1961.

(٣)Ben Gurion, Israel: Years of challenge, Anthony Blond Ltd, London, 1964, p. 59-60.

(٤) الدسوقي وآخرون، المصدر السابق، ص١١٨.

(٥) المصدر نفسه، ص١١٩؛ قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص١١٧.

و ٢٥٤ ألـف نسـمة أي (٢٠,٨ بالمائة)[١]. ومن الجدير بالذكر أن الزيادة السكانية في الكيان الصهيوني تبلغ (١-١،١%) في حين يزداد العرب بنسبة (٣%) [٢].

وتتفاقم مشكلة التركيب الديمغرافي للمجتمع الصهيوني نتيجة تميز اليهود الغربيين عن اليهود الشرقيين بشكل صارخ. وقد أدت مجموعة من العوامل إلى سيادة ونفوذ اليهود الغربييـن، وإلـى سيطرتهم شبه الكاملة على ميداني السياسة وأجهزة الدولة، لعل أهمها التركيـب الديمغرافـي لموجات الهجرة الصهيونية إلى فلسطين[٣]. هذا عن الصراعات الطبقـية وحدهـا، أمـا الصـراعات ذات المضمون الإثني، فنجدها أيضاً بين الدينيين واللادينيين، وكذلك انقسام الدينيين فيما بينهم على أسس إثنية بين سفارديم وأشكناز[٤].

وعلى الرغم من أثر الهجرة الجماعية، التي أعقبت قيام الكيان الصهيوني في بداية الخمسـينات، والتي رفعت نسبة اليهود الشرقيين إلى أكثر من ٥٥% من السكان، إلا أن هـذا الإنقـلاب العـددي كان يفتقر إلى البنية الفكرية والحضارية التي كان يحملها معهم اليهود الغربيون، مما دفع بمؤسسات الدولة للإعتماد على خلفية حضارية غربية، أدت إلى سيطرة اليهود الغربيين في نهاية المطاف على مرافق الدولة وأجهزتها[٥].

ولـم تقتصـر الهـوة الإجتماعـية في الكيان الصهيوني على طائفتي الأشكناز والسـفارديم، بـل أن هذه الهوة زادت واتسعت بين الشرائح الدنيا من السكان، تمثلت في الـتفاوت الاجتماعي والثقافي والإقتصادي، مما أدى بالكثيرين نتيجة هذا الجو من التفرقة والتفاوت، ليعبروا عن رغبتهم بالنزوح[٦].

---

(١) الـرأي الأردنـية، العـدد ١٠٣٤٣، ٢/كانون ثاني/ ١٩٩٩م، نقلاً عن دائرة الإحصاءات المركزية للكيان الصهيوني. ومن المتوقع أن يصل عدد السكان العرب في قطاع غزة والضفة الغربية حتى عام ٢٠٠٠م إلى نحـو (٢,٨) ملـيون (منهم ١,١٢٥،٢٧٠ في قطاع غزة و ١,٦٧٦,٨٤٧ نسمة في الضفة الغربية) ونسبة العرب فيها ٨٣%، أنظر: الرأي الأردنية، العدد ١١١١٤، ١٢/شباط/٢٠٠١م، ص١٧.

(٢) هيئة دار الجليل، اسرائيل عام ٢٠٠٠، سلسلة مقالات لباحثين وخبراء إسرائيليين، دار الجليل للنشر، عمان، ط١، ١٩٨٦م، ص٣٨، نقـلاً عن: مقالة للبرفسور موشية سيكرون ود. تسفي ايزنباخ بعنوان "شكل السكان في إسرائيل في عام ٢٠٠٠م".

(٣) كنعان، المصدر السابق، ص١٦٢؛ قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص١٣٧.

(٤) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص١٥٦.

(٥) كنعان، المصدر السابق، ص١٦٢-١٦٣؛ غوانمة، حزب الليكود، ص٨٨.

(٦) كنعان، المصدر السابق، ص١٦٣-١٦٤.

ولعل ظاهرة النزوح هي أكثر ما يقلق الحركة الصهيونية والكيان الصهيوني في فلسطين. إذ إنها تُعبّر عن فشل المشروع الصهيوني، وتنقض أسس الكيان الذي قام على الهجرة، والتجمع. ويمكن رد هذه الظاهر إلى: الهوة الإجتماعية، والوضع الإقتصادي، والتوتر الأمني الدائم[1].

وتشير الإحصاءات، إلى أن عدد الصهاينة الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة في نهاية عام ١٩٨٥م يتراوح بين (٤٠٠ و ٥٠٠) ألف، في مقابل (٥٠) ألف أمريكي هاجروا إلى الكيان الصهيوني[2]. وهذا يشير إلى أن الكيان الصهيوني لم يعد قوة جاذبة، بدليل أن اليهود في غالبيتهم العظمى قد قرروا طوعاً ضد العودة إلى الكيان الصهيوني[3]، وفضلوا البقاء والإندماج في المحيط الذي يعيشون فيه في أمريكا وأوروبا ولم يختاروا الحل الصهيوني، وهذه حقيقة لا تقل في أهميتها عن حقيقة قيام الكيان الصهيوني نفسه[4].

ومن الجدير بالذكر أن عدد الذكور في سن الشباب يفوق في الكيان الصهيوني عدد الإناث، كما أن نسبة الشباب زادت منذ قيام هذا الكيان من (٥٩% إلى ٦٣%)، وهذا يعني زيادة من هم في سن الشباب في تعزيز القدرة العسكرية، ويعود السبب في ذلك إلى أن معظم المهاجرين إلى الكيان الصهيوني هم من الشباب. كما يلاحظ أن معظم المهاجرين في العشر سنوات الأخيرة كانوا من أوروبا الشرقية والإتحاد السوفياتي سابقاً، مما أخل بالتوازن الإثني بين اليهود الشرقيين والغربيين[5].

---

(١) كنعان، المصدر السابق، ص١٤١.

(٢) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص١٦٥-١٦٦. كما يقدر الكاتب الروسي أفرايم سؤولا في كتابه "وداعاً يا إسرائيل" أن عدد النازحين الصهاينة عن الكيان الصهيوني بلغ نحو نصف مليون شخص، نقلاً عن كنعان، المصدر السابق، ص١٤٣.

(٣) بلغت نسبة تساقط مهاجري دول الإتحاد السوفيتي السابق خلال الأشهر الأولى من عام ١٩٩٠م في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من ٩٠% من مجموع المهاجرين اليهود مما حدا بالسلطات الصهيونية أن تحد من التساقط قسرياً بالاتفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية حتى تكون الوجهة نحو فلسطين المحتلة، أنظر: السهلي، المصدر السابق، ص١٢.

(٤) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص١٦٧، أنظر أيضاً: شريت، المصدر السابق، ص١٣٠-١٣١.

(٥) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص١١٦.

وفـــي حيـــن يُعّد الكيان الصهيوني دولة ديمقراطية من وجهة نظر العالم الغربي، علـــى الـــرغم من أن البرجوازية فيه تزيد على نصف عدد السكان، إلا أن الديمقراطية الصـــهيونية كانـــت دائمـــاً "ديمقراطـــية استيطانية"، أي مقصورة على المستوطنين (ولا تنطـــبق على العرب)، مما يطرح تساؤلاً: "ماذا سيحدث ليهودية الدولة وصهيونيتها؟" لو طبقت ديمقراطية حقيقية في الكيان الصهيوني[1]. وقد يكون الجواب بأن الكيان الصهيوني دولة ديمقراطية للصهاينة، وغير ديمقراطية لغير الصهاينة، وبيوقراطية في الخارج لجذب الـــيهود الصـــهاينة، وعلمانية في الداخل لإعطاء مزيد من الحرية الدينية لليهود والأديان الأخرى للتعايش مع بعضها البعض[2].

---

(١) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص١٧-١٨.

(٢) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص١٣٣.

التوافق التاريخي بين النظام الإجتماعي للحركتين الصليبية والصهيونية

إن التشـــابه الأساســـي بين الحركتين الصليبية والصهيونية، هو أكثر ما يكون في التشابه الإجتماعي الإنساني[١]. ويدل على ذلك ما جاء في قول فوشيه الشارتري: "إذ أن أولـــئك الذيـــن كانوا غربيين أصبحوا الآن شرقيين، ومن كان رومياً أو فرنجياً قد تحول فـــي هذه البلاد إلى جليلي أو فلسطيني، ومن أتى من الرايم أو شارتر أصبح الآن مواطناً فـــي صور أو أنطاكية. وقد نسينا الآن أمكنة ولادتنا فهي غير معروفة لدى الكثيرين منا الآن ولا يرد ذكرها"[٢].

بهذه الكلمات استطاع فوشيه الشارتري أن يلخص الوضع الإجتماعي الذي آل إليه الصليبيون، بحيث يمكن القول أن هذا الوصف ينطبق تماماً على الوضع الإجتماعي الذي يعيش به الصهاينة اليهود الآن في فلسطين. فكلا الكيانين هما عبارة عن تجمع مهاجرين وخلـــيط من كل الأجناس التي جاءت من أوروبا لتستوطن في بلاد الشرق وتستولي على الأرض المقدسة فيها وتنشئ لها كيانات دعيت "بالشرق اللاتيني"، أو "بدولة إسرائيل".

وفـــي الوقت الذي تحدث فيه المهاجرون الصليبيون بلغات شتى شملت الإيطالية، والفرنســـية بلهجاتهـــا المختلفة[٣]، والأوكسيتانية Occitan أو البروفنسانية في طرابلس، والألمانـــية، إلا أن اللغـــة الفرنسية هي اللغة التي تحدث بها السكان منذ البداية، في حين كانت اللغة اللاتينية تستخدم في المراسلات[٤].

وبالـــرغم من أن الجيل الأول من المهاجرين الصليبيين قد وضعوا الأسس الأولى لبناء مجتمع جديد عقب غزوهم للأراضي المقدسة، ليكون على غرار النموذج الأوروبي، إلا أن أفـــواج المهاجرين اللاحقة واجهت مشكلة الإندماج في النسيج الإجتماعي للكيانات الصليبية، ومع ذلك فقد بقيت سيادة العنصر الفرنسي الإجتماعية والثقافية شاملة تقريباً[٥].

---

(١) أنظر عن الحياة فيما وراء البحار في: براور، المصدر السابق، ص١٤١-١٦٦.

(٢) أنظر: الشارتري، المصدر السابق، ص ٢١٨.

(٣) اســـتخدمت المملكـــة اللاتينـــية اللغة الفرنسية المستخدمة في وسط وجنوب فرنسا كلغة تخاطب، في حين استخدمت أنطاكية اللغة الفرنسية النورمانية.

(٤) براور، المصدر السابق، ص١٩٦.

(٥)Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, pp. 482-483.

وقــد وعــت الحركة الصهيونية أن مجموعات المهاجرين اليهود التي قدمت من أوروبــا وآسيا وأفريقيا إلى فلسطين، لكل منها تاريخها المختلف وثقافتها المختلفة ولغتها المختلفة، لذلك عمدت إلى صهر هذه المجموعات المتباينة، وأخذت تضع لها روابط جديدة مــن الدين المشترك، والتاريخ المشترك، والثقافة المشتركة، واللغة المشتركة وهي اللغة العبرية[١].

وكان أن استهدف الإستيطان الصهيوني لخلق المجتمع اليهودي الجديد من الوجهة الإجتماعــية، ربــط الإنسان بالأرض. ومن هذا المفهوم، فإن "أبا إيبان"، وزير خارجية الكــيان الصهيوني السابق، يقول: "إن اسرائيل لها تاريخ وليس لها جغرافيا، فالتاريخ هو الماضي، والجغرافيا هي الحاضر والمستقبل..، فالمطلوب صنع جغرافيا لإسرائيل"[٢].

ومــع أن الصهاينة اليهود قدموا إلى فلسطين من أكثر من ٩٠ بلداً ويتكلمون أكثر مــن ٧٠ لغة[٣]، إلا أن المجتمع الصهيوني ظل في نمطه العام أوروبي النزعة والإتجاه فكــرياً وحضــارياً وأســلوب حــياة، وكان للتركيب الديمغرافي لموجات الهجرة الأولى لفلسطين الفضل في ذلك[٤].

وكمــا واجــه المجتمع الصليبي مشكلة اندماج أفواج المهاجرين الجدد في النسيج الاجتماعــي لهذا الكيان، كذلك افتقر المجتمع الصهيوني منذ نشأته إلى التجانس والتكامل الإجتماعــي بسبب تعدد وتباين أصوله العرقية والحضارية، مما أدى إلى ظاهرة التفكك الإجتماعي[٥].

ومــثلما واجهت مملكة بيت المقدس خللاً ديمغرافياً في توزيع السكان، حيث تركز الصليبيون في المدن وبقي الريف في معظمه مسلماً، كذلك يواجه الكيان الصهيوني خللاً ديمغرافــياً خطــيراً أيضــاً يتمثل بعدم وجود تجانس بين المساحة وعدد السكان باستثناء

---

(١) نوفل، المصدر السابق، ص ٣٧١-٣٧٢.

(٢) زهــر الديــن، المصدر السابق، ص١٠١، نقلاً عن: بسام حافظ، إسرائيل دولة بلا جغرافيا، مجلة المنبر، العدد ٢٣، كانون ثاني، ١٩٨٨م، ص٤٨.

(٣) نوفل، المصدر السابق، ص١٣٠.

(٤) انظــر عــن بلدان المنشأ للهجرات الصهيونية في: أبو عرفة، المصدر السابق، ص٥١؛ الجادر، المصدر السابق، ص١٢٢-١٢٦.

(٥) غوانمة، حزب الليكود، ص١٢.

المنطقة الشمالية من فلسطين المحتلة حيث تبلغ نسبة السكان ١٥,٣% والمساحة المأهولة ١٦%، أما في الوسط فتبلغ نسبة السكان ٧٣,١% والمساحة المأهولة ١٥%، وفي الجنوب فتبلغ نسبة السكان ١١,٦% والمساحة ٦٩% (١).

يضاف إلى هذا الخلل وجود السكان العرب الفلسطينيين في منطقة الجليل والمثلث وكذلك في الأراضي العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧م (الضفة الغربية وقطاع غزة)، مما يزيد في معضلة التوزيع الديمغرافي تعقيداً، ويجعله يعمل في غير صالح الكيان الصهيوني في حالة استغلاله جيداً من قبل القوات العربية المهاجمة، وذلك بتوجيه ضرباتها العسكرية إلى مراكز الثقل هذه(٢).

ومثلما تركز العنصر الأوروبي للممالك الصليبية في الشرق وساد العنصر الفرنسي فيه، نرى أن عنصر الصهاينة اليهود الغربيين المعروفين بالأشكناز قد ساد المجتمع الصهيوني حتى بداية الخمسينات هو أيضاً. وعند النظر إلى نسب المستوطنين في الضفة الغربية وقطاع غزة نجد أن ٧٨% من هؤلاء المستوطنين هم من أمريكا وأوروبا، في حين تبلغ نسبة المستوطنين من آسيا ٢%، ومن أفريقيا ٣%(٣)، مما يشير إلى سيادة العنصر الأوروبي أيضاً.

وكما ظهرت الاختلافات الطبقية في الكيان الصليبي وتمايزت، كذلك نجد أن الإنتماء الطبقي والعرقي في داخل الكيان الصهيوني بين أشكناز وسفارديم، وبين هؤلاء والعرقيات الأخرى العربية، وكذلك الإنقسامات الدينية، شكلت جميعها عوامل هامة وخطيرة في مسألة الصراع السياسي والإجتماعي بين الأشكناز والسفارديم، وهددت التضامن في المجتمع الصهيوني المتعدد الأعراق والأصول(٤).

---

(١) قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص١٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١٧٨.

(٣) استقى الباحث هذه الأرقام من ندوة للدكتور وليد الخالدي في برنامج "بلا حدود" المذاع من قناة الجزيرة الفضائية يوم ١١/تشرين أول/٢٠٠٠م.

(٤) أنظر عن المكونات الأنتوغرافية وأثرها في الكيان الصهيوني في : غوانمة، حزب الليكود، ص٨٦-٩٢.

ومــع أن الكيان الصهيوني حاول بشتى الطرائق والوسائل اقتلاع الشعب العربي الفلســطيني مــن أرضــه، ونــزع الصفة العربية وبالذات الفلسطينية بشكل خالص عن فلســطين، وتغيــير المعالم العربية التي تؤكد ذلك، واستبدالها بمعالم يهودية، وإقامة دولة صــهيونية خالــية مــن أي شــعب آخــر، يُطلق عليه إسم "دولة اليهود" وليس "الدولة الــيهودية"[1]، إلا أنه عاش كما عاش الكيان الصليبي ثنائي القومية. إذ تبلغ نسبة السكان العــرب حتى نهاية عام ٢٠٠٠م نحو ٤٢% من سكان الكيان الصهيوني، وستصبح هذه النسبة نحو ٥٢% في عام ٢٠١٥، وعندها قد يصبح رئيس الوزراء الصهيوني من أصل عربــي كمــا يقول (آلف هارابن) أحد الباحثين الصهاينة في معهد فان لير بالقدس، مما يجعــل الــبعد الديمغرافي يشكل أكبر خطر أمني يهدد نقاء الكيان الصهيوني مستقبلاً إن هو استمر في احتلاله للضفة الغربية وقطاع غزة[2].

ورغــم محاولــة الكيانيــن الصــليبي والصهيوني التعايش مع المسلمين والعرب الخاضــعين لحكمهــم، ورغــم اســتغلال الأيــدي العاملــة العربــية والمسلمة من قبل الطرفين، إلا أن عدم قبول الطرف العربي والمسلم للطرف الآخر الصليبي أو الصهيوني ظــل هــو العــامل المسيطر رغم المظاهر الخارجية للتعايش. ويدل على ذلك أن سكن المســلمون فــي الأريــاف فــي حيــن استوطن الصليبيون في المدن، كما سكن العرب الفلسطينيون أحياءهم ولا يزالون، في المدن والقرى الفلسطينية، ومارسوا حياتهم اليومية في معزل عن المستوطنين الصهاينة[3].

ومــن الجديــر بالذكر أن الهجرات التي جاءت من أوروبا والأقطار الأخرى إلى الكيانين الصليبي والصهيوني قد جلبت معها دماء جديدة من الفرسان الصليبيين والمقاتلين الصهاينة ما عكس على المجتمعين الصليبي والصهيوني كثرة شبابه وقلة شيوخه، إلا أنها

---

(١) زهر الدين، المصدر السابق، ص٧٤-٧٥.

(٢) اعتــبرت ســنة ١٩٨٨م هي السنة التي أخذت عنها الإحصاءات السكانية للعرب واليهود الصهاينة وكذلك نسبة الزيادة السنوية، أنظر: قاسم، إدارة الحرب في إسرائيل، ص١٢١، نقلاً عن: فوزي غرايبة وآخرون، الــبعد الديمغرافي في الصراع العربي الإسرائيلي، دراسة مقدمة للمؤتمر الإستراتيجي العربي الثاني (النظام العربي في بيئة متغيرة)، القاهرة، كانون الثاني ١٩٨٩م، ص٦٤.

(٣) يمكــن للزائــر إلــى فلســطين المحتلة عام ١٩٤٨م والضفة الغربية وقطاع غزة أن يلمس بوضوح عدم الــتمازج بيــن العــرب والصهاينة اليهود حتى في كبريات المدن مثل القدس ويافا وعكا وغيرها من المدن ناهيك عن القرى.

جلبت معها أيضاً مشكلات اجتماعية تمثلت في عداء المهاجرين الجدد إلى المواطنين العرب والمسلمين، لدرجة أن أحد الوعاظ البارزين وهو همبرت الروماني (Humbert of Romans) كان لا يرى في المسلمين "أكثر من كفار وقتلة"(١).

كما أخذ بعض المؤرخين الصليبيين والمسلمين أمثال وليم الصوري وأسامة بن منقذ يحدثون عن اختلاف طبائع الصليبيين القادمين حديثاً، والمقيمين– وكانوا يدعونهم في الغرب: البولان أي "الأمهار" ويعنون بذلك الصليبيين الشرقيين– كما كان الحجاج الجدد يتجنبون التعاطي معهم لأنهم في رأيهم "أنصاف مسلمين"(٢).

كذلك ظهرت صورة العربي أو الفلسطيني في الأدبيات الصهيونية وفي أقوال زعمائها كعنصر متخلف وهامشي تحركه الدوافع الإقتصادية المباشرة، وأنه غير متمسك بأرضه أو وطنه أو تراثه(٣).

وقد لاحظ المفكر الصهيوني آحاد هعام سنة ١٨٩١م أن المستوطنين الصهاينة يعاملون العرب باحتقار وقسوة، وينظرون إليهم باعتبارهم "متوحشين صحراويين"، وعلى أنهم "شعب لا يرون ولا يفهمون شيئاً مما يدور حولهم"(٤).

كما أن الجيل الجديد في الكيان الصهيوني من مواليد فلسطين وهو ما عُرف بالصابرا الذي يعد الجيل الشرعي ورمز الوطنية الصهيونية يعيش في بيئة تعطي للعنف والنزعة العدوانية المكان الأول، كما ينظر إلى العربي فيه باحتقار وبأنه عدوه اللدود دائماً(٥).

ومن هنا كان يكمن مصدر القوة والتحدي لكلا الكيانين ولا يزال في هذا الإنسان الأوروبي الصليبي أو الصهيوني الذي أتى من بلاد الغرب ليرتبط بالأرض في بلاد

---

(١) Finucane, soldiers of the faith, p. 204, 205:

أنظر أيضاً: رنسيمان، المصدر السابق، ص١٦٥.

(٢) قلعجي، المصدر السابق، ص٨١، نقلاً عن:

Grousset: Histoire des croisades, T. 2., p 627.

(٣) انظر حول ذلك: المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص١٧٢–١٧٩؛ نوفل، المصدر السابق، ص ١٤٨–١٤٩.

(٤) جريس، تاريخ الصهيونية، ص١٣٩.

(٥) الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي، ص٤٣٦.

"Revisited، وأنــه يســود فــيه التساهل الشديد في النواحي الأخلاقية[1]. كما أن هذا المجــتمع ملــيء بالتناقضات الداخلية التي تحمل بذور زواله، لذلك فإنه يكفي أن تُغذى عوامل التفسخ الكامنة في جوهر هذا الوجود، وما على العرب أن يفعلوه هو التعجيل في صنع هذه النهاية كما يقول يهوشفاط هركابي[2]، وكما وعدنا ربنا حقاً حين قال: "تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى"[3].

ومــن الجديــر بالذكــر أن الفكر الصهيوني لا يمتلك فيما يبدو تصوراً متكاملاً لمعالجة موضوع العرب في الكيان الصهيوني، ولعله في هذه القضية ليس أحسن حالاً من أنمــاط الفكــر الأخــرى في العالم التي عجزت عن حل مشكلة الأقليات فيها، مما ينذر بتقويض الأيدولوجية الصهيونية التي قامت على أساسها الدولة الصهيونية الخالصة[4].

ولعــل في نصيحة الرئيس الأمريكي السابق بنيامين فرانكلين (١٧٠٦-١٧٩٠م) لقــادة بــلاده وتحذيره لهم من خطر اليهود على الغرب وحضارته لأكبر دليل على فساد الــيهود الأخلاقي عندما قال: "هناك خطر كبير على الولايات المتحدة، ويتمثل هذا الخطر باليهود، ذلك لأنهم إذا استقروا بأي أرض فإنهم يحطمون المستوى الأخلاقي"[5].

غــير أن مــا يفــرق الكيان الصليبي عن الصهيوني هي تلك الزيجات المختلطة بالســيدات الأرمنــيات والبيزنطيات التي كانت أمراً شائعاً في أوساط الشريحة العليا من نبلاء الصليبيين، على أنه لم يقدم على الزواج من الوطنيات إلا عدد قليل من البارونات، بينما شاع الزواج بين الشرائح الدنيا من المجتمع الصليبي، سواء من الفرسان الصغار أو سكان المدن، بالمسيحيات الشرقيات من نفس مستواهم الإجتماعي[6].

---

(١) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٣، ص٣٦، نقلاً عن:
Rubenstein, The Zionist Dream Revisited, P. 120.

(٢) هركابي، المصدر السابق، ص٣٥.

(٣) سورة الحشر، الآية ١٤.

(٤) عبد الحي، المصدر السابق، ص٧٠.

(٥) حتاملة، المصدر السابق، ص٥٤.

(٦) براور، المصدر السابق، ص١٤٢؛ رنسيمان، المصدر السابق، ج٢، ص١٦٤، أنظر أيضاً:
Munro, The western attitude, p. 335.

فــي حيــن ظــل الكيان الصهيوني يرى في نفسه باعتباره جيتو بالمعنى المادي والروحي للمفهوم. فالدين اليهودي يحظر على اليهود مصاهرة الشعوب الاخرى، فقد ورد في سفر التثنية "لا تصاهروهم، بنتك لا تعطها لابنه، وبنته لا تأخذ لابنك"(١).

فالــتزاوج مــع الأجناس الأخرى كما يراه الكثير من مفكري الصهاينة وروادها أمــثال "آرتر روبين" في كتابه "يهود اليوم" أنه: "يضر بمحاولات المحافظة على الصفات الممــتازة للجــنس، فمــن الضــروري، بالتالــي، محاولة منعه للمحافظة على انفصالية الــيهود"(٢). أما أغناز زولتشان (١٨٧٧-١٩٤٨م) فقد أكد أن "خطر الزواج المختلط (في اليهودية)... قد أدى إلى عدم اختلاط (اليهود) بأجناس لم تحتفظ بنقائها بالدرجة نفسها"(٣). وربما كان من الضروري هنا أن نشير إلى أن إحدى مسودات وعد بلفور كانت تدعو إلى إقامة "وطن قومي للجنس اليهودي"(٤). وهذا يعني في حقيقة الأمر تعريفاً بيولوجياً واضحاً للهوية اليهودية.

ومــن الأمــور التــي يجدر ذكرها أن خصوصية المملكة اللاتينية تمحورت في حقــيقة أنها لم تصبح يوماً مجتمعاً تبشيرياً، ولم يكن التحويل إلى المسيحية أبداً جزءاً من برنامج الكيان الصليبي، وكان مبدأ عدم التدخل، الذي كان إلى حد ما تقليداً لتراث النظام الإسلامي السابق، يضمن استقلال الجماعات الدينية المتعددة(٥).

كذلك، فإن اليهودية عبارة عن نظام اجتماعي فكري مغلق. إذ أن هذا الفكر مبني علــى مقولة "الشعب المختار"، والدين، والجيتو الإجتماعي حيث لا دخول ولا خروج في أو مــن الديــن الــيهودي. فالإنسان المعاصر في أي مكان يستطيع أن يكون مسلماً، أو مســيحياً، أو بوذياً، أو ماركسياً، أو أن يصبح أمريكياً أو انجليزياً أو أي جنسية في العالم ... لكــنه لا يســتطيع أن يكون بأي شكل من الأشكال يهودياً على الإطلاق. واليهود في

---

(١) سفر التثنية: الإصحاح ٧، الآية٣.

(٢) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص١٣٢، نقلاً عن:

Ruppin, Arthur, The Jews of today, p. 227 ff.

(٣) المصدر نفسه، ص١٣٢، نقلاً عن:

Brenner, Brenner, zionism in the Age of the Dictators, p. 20.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٣، نقلاً عن:

Stein, The Balfour Declaration, P. 547.

(٥)Prawer, The latin kingdom of Jerusalem, p. 508, 510

أنظر أيضاً: براور، المصدر السابق، ص١٣٤.

العالم رغم وجودهم منذ آلاف السنين لا يتجاوز عددهم ١٢ مليوناً، وهو ما يعني أنهم بفعل انغلاق قاعدتهم الإجتماعية لا يمكن لهم المساهمة في رؤية عالمية تتجاوز الزمان والمكان إلا اذا تخلوا عن فكرهم الصهيوني ... وهو ما يعني فناءهم[١].

واليهودي حسب قانون العودة لعام ١٩٧٠م هو من ولد لأم يهودية بشرط ألا يكون على دين آخر، كما نص أيضاً على أن اليهودي هو المتهود. غير أن المؤسسة الدينية اليهودية تريد إضافة عبارة "تهود حسب الشريعة"، وهذا ما يستبعد أكثر من ٨٠% من مجموع يهود العالم الذين لا يقبلون باليهودية الأرثوذكسية، مما يضع قضية الهوية اليهودية، والرؤية الصهيونية لها على المحك[٢].

على أن أكبر إخفاق للكيانين الصليبي والصهيوني هو أنه على الرغم من مرور أكثر من مائتي عام على وجود الكيان الصليبي في الشرق، وحوالي نصف قرن على الكيان الصهيوني الحالي، إلا أنهما لم يستطيعا أن يؤديا دور الوسيط في نقل الثقافة بين الشرق العربي الإسلامي من جهة والغرب الأوروبي المسيحي من جهة أخرى، وقد يكون في حالة الحرب الدائمة التي قامت بين الطرفين السبب الرئيس في ذلك[٣].

وعلى عكس العرب في إسبانيا الذين كان لهم الفضل في نقل معالم الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، فقد اقتصر الإتصال بين الشرق والغرب على المستوى المادي التجاري، ولم يتعداه إلى مستوى التبادل الفكري والثقافي إلا ما ندر، فلم تحاول المملكة إحياء المراكز الفكرية والثقافية المسلمة التي كانت قائمة، كما لم تشجع النخب المفكرة المسلمة كذلك[٤].

ومما يفسر عدم بقاء المستعمرات الصليبية كمراكز للتبادل الفكري والثقافي هو أن المملكة ظلت امتداداً للثقافة الأوروبية، وذات اهتمام محلي ضيق ومحدود[٥]، كما ظل

---

(١) عبد الحي، المصدر السابق، ص٨٥، ٩٢.

(٢) المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، ج٢، ص١٣٦-١٣٧.

(٣) Prawer, The latin Kingdom of Jerusalem, pp. 524- 526.

(٤) Ibid, p. 529.

(٥) Ibid, p. 529.

سـكان المملكة ينضوون تحت لواء الإطار الفرنجي العام[١]، وظل الرأي العام الصليبي ضد التشبه بالشرقيين حتى في اللباس والعادات[٢].

وعـند النظر للكيان الصهيوني نجد أنه لم يقم هو أيضاً بسبب حالة العداء القائمة والحـروب المستمرة مع الأقطار العربية بأي دور وسيط بنقل الثقافة العربية بين الشرق والغـرب. فالعلاقـات الدولـية بالمعنى الحديث تعتمد على مفهوم المساواة بين الكيانات السياسـية المتعددة والمتنوعة، وهذا مفهوم يبدو غريباً على اليهودية التي تقسم العالم إلى قسـمين: الشعب اليهودي من جهة في مواجهة الوثنية من جهة أخرى، بينما تدرك أكثر الشعوب الأخرى أن بقية العالم ينقسم إلى أمم ودول[٣].

والإرتـياب الصهيوني في النظام العالمي كما يقول هركابي والإحساس بالتضامن مـع الجـنس البشـري بشكل عام هو أضعف بكثير عند اليهود، وذلك يعود إلى الموانع والعوائق التاريخية والدينية المستند إليهما الفكر الصهيوني[٤].

وإطلالـة سـريعة علـى موقـف الفكـر العالمي من الثقافات الفرعية (كالفكر الصـهيوني) يجعلنا ندرك المعنى الذي قصد به هركابي في مقدمة كتابه حين يقول: "بأن ذلـك الفكر أصبح في حالة تضاد مع الرؤية العالمية"[٥]، تلك الرؤية التي ترى أن هناك ترابطاً ثقافياً قائماً على مساهمة كل الثقافات في بناء المنظومة المعرفية.

وإذا ما توقفنا عند نظرية صموئيل هنينغتون التي عبر عنها "بصراع الحضارات"، نجد أن الفكر الصهيوني يقف إلى جانب الحضارة الغربية (بجذورها اليهودية المسيحية). وهـذا يعني أن الفكر الصهيوني سيصطف إلى جانب الفكر الغربي العلماني في معظمه، مما قد يؤدي إلى فقدان ذاتيته لاستناده أساساً إلى الأسطورة الدينية. وهذا قد يترتب عليه بـدوره نتيجـتان، الأولى اتساع نطاق مواجهته مع العالم العربي والإسلامي، والثانية أن الفكـر الصـهيوني لن يستطيع مجاراة الثقافة الغربية المعاصرة والمستقبلية نتيجة البنية

---

(١) براور، المصدر السابق، ص١٣٣.

(٢)Prawer, The latin kingdom of Jerusalem, p. 520.

(٣) هركابي، المصدر السابق، ص٢٣٨.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٣٩.

(٥) المصدر نفسه، ص١٥.

الذاتـــية لكل منهما، إذ إن الفكر الغربي انعتق من المنظور اللاهوتي والبنية الكهنوتية في بنـــياته الإقتصادية والسياسية والثقافية، بينما لا يزال للفكر الديني موقعه الراسخ في بنية الفكر الصهيوني بشقيه العلماني والتقليدي (الديني) (١).

أمـــا البديل الآخر للفكر الصهيوني، فهو اصطفافه إلى جانب الحضارة الإسلامية والكنفوشـــية، لـــيعود بذلك إلى أصوله الشرقية التي نبت فيها أصلاً. لكن ذلك يحمل في طـــياته مخاطـــر تتمـــثل في ضرورة إعادة صياغة الأدبيات الصهيونية كلها لتنسجم مع الاصـــطفاف الجديـــد (مثل إعادة النظر في موقفه من الإسلام، وصورة العربي، وفكرة الشعب المختار ... الخ)، مما يعني زرع بذور فناء ذلك الفكر(٢).

---

(١) عبد الحي، المصدر السابق، ص٩٤-٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٥.

الخاتمة

إن دراسة الحركة الصليبية تظهر لنا بوضوح بأنها النموذج التاريخي الحي الذي يمكن استقراؤه للتعامل مع الكيان الصهيوني، فوجوه الشبه بين هاتين الحركتين كبيرة، والمكونات الأساسية لكل من الكيان الصليبي والكيان الصهيوني على الأرض العربية متشابهة، بل ومتماثلة في بعض الأحيان. ومن ناحية أخرى فإن المشكلات الأساسية للصليبيين والصهاينة كانت واحدة، أو متشابهة على الأقل.

ومع إدراكنا أن الظروف التاريخية المتشابهة يمكن أن تؤدي أيضاً إلى نتائج متشابهة وليست متماثلة. ومع تسليمنا بوجود الكثير من أوجه الخلاف بين هاتين الحركتين والتي لا تقل أهمية عن أوجه الشبه، إلا أن هذا الخلاف لا ينحصر بمقارنة الحركتين فقط بل ينطبق أيضاً على تباين أوضاع العرب والمسلمين بين المرحلة الصليبية والمرحلة الصهيونية. بناءً على ما تقدم فقد تناولت هذه الأطروحة الجوانب الأساسية للتوافق التاريخي بين الحركتين الصليبية والصهيونية نذكر منها ما يلي:

إن كلتا الحركتين هي إفراز لحقائق الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية للمجتمعات الأوروبية الغربية. فالغرب كان منشأ الحروب الصليبية، كما هو منشأ الحركة الصهيونية. وقد أدت هذه الإعتبارات دوراً بارزاً في تبلور هاتين الحركتين وظهورهما إلى حيز الوجود. وعلاوة على ذلك فقد مهدت العوامل الفكرية والثقافية والحضارية لرجال السياسة الغربيين في نقل المشروع الصهيوني إلى أرض فلسطين.

أما جوهر هاتين الحركتين فهو أنهما حركتان استيطانيتان مسلحتان وجدتا بالغزو، وتركزت جهودهما ضد منطقة استراتيجية وحساسة من الوطن العربي وهي فلسطين.

ويعود نجاح الحركتين الصليبية والصهيونية بصورة رئيسة إلى عوامل الضعف والتفكك والإنحلال السياسي والتأخر الحضاري الذي كان يسود المشرق العربي الإسلامي قبل العدوانين الصليبي والصهيوني. غير أنه لا بد من الإشارة هنا إلى أن الكيان الصليبي

نشأ في مرحلة كان المشرق العربي الإسلامي فيه أقرب إلى التكافؤ مع الغرب الأوروبي فـــي القـــوى السياســـية والإقتصادية والعلمية والعسكرية، في حين نشأت الصهيونية في مرحلة كان فيها تفوق الغرب واضحاً على المشرق في جميع المجالات وخاصة العسكرية منها.

كمـــا خلق تفوق الغرب السياسي على المشرق العربي في المرحلة الإستعمارية، واقعـــاً يخـــتلف عـــن الواقع الذي واجهه الكيان الصليبي. ذلك أن المشرق كان يفتقد إلى إســـتقلالية القـــرارات السياسية والعسكرية، كما منعت الهيمنة الغربية والأمريكية الكثير مـــن الأقطـــار العربية والإسلامية من تطوير قوة مناهضة للكيان الصهيوني. ففي حين انحصـــر تأثـــير المملكـــة الصـــليبية على بعض أمراء وحكام عدد محدود من الإمارات الإســـلامية المجاورة، حافظت الأكثرية الساحقة من السلاطين والأمراء والحكام المسلمين على استقلالها، ولم يتوفر للصليبيين وسيلة فعالة للتأثير عليهم سوى الحرب.

وإذا كنا نقف اليوم وجهاً لوجه أمام خطر الكيان الصهيوني، والذي تحرص بعض قـــوى الغرب الأوربي والأمريكي على مساندته وإمداده بالمال والسلاح لتمكينه من البقاء والثـــبات، فـــإن أجدادنـــا في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد وجدوا أنفسهم أمام كيان غريـــب قام على نفس البقعة من الأرض، واعتمد على مساندة الظهير الأوروبي لضمان بقائه واستمراره.

ومشكلة الظهير الأوروبي والأمريكي ومدى أهميته، تشكل جانباً من أهم جوانب الرؤية الصهيونية للحروب الصليبية. إذ أن الكيان الصهيوني يعتمد على الغرب الأوروبي والولايـــات المـــتحدة لـــيس مـــن أجل العون البشري فقط، وإنما من أجل العون المادي والدعم السياسي كذلك. وعلى الدوام يحرص الصهاينة على وجود قدر كبير من التوازي والـــتوافق بيـــن مصـــالحهم ومصـــالح الظهـــير الذي يساندهم، ولعل هذا هو ما يجعلهم يغـــيرون حلفـــاءهم حسب قوة أولئك الحلفاء من جهة، وحسب مصالحهم في المنطقة من جهة أخرى.

ومـــن الجديـــر بالذكـــر أنـــه على الرغم من تقاطر أفواج المهاجرين الصليبيين القادميـــن مـــن أوروبـــا للإســـتيطان فـــي الشرق، فقد ظلت مشكلة الموارد البشرية في المستوطنات الصليبية بمثابة الفشل الصليبي الأكبر في المنطقة. وما تزال مشكلة الموارد

البشـــرية هـــذه تعد من أشد هموم الكيان الصهيوني وطأة، على الرغم من نجاح الحركة الصـــهيونية في رفع عدد السكان الصهاينة في فلسطين إلى أكثر من خمسة ملايين نسمة. ومـــع أن الكـــيان الصهيوني يحاول باستمرار جذب المزيد من المهاجرين الصهاينة إلى فلســطين، وتعويض النقص الكمي بالتفوق النوعي، فإن الزمن لا بد من أنه سيكون ضد صـــالحه في هذه المسألة. وعلى أية حال فإن مشكلة الموارد البشرية والهجرة إلى الكيان الصـــهيوني مـــا تزال من أهم عوامل الضعف فيه مثلما كانت عامل ضعف في الوجود الصليبي عدة قرون.

وقـــد كانـــت الـــرؤى لحل المعادلة الصعبة لمشكلة القوى البشرية تكمن في إبقاء حالة التمزق العربي الإسلامي لضمان بقاء ربع مليون مستوطن صليبي. فإذا تمت الوحدة العربـــية الإســـلامية كان ذلك إيذاناً بالقضاء على الكيان الصليبي كما حدث فعلاً على يد صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين الخالدة.

ولعـــل فـــي محاولـــة الكـــيان الصهيوني إبقاء حالة الإنقسام السياسي الذي يميز العلاقات بين الأقطار العربية في المنطقة الآن، ما يزال هو الرهان المعاصر لهذا الكيان حرصـــاً علـــى استمرار وجوده. كما أن محاولات الصليبيين لفصل مصر عن بلاد الشام والعـــراق لضـــمان الســـيطرة علـــى المنطقة العربية، ما تزال هدفاً من أهداف السياسة الصهيونية في وقتنا الحالي.

وتمـــزيق أيـــة محاولات وحدوية، وضرب القوى المعادية للكيان الصهيوني في المـــنطقة، أو إجهـــاض أية قوة عسكرية عربية ناهضة حتى ولو كان عن طريق الظهير المساند له- كما حدث في العدوان الثلاثيني على العراق عام ١٩٩١م- لهو أحد الأهداف الصهيونية في بقاء هذا الكيان مزروعاً في جسد الأمة العربية.

ومـــن المعلوم أن الحركة الصليبية قد استخدمت في دعايتها القصص التي ذاعت عن الإضطهاد الذي يلقاه مسيحيوا الشرق على يد المسلمين، كما وأسبغت التوراة الشرعية علـــى امـــتلاك المســـيحيين للأراضي المقدسة خلال الحملة الصليبية، فكانت خطبة البابا أوربان الثاني تطرح أمام المجتمع الذي مزقه الخلاف وأرهقته المشكلات هدفاً عاماً يمكن لهذا المجتمع أن يعبر عن نفسه من خلاله.

كذلــك، جــرف التيار الصهيوني المجتمع الأوروبي المسيحي، وحقق الإنجازات الفكرية والأدبية والفلسفية في مخيلة هذا المجتمع قبل ظهور الحركة الصهيونية وتنظيمها في أواخر القرن التاسع عشر.

وعــندما جاءت الحركة الصهيونية التي استندت هي الأخرى إلى التوراة كمصدر حــق شرعي بامتلاك الأرض المقدسة، وعلى النبوءات الواردة فيها عن عودة اليهود إلى أورشليم "القدس" قبل عودة المسيح المنتظر، ارتبطت هذه الحركة منذ بدايتها أيضاً بالعمل الدعائــي الواسع بحيث يخلق أكبر قسط من الضوضاء – على حد تعبير "هرتزل"– حول المشكلة اليهودية.

وهكــذا لبست كلتا الحركتين رداء الدين وارتكزت على مفهوم الخلاص، ويسرت لقطاعــات عريضــة من الشعوب الغربية، من رجال الدين والعلم والأدب والسياسة إلى العمــال والفلاحيــن الذين جمعتهم نظرة عدائية تاريخية تجاه العرب والمسلمين، انتزاع الأراضــي المقدسة من أيدي سكانها الأصليين دون إبداء أدنى اهتمام بحق هؤلاء الناس بأرضهم ووطنهم.

وفــي ســبيل تحقــيق ذلك ارتكبت أبشع المجازر في محاولة منها لطرد السكان الأصــليين وإحلال المهاجرين الأوروبيين الصليبيين والصهاينة مكانهم، مما يدل على أن الــبعد الديمغرافــي كــان ولا يزال أحد أهم أبعاد الصراع العربي الإسلامي مع الكيانين الصليبي والصهيوني.

ورغــم عــدم وقــوف بعــض الحكــام العرب والمسلمين أمام الهجمة الصليبية والصــهيونية بحــزم، وعدم إدراكهم لجدية وطبيعة هاتين الحركتين، وتغليب الإعتبارات الداخلــية على المصالح القومية العليا، وتوجيه معظم طاقات الأمة نحو الإقتتال الداخلي، فــإن الأمة قاتلت أعداءها منذ أن وطئت أقدامهم الأرض العربية، غير أن قتالهم لأعدائهم ظــل بعــيداً عن الإلتقاء مع بعضهم البعض، كما ظلوا عاجزين عن تعبئة مواردهم تجاه أعدائهــم ... ذلك أن محاولات توحيد القوى الإسلامية والعربية، مثل محاولة صلاح الدين الأيوبي، لم تكن لتعمر طويلاً بعد وفاة صاحبها.

كمـــا أن من الواضح أيضاً أن تطور المقاومة العربية للحركة الصهيونية يختلف عن المقاومة للحركة الصليبية التي بدأت ضعيفة ومشتتة في الإمارات المجاورة للكيانات الصليبية، ثم نمت وترعرت تدريجياً تحت شعار الجهاد وتوحيد كلمة المسلمين إلى أن تم القضـــاء على الوجود الصليبي برمته، بينما فعلت التجزئة والإقليمية فعلتها ولا تزال في تشتيت القوى العربية والإسلامية في هذا الظرف الراهن، وقادتنا إلى الإرتهان إلى مقسمي بلادنا وحُسْن نياتهم، مما ترتب على ذلك فشل كبير في شؤون الحرب والسياسة.

ولا بد من الإشارة هنا إلى عبثية محاولة الصليبيين وكذلك الصهاينة للعيش بسلام مـــع جـــيرانهم العـــرب والمســـلمين، وعدم شعورهم بالأمن والإستقرار رغم المعاهدات والإتفاقـــيات والهدنـــات الكثيرة التي عقدوها معهم. كما أنهم لم يتمكنوا من الإندماج في المنطقة رغم شعارات "الشرق اللاتيني" و "الشرق أوسطية" التي طرحاها.

وقـــد يكـــون أكثر ما يميز كلا الكيانين الصليبي والصهيوني هو الطابع العسكري لهما. فقد أدى استمرار عوامل القلق والتيقظ الدائم والحذر المستمر من هجوم خارجي، أو الثورة والتخريب من الداخل إلى تنظيم الدولة والمجتمع فيهما وتوظيف كافة مواردهما في سبيل الحرب.

ويمكن القول عموماً أن الحروب الصليبية وكذلك الصهيونية كانت تدور من أجل غايـــة رئيســـة واحدة، وهي المحافظة على بقاء هذين الكيانين في المشرق. فقد وجدا في الحـــرب أداة لترســـيخ كيانـــيهما والمحافظـــة على ذاتيهما في المشرق، فكانت الحرب جـــزءاً لا يـــتجزأ مـــن الحياة العامة في الممالك الصليبية كما هي أيضاً حالة صهيونية مستديمة.

ومـــن ناحية أخرى قامت استراتيجية الصليبيين على أساس الحدود الطبيعية التي يســـهل الدفـــاع عنها، فسعوا إلى السيطرة على إقليم الأردن ووادي عربة وجعلها الحدود الطبيعية بين مصر ومملكة بيت المقدس من الجهة الجنوبية. وهذا بحد ذاته بمثابة إسقاط معاصـــر للتصـــورات الصهيونية ونظرية الأمن التي يتبناها والتي ترى في فكرة الحدود الطبيعية التي يسهل الدفاع عنها من أهم أركانها.

ومــن جهة ثانية لم يكن أمام الأقلية التي تسعى إلى حكم أغلبية معادية من سبيل لضــمان وجودهــا سوى أن تتمركز في أعداد صغيرة نسبياً، وفي أماكن حصينة. فكانت المواقــع الحصــينة بمــثابة تشكيلات عسكرية ثابتة، على حين كان الجيش هو العنصر المــتحرك فيها. وكان هذا أحد الأمثلة على الإسقاطات المعاصرة للكيان الصهيوني، وهو يكشــف أيضاً عن أن العقلية التي تحكم المستوطن الذي يزرع في محيط بشري معاد له بقوة السلاح، لا بد من أن يفكر بالأسلوب نفسه الذي يفكر فيه أي مستوطن في أي زمان ومكان آخر.

وعلى الرغم من إحراز كل من الصليبيين والصهاينة عدة انتصارات في حروبهم مع العرب والمسلمين، فإن هزيمة كاملة للكيان الصهيوني كفيلة بأن تكون فيها نهايته، كما حصل في معركة حطين عندما كانت فيها نهاية الصليبيين، إلا أن هذا الأمر لا يمكن جره على الوطن العربي.

أما أحوال الإقتصاد الصهيوني فقد تبين أن هذا الكيان كما هو حال الكيان الصليبي مــن قبل لا يمكنه العيش اعتماداً على موارده الذاتية. فالمساعدات والقروض التي تدفقت علــيه مــن الغرب والولايات المتحدة الأمريكية تعني استمرار بقائه، أما انقطاعها فيعني زواله ونهاية وجوده.

علــى أن المتغيرات في علاقات القوى الدولية، تجعل المرء يتساءل عما إذا كان بوسع الكيان الصهيوني أن يعول كثيراً على الظهير المساند من خارج المنطقة. فقد أثبتت أحــداث الحروب الصليبية أن حركة العلاقات الدولية يمكن أن تخلق تنافراً في المصالح بيــن الظهــير الأوروبي والكيان الصليبي في الشرق. كما أثبتت أن ظهور بعض القوى الجديــدة فــي أوروبــا آنــذاك جعل الأوروبيين ينصرفون إلى حل مشكلاتهم السياسية والإقتصادية والإجتماعية بعيداً عن الصليبيين ومشكلاتهم في الشرق.

أما محاولة الصهيونية اختلاق هوية (قومية) وتاريخ وتراث للشعب اليهودي على أرض فلسطين، فإنه وعلى الرغم من أن البيئة قد أدت دورها في تشكيل حياة المستوطن الصــهيوني أو الصــليبي من قبل، فإن انتماءات هذا المستوطن أو ذاك لم تكن للحضارة

السائدة في المنطقة، وإنما كانت انتماءاته للمجتمع والحضارة اللذين يمثلان الظهير المساند لكون المستوطن الصليبي أو الصهيوني نتاجاً لهما.

ومــن الطبيعــي بحكــم الغربة الحضارية للكيان الإستيطاني أن يتمسك الصليبي بمظاهر هويته الأوروبية دفاعاً عن ذاته الحضارية في وسط حضاري مختلف، بل ومعاد أيضاً. كما أن تمسك المجتمع الصهيوني المعاصر بمظاهر الحياة والثقافة الغربية، تكشف عــن مــثل هــذا الموقف ولا سيما عند أولئك الصهاينة اليهود القادمين من دول الغرب الأوروبي والأمريكي. وهذا يعطي دلالة واضحة على أن هذا الكيان الغريب سوف يظل يرتبط وجدانياً وثقافياً بالغرب الذي اعتبره طليعته في الشرق.

علــى أن مــن الملاحــظ أن الكيان الصهيوني قد أظهر مقدرة أكبر من الأقطار العربــية على الإستفادة ولو بصورة جزئية من التجربة الصليبية. فقد تقدم هذا الكيان في مخــتلف أبــواب العلم والمعرفة وشجع على البحث العلمي، إذ سهل مهمته وجود أعداد كبــيرة من اليهود في المؤسسات العلمية والفكرية والثقافية في الغرب ومساهمتهم الفعالة في هذه الميادين، على عكس الكيان الصليبي الذي عانى من التأخر الفكري والعلمي اللذين كانا أحد أسباب فشله الرئيس.

كذلك، نجح الكيان الصهيوني في تفادي بعض أخطاء الصليبيين في نواح أساسية عــدة، كاستخدام اليهود في الزراعة، وتهجير السكان الأصليين، واستقدام أعداد أكبر من المهاجرين، وبناء المستوطنات الصهيونية على رؤوس الجبال في مناطق الخليل ونابلس، بل في كل مكان من الضفة الغربية وقطاع غزة.

غــير أن مــن الحقــيقة القول إن هذا التشابه الكبير بين الحركتين قد يقود الكيان الصهيوني إلى المصير نفسه الذي آل إليه الكيان الصليبي، وهو لفظه من المنطقة العربية كجســم غريب عليها، تماماً كما تم لفظ الكيان الصليبي قبل أكثر من سبعة قرون، عندما صــرفت حقائق الحياة الغرب الأوروبي في ذلك الحين عن المساندة الحقيقية لهذا الكيان، عــلاوة علــى تــزايد موجات النقد والمعارضة التي كانت تطالب أوروبا بقطع صلاتها العاطفــية بمستعمراتها الشرقية. وهكذا أخذت فكرة الحروب الصليبية والحماسة لها يخبو

في ظل نمو الواقعية والشعور بعدم جدوى هذه الحروب التي تجري في أرض غريبة وفي بلاد يفوق فيها المسلمون عدد المسيحيين مما وضع نهاية للممالك الصليبية في المنطقة.

قائمة المصادر والمراجع العربية والأجنبية

أولاً: الوثائق المنشورة:

أ-الوثائق العربية:

١- الفكـرة الصهيونية، النصوص الأساسية، أنيس صايغ وآخرون، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٠م.

٢- قـرارات مجلـس جامعـة الدول العربية الخاصة بقضية فلسطين، إدارة شؤون فلسطين، جامعة الدول العربية، دار القاهرة للطباعة، ١٩٦١م.

٣- قـرارات الأمـم المتحدة حول فلسطين ١٩٤٧-١٩٧٢م، جمع وتصنيف سامي مسلم، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٣م.

٤- القضـية الفلسطينية والخطر الصهيوني، وزارة الدفاع الوطني- الجيش اللبناني، الأركان العامة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٣م.

٥- معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج، يوسف حسن غوانمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٥م.

٦- الموسـوعة الفلسـطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية، القسم العام (٤ مجلدات)، بيروت، ١٩٨٤م.

٧- الموسـوعة الفلسطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية، القسم الأول، (٤ مجلدات)، بيروت، ١٩٨٤م.

٨- وثـائق حـرب فلسطين والملفات السرية للجنرالات العرب، رفعت سيد أحمد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٩م.

٩- وثـائق الحـركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٨- ١٩٣٩م)، أكرم زعيتر، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٩م.

١٠- الوثـــائق الرئيسية في قضية فلسطين، المجموعة الأولى (١٩١٥-١٩٤٦م)، الأمانـــة العامـــة، إدارة شؤون فلسطين، جامعة الدول العربية، مطابع جريدة الصباح، القاهرة، د. ت.

١١- وثـــائق فلســطين، إعداد محمد محمود الصياد، دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٨٧م.

١٢- وثائق مذكرات وبرقيات سفراء ومندوبي الولايات المتحدة إلى خارجيتهم حول القضـــايا المتعلقة بالدول العربية وفلسطين، محمد حسنين هيكل، المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل (٣ كتب)، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦م.

١٣- وثـــائق المقاومـــة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية (١٩١٨-١٩٣٩)، سلســلة الوثـــائق العامـــة، عـــبد الوهاب الكيالي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٨م.

ب- الوثائق المعربة:

١- الحـــروب الصـــليبية- نصوص ووثائق- الحملة الأولى (١٠٩٥-١٠٩٩م)، ترجمة، د. قاسم عبده قاسم، دار نافع للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٤م.

٢- حرب فلسطين (١٩٤٧-١٩٤٨)، الرواية الإسرائيلية الرسمية- رئاسة أركان الجـيش الإســرائيلي، فـــرع التاريخ، ترجمة أحمد خليفة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، نيقوسيا، ١٩٨٤م.

ثانياً: الرسائل العلمية:

١- ســليمان ســليم الطراونة، دور السلطان عبد الحميد الثاني في مواجهة الهجرات الـــيهودية والمخططـــات الصهيونية تجاه فلسطين، رسالة دكتوراة لم تنشر بعد، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، ٢٠٠١م.

٢- نرميــن يوسف غوانمه، حزب الليكود ودوره في السياسة الإسرائيلية (١٩٧٧-١٩٩٢م، (دراســة تاريخــية)، رســالة دكتوراه لم تنشر بعد، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م.

ثالثاً: المصادر العربية:

١- ابــن الأثير، علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.

٢- ابــن تغــري بردى، جمال الدين أبي الحسن الأتابكي (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهــرة فــي ملــوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٥م.

٣- ابــن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت ٦١٤ هـ)، رحلة ابن جبير، تحقيق حسين نصار، ط القاهرة، ١٩٥٥م.

٤- ابــن خلــدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.

٥- ابــن شــداد، بهــاء الدين يوسف بن رافع (ت ٦٣٢هـ)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، ط القاهرة، ١٩٦٤م.

٦- ابــن العديم، عمر بن عبد العزيز بن أبي جرادة (ت ٦٦٠هـ)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق د. سهيل زكار، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٩٧م.

٧- ابــن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن علي بن أسد التميمي (ت ٥٥٥هـ)، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق آمد روز، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

٨- ابــن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، ط القاهرة، ١٩٥٣-١٩٥٧م.

٩- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت ٦٦٥ هـــ)، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق أحمد

البسـيوني، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩١م.

١٠- أبـو الفـدا، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢هـ)، تقويم البلدان، ط باريس، ١٨٤٠م.

١١- أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، د.ت.

١٢- سـبط ابـن الجوزي، أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت ٦٥٤هـ)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ط حيدر آباد، ١٩٥١م.

١٣- القلقشـندي، أبـو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط القاهرة، ١٩١٩م.

١٤- المقريـزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط القاهرة، ١٩٥٦م.

رابعاً: المراجع العربية:

١- ابراهيم أبو زهرة، الحركة الصهيونية والاستعمار والطرد الفلسطيني، رابطة الجامعيين، الخليل، ١٩٩٣م.

٢- ابراهـيم شـكيب، حـرب فلسطين ١٩٤٨م، رؤية مصرية، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٦م.

٣- أحمـد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، العربي للإعلان والنشر والطباعة والتوزيع، دمشق، ١٩٧٢م.

٤- أحمـد صدقي الدجاني، انتفاضة الأقصى وتفجر الحل العنصري لفلسطين، دار المستقبل العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٥- أحمد عبد الرحيم سالم الخلايلة، الاستراتيجية الأردنية وارتباطها بالقضية الفلسطينية (جذورها- حاضرها- مستقبلها)، المطابع العسكرية الأردنية، عمان، ١٩٩٨م.

٦- أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية"، بغداد، ١٩٩٠م.

٧- أحمد نوفل، الحروب النفسية بينا وبين العدو الإسرائيلي، الكتاب الثالث، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٦م.

٨- أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى- دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣م.

٩- إلياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٦م.

١٠- أنجلينا الحلو، عوامل تكوين اسرائيل السياسية والعسكرية والأقتصادية، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٧م.

١١- أنيس القاسم، التحدي الإسرائيلي ومواجهته، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٩م.

١٢- بلال الحسن، مجزرة الخليل / ١٥ رمضان ١٤١٤هـ- ٢٥ شباط ١٩٩٤م، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ١٩٩٤م.

١٣- بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (١٩١٧-١٩٤٨م)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٦م.

١٤- جورجي كنعان، سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية، دار النهار للنشر، ١٩٨٠م.

١٥- جوزيف نسيم يوسف، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

١٦- جون باغوت غلوب، جندي بين العرب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٨م.

١٧- حامد غنيم أبو سعيد، الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧١م.

١٨- حامد زيان غانم زيان، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣م.

١٩- حسن البدري، الحرب في أرض السلام، الجولة العربية الإسرائيلية الأولى (١٩٤٧-١٩٤٩م)، المؤسسة العربية الدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٦م.

٢٠- حسان علي حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (١٨٩٧-١٩٠٩م)، الدار الجامعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

٢١- حمد أحمد عبد الله يوسف، بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الأيوبية، دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية، القدس، ١٩٨٢م.

٢٢- خيرية قاسمية، فلسطين في مذكرات فوزي القاوقجي، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، دار القدس، ١٩٧٥م.

٢٣- رفيق شاكر النتشة، السلطان عبد الحميد وفلسطين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١م.

٢٤- رفيق شاكر النتشة، الاستعمار وفلسطين، مطبعة بيت المقدس، عمان، ١٩٨٦م.

٢٥- زياد أبو غنيمة، السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية، دار عمار، عمان، ١٩٨٩م.

٢٦- سعد يوسف الدجاني، فلسطين والتحديات التوراتية الصليبية، عمان، د. ن، ١٩٩٣م.

٢٧- سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، التاريخ السياسي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩١م.

٢٨- سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م.

٢٩- سليمان موسى، أيام لا تنسى، الأردن في حرب ١٩٤٨م، مطابع القوات المسلحة الأردنية، عمان، ١٩٨٢م.

٣٠-سليمان موسى، تاريخ الأردن في القرن العشرين، (١٩٥٨-١٩٩٥م)،مكتبة المحتسب، عمان، ١٩٩٦م.

٣١- سليمان موسى، الحركة العربية (سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة)، (١٩٠٨-١٩٢٤م)، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٧م.

٣٢- سمير جريس، القدس- المخططات الصهيونية- الاحتلال، التهويد، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١م.

٣٣- سيار الجميل، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨٩م.

٣٤- صادق جلال العظم، الصهيونية والصراع الطبقي، دار العودة، بيروت، ١٩٧٥م.

٣٥- صالح زهر الدين، مشروع إسرائيل الكبرى بين الديمغرافيا والنفط والمياه، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت، ١٩٩٦م.

٣٦- صبري جريس، تاريخ الصهيونية (١٨٦٢-١٩٤٨م)، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٧م.

٣٧- صلاح الدين البحيري وآخرون، مدخل إلى القضية الفلسطينية، دار البشير للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦م.

٥٠-عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩م.

٥١-عبد الوهاب محمد المسيري، الاستعمار الصهيوني وتطبيع الشخصية اليهودية مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٩٠م.

٥٢-عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة تاريخ الصهيونية، (٣ أجزاء)، دار الحسام، القاهرة، ١٩٩٧م.

٥٣- عبد الوهاب محمد المسيري، اليهودية والصهيونية وإسرائيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٥م.

٥٤-عزمي أبو عليان، القدس بين الاحتلال والتحرير، مؤسسة باكير للدراسات الثقافية، الزرقاء، ١٩٩٣م.

٥٥-علي محافظة وآخرون، جامعة الدول العربية الدافع والطموح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٣م.

٥٦-عماد الدين خليل، المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي، عصر ولاة السلاجقة في الموصل، (١٠٩٥-١١٢٧م)، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨١م.

٥٧- فارس غلوب، الصهيونية على خطى النازية- نجمة داود والصليب المعقوف، شرق برس، نيقوسيا، ١٩٨٩م.

٥٨- قاسم عبده قاسم، رؤية اسرائيلية للحروب الصليبية، مركز بحوث الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٨٣م.

٥٩- قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الإجتماعي، عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، ١٩٧٩م.

٦٠- قدري قلعجي، صلاح الدين الأيوبي، قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٢م.

٦١- محمـد عـبده حتامله، الاعتداءات الإفرنجية (الصليبية) على ديار العرب في الأندلـس والمشرق (حرب متواصلة على الإسلام)، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠٠١م.

٦٢- محمـد عزة دروزة، حول الحركة العربية الحديثة، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٥١م.

٦٣- محمد عزة دروزة، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها: تاريخ ومذكرات وتعليقات، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٥٩م.

٦٤- محمد فرج، الصهيونية مشروع استعماري، مؤسسة يوم المستشفيات، القاهرة، ١٩٨٣م.

٦٥- محمـد العمروسـي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م.

٦٦- محمـد فيصل عبد المنعم، أسرار حرب ١٩٤٨م، تقديم أنيس منصور، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨م.

٦٧- محمد كمال الدسوقي، وعبد التواب عبد الرازق سلمان، الصهيونية والنازية- دراسة مقارنة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م.

٦٨- محمـد مؤنـس عوض، في الصراع الإسلامي الصليبي، السياسة الخارجية للدولـة الـنورية (١١٤٦-١١٧٤م)، عيـن للدراسـات والـبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٨م.

٦٩- محمـود نديـم، الفـن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.

٧٠- مسـفر بن سالم الغامدي، الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولـة الأيوبية في مصر (٤٩١-٥٦٩هـ/١٠٩٧-١١٧٣م)، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ١٩٨٦م.

٧١- ممــدوح الروسان، فلسطين والصهيونية (١٨٨٢-١٩٤٨م)، جامعة اليرموك، إربد، ١٩٨٣م.

٧٢- ممدوح الروسان، العراق وقضايا الشرق العربي القومية (١٩٤١-١٩٥٨م)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.

٧٣- منــير شــفيق، أوسلو (١ و ٢) المسار والمآل، منشورات فلسطين المسلمة، لندن، ١٩٩٧م.

٧٤- مهدي عبد الهادي، المستوطنات الإسرائيلية في القدس والضفة الغربية المحتلة (١٩٦٧-١٩٧٧م)، جمعية الملتقى الفكري العربي، القدس، ١٩٧٨م.

٧٥- ناجــي علوش، المقاومة العربية في فلسطين (١٩١٧-١٩٤٨م)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م.

٧٦- نبيل السهلي، تطور الإقتصاد الإسرائيلي (١٩٤٨-١٩٩٦م)، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، ١٩٩٨م.

٧٧- نجيــب الأحمــد، تهويــد القدس، منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الإعلام والتوجيه القومي، د.ت.

٧٨- نعــيم فرح، تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٤م.

٧٩- نــواف الــزرو، القــدس بين مخططات التهويد الصهيونية ومسيرة النضال والتحدي الفلسطينية، دار الخواجا للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩١م.

٨٠- نور الدين مصالحة، أرض أكثر وعرب أقل، سياسة الترانسفير الإسرائيلية في التطبيق (١٩٤٩-١٩٩٦م)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٧م.

٨١- هيثم الكيلاني، الإستراتيجيات العسكرية للحروب العربية- الإسرائيلية (١٩٤٨-١٩٨٨م)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩١م.

٨٢- هيــثم الكيلانــي، المذهب العسكري الإسرائيلي، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث بيروت، ١٩٦٩م.

٨٣- وفــاء جونــي، دمشق والمملكة اللاتينية في القدس، منذ أوائل القرن الحادي عشــر حتى أواخر القرن الثاني عشر (١٠٩٨-١١٧٣م)، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٩٧م.

٨٤- ولــيد الخالدي، الصهيونية في مئة عام (١٨٩٧-١٩٩٧م)، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٨م.

٨٥- ولــيد عبد الحي، مستقبل الفكر الصهيوني، أبحاث مركز الدراسات الأردني، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٧م.

٨٦- يوســف جوزيف نسيم، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

٨٧- يوســف صــايغ، الإقتصــاد الإسرائيلي، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٥م.

٨٨- يوســف كعوش، الجيش العربي الأردني في حرب ١٩٤٨م، مديرية المطابع العسكرية، عمان، ١٩٧٩م.

٨٩- يوسف هيكل، فلسطين قبل وبعد، بيروت، د.ن، ١٩٧١م.

٩٠- يوسف هيكل، القضية الفلسطينية ـ تحليل ونقد، مطبعة الفجر، يافا، ١٩٣٧م.

خامساً: المصادر والمراجع الأجنبية المعربة:

١- باركــر، آرنست، الحروب الصليبية، نقله إلى العربية السيد الباز العريني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م.

٢- بــراور، يوشــع، عالم الصليبيين، ترجمة د. قاسم عبده قاسم و د. محمد خليفة حسن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

٣- بيرس، شمعون وآخرون، الكيان الصهيوني عام ٢٠٠٠، ترجمة سمير جبور وآخرون، وكالة المنار للصحافة، بيروت، ١٩٨٦م.

٤- بيرس، شمعون وآخرون، الشرق الأوسط الجديد، ترجمة محمد حلمي عبد الحافظ، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٤م.

٥- تايلور، آلان، مدخل إلى إسرائيل، الأعمال التحضيرية للجريمة الدبلوماسية الصهيونية (١٨٩٧-١٩٤٧م)، تعريب شكري محمود نديم، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، ١٩٦٥م.

٦- توينبي، آرنولد، مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، جامعة الدول العربية، ١٩٦٧م.

٧- جارودي، رجاء، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ترجمة قسم الترجمة بدار الغد العربي، دار الغد العربي، القاهرة، ١٩٩٦م.

٨- رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م.

٩- الشارتري، فوشيه، تاريخ الحملة إلى القدس (١٠٩٥-١١٢٧م)، ترجمة د. زياد العسلي عن الأنجليزية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٠م.

١٠- الشريف، ريجينا، الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٥م.

١١- شريت، يعقوب، دولة إسرائيل زائلة، ترجمة دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ١٩٩١م.

١٢- شليف، أريه، خط الدفاع في الضفة الغربية (وجهة نظر اسرائيلية)، ترجمة غازي السعدي، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٥م.

١٣- الصـــوري، وليم، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة وتقديم د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٠م.

١٤- كاهــن، كلود، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٥٥م.

١٥- كســنجر، هــنري، درب السلام الصعب أو عالم أعيد بناؤه- ترجمة الدكتور علي مقلد، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١م.

١٦- مولر، فولفغانغ، القلاع أيام الحروب الصليبية، ترجمة محمد وليد الجلاد، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م.

١٧- هــداوي، ســامي، الحصـــاد المر، فلسطين بين عامي (١٩١٤ و ١٩٧٩م)، ترجمة د. فخري حسين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩١م.

١٨- هرتــزل، ثــيودور، يوميات هرتزل، ترجمة هيلدا صايغ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣م.

١٩- هركابي، يهوشفاط، قرارات إسرائيل المصيرية، ترجمة منية سمارة و محمد الظاهر، منشورات دار الكرمل- صامد، عمان، ١٩٩٠م.

سادساً: الصحف والدوريات العربية:

١- ابراهــيم بكر، فلسطين بين الدولة الصليبية والدولة الصهيونية، محاضرة عن فلسطين في جامعة اليرموك، إربد، ١٩٩٧م.

٢- غسان كنفاني، ثورة (١٩٣٦-١٩٣٩م) في فلسطين، خلفيات وتفاصيل وتحليل، مجلة شؤون فلسطين، العدد (٦)، كانون الثاني، ١٩٩٧م.

٣- نــاظم عــبد الواحــد الجاسور، المشروع القومي العربي والمشاريع الغربية- الصهيونية المضادة، مجلة آفاق استراتيجية، العدد (١)، أيلول، ٢٠٠٠م.

٤- صحيفة الدستور الأردنية، العدد (١٢١٠٩)، نيسان، ٢٠٠١م.

٥- صحيفة الرأي الأردنية، الأعداد:

١٠١٢٦، ٣٠ آيار، ١٩٩٨م.

١٠١٩٦، ١٨ آب، ١٩٩٨م.

١٠٢٢٥، ٦ أيلول، ١٩٩٨م.

١٠٢٢٧، ٨ أيلول، ١٩٩٨م.

١٠٢٢٩، ١٠ أيلول، ١٩٩٨م.

١٠٢٣٤، ١٥ أيلول، ١٩٩٨م.

١٠٢٣٩، ٢٠ أيلول، ١٩٩٨م.

١٠٢٤٢، ٢٣ أيلول، ١٩٩٨م.

١٠٦١٨، ٥ تشرين أول، ١٩٩٩م.

١١١١٤، ١٢ شباط، ٢٠٠١م.

سابعاً: المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية :

1. Avnery, Uri, Israel without Zionism, A plan for peace in the middle east, The Macmillan company, New York, 1971.
2. Ben Gurion, Israel: Years of challenge, Anthony Blond Ltd, London, 1964.
3. Ben Halpern, The Idea of the Jewish state, Harvard university press, Cambridge, Massachusetts, 1969.
4. Bober, Arie, The other Israel, The Radical case against Zionism, Anchor Books, A Doubleday & company, ince, New York, 1972.
5. Boase, Thomas sherer Ross, Kingdoms and strong holds of the crusades, Thames and Hudson, London, 1971.
6. Bradford, Ernle, The sword and the scimitar, The Saga of the crusades, G. p. Putnam's Sons, Milan, 1974.
7. Crossman, Richard H. S, A nation reborn, Athereum publisher, New York, 1960.
8. Finucane, Ronald c., soldiers of the faith, J. M. Dent and sons Ltd, London and Melbourne, 1983.
9. Fulcher of chartres, Historia Hierosolymitana, ed. Heinrich Hagenmeyer, A history of the expedition to Jerusalem 1095- 1127, translated by Frances Rita Ryan, with an introduction by Harold S. fink, Knoxville, university of Tennesse press, Norton & company, New York, 1969.
10. Government of Palestine, A survey of Palestine, prepared for the information of the Anglo- American committee of inquiry, Government printer, Jerusalem, 1946-1947.
11. Herzl, Theodor, The Jewish state, translated by Sylvie D'avigdor, H. pordes, London, 1967.
12. Herzl, Theodor, The complete Diaries of Theodor Herzl, 5 volumes, (ed). Raphael patai, Herzl press and Thomas Yoseloff, New York, 1960.
13. Hijazi, Arafat, zionist terrorism, Dar Al- Sabah, Amman, 1987.

14. Huebener, Theodor, This is Israel, philosophical library, New York, 1956.

15. Hyamson, Albert M., Palestine under the mandate, 1920-1948, Greenwood press publishers, Connecticut, 1976.

16. Kobler, Franz, The vision was there, Lincolns – prager (publishers) Ltd, London, 1956.

17. Laqueur, walter, A history of Zionism, schocken books, New York, 1976.

18. Laqueur, Walter and Rubin, Barry, The Israel – Arab Reader, A documentary history of the middle east conflict, Facts on File Publications, NewYork, 1985.

19. Mandel, Neville, Turks, Arabs, and Jewish immigration into palestine, 1882- 1914, Middle eastern affairs, oxford, 1965.

20. Munro, Dana Carleton, The western attitude toward Islam during the period of the crusades, A Journal of Mediaeval studies, Mediaeval Academy of America, 1931.

21. O'balance, Edgar, The Arab- Israeli war, 1948, London, Faber and Faber, 1956.

22. Peres, Shimon, The new Middle East, Henry Holt and company, New York, 1993.

23. Prawer, Joshua, colonization activities in the Latin kingdom of Jerusalem, R. B. ph. Et H. – XXIX , 1951.

24. Prawer, Joshua, The latin kingdom of Jerusalem, European colonialism in the middle ages, weidenfeld and Nicolson, 5 winsley st, London WI, 1972.

25. Prawer Joshua, The settlement of the Latin's in Jerusalem, speculum 27, 1952.

26. Riley- smith, Jonathan, what were the crusades, The Macmillan press Ltd, london, 1977.

27. Runciman, steven, A history of the crusades, Cambridge university press, Cambridge, 1966.

28. Setton, Kenneth, A history of the crusades, The university of Wisconsin press, Madison, 1969.

29. Sokolow, Nahum, Zionism, problems and views, London, 1916.

30. Sokolow, Nahum, History of Zionism: 1600-1918, (2vols), Londmans, Green and Co. London, 1919.

31. Stein, Leonard, The Balfour Declaration, London, vallentine, mitchell, 1961.

32. Stewart, Desmond, Theodor Herzl, Doubleday and company inc, garden city, New York, 1974.

33. Stockholm international and peace Research institute (SIPRE), world Armaments, Disarmaments, SIPRE Year Book 1986, 1993, 1997, oxford university press, oxford.

34. Tuchman, Barbara w., Bible and sword: England and palestine from the Bronze Age to Balfour London, Alvin Redman, 1957.

35. Weizmann, chaim, Trial and Error, Hamish Hamilton, London, 1949.

36. William, Jay, Kinghts of the crusades, Horizon magazine, cassell-london, 1963.

37. William of Tyre, A history of deeds done beyond the sea, trans. Family & A.C. Krey, columbia university press, New York, 1943.

38. Wise, Terrence, The wars of the crusades, osprey publishing Ltd, london, 1978.



Abstract

The Historical Concurrence Between The Crusade and Zionist Movement (A Comparative Historical Study)

Prepared by:
Mohammed Salameh Al- Assi

Supervised by:
Prof. Dr. Mohammed Abdo Hatamleh

During the 11th and 12th century, the Arab- Islamic Eastern exposed to a vigorous crusade invasion. This invasion was called upon by many popes and found an enthusiastic response from European kings, princes, emperors, and the common people. Under the banner of the cross, they committed dreadful massacres and atrocities, where thousands of innocent people were killed.

At the beginning, the war against the Moslems was a military one, then the crusades expanded their methods to include political, economic, social and cultural warfare.

Since the beginning of the 20th century, The area had been challenged by the most compelling and dangerous invasion through out the history; the world Zionist movement backed by the western super powers where their both interests met.

Both Invaders, due to Moslems and Arabs political dismantle, economic and social decline, successfully occupied the holy land and other parts of the Arab- Islamic territories, and established their states.

They also expanded their aggression towards the Arab and Moslems neighboring countries, and enlarged the scope of their operations to include Egypt and Tunisia in a following stage.

Both invaders relied heavily on the use of military power, violence, conspiracy and deceivesness to achieve their goals.

This study deals with the crusade invasion against Moslems in the east during the middle Ages, and it's nexus with the ongoing Zionist challenge to- day on the Arab world in relevant to political, Military, economic, Social, Methods, evolution and motives aspects.

Prompted by a desire to go into this study in depth, I found it both prudent and relevant to examine the close links that ties the two invasions in the absence of a similar hitherto published research.

The importance of this study comes through it's six chapters and the epilogue. Chapter one deals with the establishment of both the crusade and Zionist movements to their states in the Holy land and some parts of the Arab Region after ceaseless fighting with the native population. It also highlights the role of European countries in supporting and assisting the two movements by all means of existence.

Chapter Two has addressed the motives and objectives of the two movements, and highlights the illegitimate claims that both movements had adopted to conquer the Eastern Arab- Moslems land. It also discussed the historical concurrence between the two movements concerning the motives and objectives.

Chapter three is about the Methods and acts that were taken by both the crusaders and Zionist to achieve their goals. Both movements committed atrocities and massacres and practised terrorism against Moslems and Arabs in general, and Palestinians in particular, in order to force them to surrender and migrate from their homeland. Propaganda, soliciting, bribing, killing and sex were complementary tools to the world Zionism movement. Truces violation by both invaders was an acceptable and ordinary behavior.

Chapter four is a comprehensive discussion of the Moslem and Arab attitude towards both invaders; the crusades and the Zionist. Although Moslems and Arabs were suffering from internal disturbances, economical problems, and political fragmentation, they fought the conquerors from the first day they stepped their foot on Arab land. The crusaders, much as the Zionist, despite many truces, armistices and cease-fires, knew not one day of Real peace. The last of the crusaders was evicted from Palestine in 1291 a. c.

Chapter five discussed political, administrative and military system for both movements. It was clear, that both invaders seem to have doomed themselves by relying solely on their superior military power. They followed the western patterns in their governmental and administrative organizations. Both of them ware regarded as the van- guard of European west, and the advanced base for the global imperialism.

Chapter six covers the economical, and social aspects of the crusading and Zionist entity in the Holy land and other occupied parts of the Arab-Islamic East. The crusaders, never were a majority in their own states. Also the Zionist in Palestine may well find themselves soon enough a minority

in their own state. Both movements were heavily dependent upon the continuous flow of capital and immigrants from Furope. Thus they remained a nation of immigrants.

The conclusion drawn from the study is that the analogy between the Zionist and the crusaders, both for the similarities and the dissimilarities is indeed striking. One could go on making these comparisons, right down to details.

Although history does not repeat itself in quite mechanical fashion, but the study has manifested that the prevailed situations of the Arab-Moslem world in the east before, during, and after the crusades invasion, are much similar to situations of the Arabs before, during, and after the Zionist invasion to Palestine, where these situations granted the success for both invasions.

Extract lessons that can be of value is that Arab unity could be the only factor that can stand against the new crusaders and restore Palestine.

There is no doubt that the odds and alien bodies will not remain and last in a country where the owners of the land has to react. This what happened to the crusaders where they were finally obliged after one hundred and ninety- two years of occupation, to depart for ever from the Holy land. That what makes the Zionist view the History of the crusades as a practical guidebook of how not to do it.

Another lesson can be derived from this study, that despite all peace treaties and truces, the crusaders could not gain acceptance in the region and integrate themselves into its framework. This happened before and will happen again with the Zionist case regardless All peace treaties held with some Arab countries.